The Islamic University–Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of Ossoul Ed-deen
Master of Interpretation & Sciences of Quran



الجامعـــــــة الإســـلاميـة – غـزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كليـــــــــــة أصــــول الديــــن
ماجستيـــر تفسيـــر وعلـــوم القرآن

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورةِ الزُّمَر
(دراسة موضوعية تطبيقية)

Educational Directives and Methods Derived from Surat Al Zumar
(A Study of Quranic Subjectivity)

إِعدَادُ البَاحِثِ
محمد سُليمان محمد السرحي

إِشرَافُ
الأستاذ الدُكتُور
زكريا إبراهيم صالح الزميلي

قُدمَت هَذه الرسالة اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي التفسير وعلوم القرآن بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

مارس/2021م – شعبان/1442هـ

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة الزُّمَر (دراسة موضوعية تطبيقية)

Educational Directives and Methods Derived from Surat Al Zumar (A Study of Quranic Subjectivity)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	محمد سليمان السرحي	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:	2021/03/21م	التاريخ:

نتيجة الحكم على الرسالة

ملخص الرسالة باللغة العربية

هدف الدراسة: يهدف الباحث من خلال دراسته الوصول إلى مرضات الله ﷻ ونيل الأجر والثواب، وأن يكون له سهمٌ ولو بسيط في خدمة كتاب الله، بالإضافة إلى حاجة الأمة إلى الخطاب القرآني التربوي والاستفادة من الكنوز التربوية المنثورة في سور القرآن الكريم وخاصة سورة الزمر، والمساهمة في علاج كثير من مشكلات الواقع المعاصر من خلال ربطها بالقرآن الكريم وهداياته.

منهج الدراسة: اعتمد الباحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي، حسب المنهجية المتبعة ضمن منهجيات التفسير الموضوعي.

أهم النتائج:

1. سورة الزمر مكية باتفاق العلماء والمفسرين إلا بعض الآيات فيها، فمنهم من عدها ثلاثة آيات فقط، ومنهم من عدها سبعة آيات.
2. اعتبار الأساليب التربوية المتنوعة من طرق بيان الإعجاز القرآني، كما تعتبر أسلوب فريد من أساليب التعليم في المجتمع.
3. يُستفاد من خاتمة سورة الزمر أن الناس كما كانت جماعات في الدنيا فإنها تحشر يوم القيامة جماعات أيضًا.
4. بيان الإعجاز القرآني في بيان خلق الإنسان وكيفية بناء الكون، وتكون الأسرة السليمة والمجتمع القويم.
5. رفعة الإنسان ورقيه لا يكون إلا بالتعلم من علماء ثقات، واتباع منهج الحوار الهادف بغرض عرض الحقائق وتبيانها.

أهم التوصيات:

1. نوصي الجامعة بالاستمرار في إتمام هذه السلسلة المباركة، كما نوصي طلبة العلم البحث والتنقيب عن التوجيهات التربوية وأساليبها الموجودة في القرآن الكريم.
2. الإقبال على القرآن الكريم والسنة النبوية مع التركيز على استنباط المهارات الإدارية والقوانين الربانية الموجودة في القرآن الكريم.

Abstract

The researcher aims to reach Allah's (SWT) satisfaction, to obtain His reward, and to have a share, even if it is simple, in the service of the Book of Allah. In addition, the Ummah (the Muslim Nation) needs the educational Quranic discourse to benefit from the educational treasures scattered in the Surahs of the Holy Quran, especially Surat Az-Zumar. The study seeks to contribute to the treatment of many of the problems of contemporary reality by linking them to the Holy Quran and its guidance.

The researcher used the deductive inductive approach, according to the followed methodology among the methodologies of objective interpretation. The most important results of the study are the following:

1. Surat Az-Zumar is Meccan, by the consensus of scholars and interpreters, except for some verses in it. Some of them counted three verses only, while some others counted seven verses.
2. Considering the various educational methods as among the methods of explaining the Quranic miracles, as they are regarded a unique method of education in society.
3. Benefit can be gained from the conclusion of Surat Az-Zumar in that as people are gathered together as groups in this world, they will be assembled in groups on the Day of Resurrection.
4. Showing the Quranic miracles comes through showing the miracles of the creation of man and how this universe is built, as well as through the formation of the sound family and the righteous society.
5. The elevation and sophistication of the human being can only be achieved by learning from trustworthy scholars, and following the method of meaningful dialogue in order to present and clarify the facts.

The main recommendations of the study are as follows:

1. We recommend the university to continue completing this blessed series. We also recommend that students of knowledge search and explore the educational directives and methods found in the Holy Quran.
2. Concentrating on the Noble Quran and the Prophet's Sunnah, with a focus on extrapolating the administrative skills and divine laws found in the Holy Quran.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾

[البقرة:151]

الإهـــداء

إلى القدوة الأولى للبشــرية، وإلى المعلم الأول والمربي وســيدنا وشــفيعنا وإمامنا وقائدنا **محمد ﷺ**.

إلى القوة الســـند إلى الكف الحنون إلى من ينتظرا نجاحنا لحظة بلحظة إلى **والدي ووالدتي** أمدهم الله بالصحة والعافية، وبارك الله لنا في أعمارهم، وأدامهم تاجًا على رؤوسنا.

إلى من كانوا مشعلًا ونورًا في الحياة وإلى من افتخر بهم دومًا، **شقيقي الغالي وشقيقاتي الغاليات**، والله أسأل أن يوفقهم ويبارك لهم في ذرياتهم.

إلى هدايا الرحمن وعطاياه لي، وإلى من صبروا وتحملوا عناء انشغالي عنهم طوال فترة الدراسة ومسيرتي العلمية، إلى **زوجتي الحنون "أم سليمان" وأبنائي الأحباب "ملكة وسليمان ولمى وعبد الهادي وإلياس"**، أسأل الله أن يمدهم برضوان من عنده وأن يجعل البركة بين أيديهم.

إلى المجاهدين الذين يســعون دائمًا لتكون كلمة الله هي العليا من لدن ســيدنا محمد ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إلى طلاب العلم المجتهدين على درب العلم الطامحين إلى المعالي.

أُهدي هذا الجهد المتواضع.

شكر وتقدير

أحمد الله ﷻ على أن من عليَّ بتمام فضـــله وكرمه وإعانته على إتمام هذه الرســـالة المتواضعة، والتي لولا فضل الله ما استطعت كتابة شيء منها.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي ومشرفي فضيلة: **الأستاذ الدكتور: زكريا إبراهيم صالح الزميلي**، الذي لم يبخل عليَّ بنصحه وإرشاده وأفاض عليَّ من علمه الغزير، وصبر على تقصيري وقلة علمي، فجزاه الله خيرًا.

كما وأشكر عضـويّ لجنة المناقشـة اللذين تفضـلا بقبول مناقشـة هذه الرسـالة وإثرائها بملحوظاتهم الرائعة والقيمة وهم:

فضيلة الأستاذ الدكتور: جمال محمود محمد الهوبي مناقشًا داخليًا.

فضيلــة الـدكـتـــور: نمر محمد مصطفى أبو عون مناقشًا خارجيًا.

والشكر لكل من قدم لي النصح والإرشاد في مسيرتي التعليمية وشجعني على مواصلة المسيرة التعليمية.

الباحث/ محمد سليمان السرحي

فهرس المحتويات

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه في الأولين، وصلِ عليه في الآخرين، وصلِ عليه في الملأ الأعلى إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنَّ أولى ما اشتغل به المشتغلون، وسعى في تحصيله المسلمون هو العلم بكتاب الله ﷻ، لأنّ شرف العلم من شرف المعلوم، وعلم التفسير من أهم العلوم المتعلّقة بكتاب الله تعالى.

فهو كتاب الله العظيم الجامع لعقيدة الإسلام وشريعته، وقيمه، ومبادئه، الذي لا يعتريه نقص، ولا يصيبه خلل، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

والقرآن هو المصـــــدر التربوي الأول الذي طبقه الرســـول ﷺ واقعاً وســـلوكاً، وجسَّـــده الصحابة ﭫ سيرة وعملاً فكان سببًا لتمكينهم في الأرض وسيادتهم عليها.

فواجبنا نحن المسلمين أن نتدبر كتاب الله ﷻ لاستنباط توجيهاته وقيمه والتي من أعظمها التوجيهات التربوية التي ربى عليها رسول الله ﷺ أصحابه، والتي تزخر بها سور القرآن الكريم.

ولما كانت كل سورة من سور القرآن الكريم تحتوي على كثير من التوجيهات التربوية كان موضوع هذه الدراسة سورة الزُّمَر حيث اختار الباحث بحثاً موسوماً بعنوان:

(التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة الزُمَر دراسة موضوعية تطبيقية).

وهذه الدراسة حلقة من سلسلة بدأ تناولها الباحثون في قسم التفسير وعلوم القرآن، حيث شرفت أن أساهم فيها بهذه الدراسة، فأسأل الله ﷻ أن يُعينني على إنجاز ما عزمت عليه وبدأت متوكلاً على الله مستعيناً بحوله وتوفيقه.

أولاً: أهمية البحث:

1. تعلق موضوع الدراسة بالقرآن الكريم والذي يُعد المصدر الأول والأساس للتشريع الإسلامي.
2. حاجة الأمة الماسة إلى استمداد منهج تربوي من مصدرها الأصيل وتجسيده في حياة الأمة واقعاً للاستنهاض بالجوانب التربوية العملية في المجتمعات الإسلامية.
3. أن السورة لم يتم التطرق لها بالبحث من الناحية التربوية، وبدراسة متخصصة في حدود علم الباحث.
4. أهمية المواضيع التي اشتملتها السورة من نواحي العقيدة والتوجيهات التربوية والإدارية التي لا غنى عنها لكل فرد من أفراد المجتمع المسلم.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

1. التشرف في دراسة أحد موضوعات القرآن الكريم، والتي ترسخ مبادئ وقيم وتوجيهات تربوية يستفيد منها المسلم.
2. اشتمال سورة الزُّمَر على الكثير من التوجيهات التربوية والعقائدية والهدايات المرشدة التي لها دور عظيم في تربية وتوجيه الفرد المسلم.
3. إبراز الوحدة الموضوعية للسورة، وبيان انسجام الموضوع الأساس للسورة مع المحاور الفرعية، وكذلك الاستجابة لأمر الله ﷻ للتفكر والتدبر في آياته، والغوص في ثنايا النصوص القرآنية لاستخراج المكنون فيها، وذلك تنفيذًا لتوجيهات الله ﷻ حيث يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء:82].

ثالثاً: أهداف البحث وغاياته:

1. محاولة الوصول إلى مرضات الله ﷻ، ونيل الأجر والثواب من خلال تدبر كتابه وعرض توجيهاته وكنوزه.
2. بيان موضوع سورة الزُّمَر من خلال الوجوه التربوية العقائدية والاجتماعية والأخلاقية والإدارية والتوجيهات المستنبطة منها.
3. الاستفادة من التوجيهات والكنوز التربوية الموجودة في سورة الزُّمَر، وتجسيدها إلى واقع عملي.
4. خدمة القرآن الكريم؛ وذلك عن طريق إبراز الدور التربوي، إذ إن القرآن منهج حياة.
5. المساهمة في علاج كثير من مشكلات الواقع المعاصر من خلال ربطها بالقرآن الكريم وهداياته.
6. بيان سُبل بناء الفرد والأمة بناءً تربوياً من خلال إبراز التوجيهات التربوية العقدية والسلوكية من خلال سور القرآن الكريم وخاصة سورة الزُّمَر موضوع الدراسة.
7. مشاركة الباحثين في فتح آفاق تربوية جديدة، وذلك من خلال الموضوعات التي سيتم طرحها في هذه الرسالة، والنتائج التي توصل الباحث لها.
8. استنباط الحقائق والهدايات المرشدة، والعبر والعظات من السورة موضع الدراسة والتي ستساهم مساهمة مهمة في تربية الفرد المسلم وتترك آثارها على المجتمع والأمة.
9. المساهمة في توجيه الفكر التربوي في حياتنا المعاصرة للتمسك بما جاء من مبادئ وقيم وتوجيهات لإصلاح الفرد، ومن ثَمَّ إصلاح المجتمع المسلم.

رابعًا: الدراسات السابقة:

بعد البحث في فهارس المكتبات الإسلامية، لم يجد الباحث رسالة علمية محكمة مستقلة تحمل هذا العنوان، غير أنه توجد رسائل علمية تتناول سورة الزمر حسب العناوين التالية:

أ. رسالة ماجستير بعنوان: دراسة موضوعية في سورة الزمر، للباحث مروان محمد عايش أبو راس، إشراف/ د. أحمد إسماعيل نوفل – الجامعة الأردنية عمان – 1986م.

وقد تناول الباحث سورة الزمر بدراسة موضوعية بحته، دون التطرق إلى الجوانب التربوية والأساليب المستنبطة منها.

ب. رسالة ماجستير بعنوان: سورة الزمر دراسة موضوعية، للباحثة منال عبد الرحيم محمد سعيد، إشراف/ د. أحمد إسماعيل البيلي – جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان – 1424هـ، 2003م.

وهي إلى حد كبير بنفس المحتوى للرسالة الموضحة سابقاً للباحث أبو راس من الجامعة الأردنية بعمان.

ت. رسالة ماجستير بعنوان: الخوف والرجاء في القرآن الكريم "سورة الزمر أنموذجاً" – دراسة موضوعية – للباحثة وداد أحمودة، إشراف/ د. حمزة بوخزنة – جامعة الشهيد حمه لخضر – 2017م.

وقد تناولت الباحثة موضوعاً من موضوعات القرآن الكريم وتم تطبيق عينة الدراسة على سورة الزمر.

ث. رسالة ماجستير بعنوان: سورة الزُّمَر – دراسة أُسلوبية، للباحث وجدي "محمد درويش" سعيد قطب، إشراف/ أ.د. محمد جواد النوري – جامعة النجاح الوطنية – 2019م.

وتناول الباحث سورة الزمر من عدة جوانب من أهمها البُنية الصوتية والصرفية والتركيبية لألفاظ السورة، واعتمد المنهج الاستنباطي والتحليلي، وأفصح عن الإشارات التربوية ومقاصدها القرآنية التي تضمنتها السورة.

ج. رسالة ماجستير بعنوان: المضامين التربوية المستنبطة من سورة الزمر، للباحث تشرنو إبراهيم باه، إشراف/ د. أحمد بن عبد الفتاح بن عبد الله ضليمي و د. محمد بن عبد الوهاب العقيل – الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – 1427/1426هـ.

وقد اعتمدت كلية أصول الدين مشروعاً علمياً بمثابة سلسلة لجميع سور القرآن الكريم لطلبة الماجستير بعنوان التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سور القرآن الكريم (دراسة موضوعية تطبيقية)، وقد شرع الطلاب بالبحث ضمن هذه السلسلة التي نسأل الله ﷻ أن يُيسر ويُعين على إتمام هذا المشروع المبارك، وأن يرى النور ضمن سلسلة مطبوعة كما حصل من قبل في تفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية المتواترة.

خامساً: منهجية الباحث:

اعتمد الباحث في هذا البحث على المنهج الاستقرائي والاستنباطي، وذلك حسب منهجية التفسير الموضوعي، منطلقاً من الخطوات الآتية:

1. دراسة سورة الزُّمَر دراسة متأنية من خلال كُتب التفسير.
2. استقراء آيات سورة الزُّمَر ثم استنباط التوجيهات التربوية، واستخراج الأساليب البيانية منها.
3. تقسيم البحث إلى العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب حسب ما يتطلبه البحث.
4. تفسير بعض الآيات تفسيرًا اجمالياً، والوقوف على هداياتها وفوائدها.
5. استنباط الهدايات المرشدة والتوجيهات الشرعية من هدي السورة الأخلاقي والتربوي والسلوكي.
6. الوقوف على المبادئ والأساليب التربوية التي تخدم موضوع البحث وربطها بواقعنا المعاصر.
7. بيان معاني المصطلحات الواردة في البحث بالرجوع إلى أصولها في أمهات الكُتب.
8. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني مع ذكر اسم السورة، ورقم الآية في المتن، تجنباً من إثقال الحواشي.
9. تخريج الأحاديث النَّبوية من مصادرها الأصلية، مع الاعتماد على الأحاديث من الصحيحين إن وجد، مع ذكر حكم العلماء على الحديث إن لم يوجد في الصحيحين ما أمكن ذلك.
10. الاستدلال بأقوال العلماء والمفكرين وأصحاب الشأن ذوي العلاقة بموضوع البحث، مع التوثيق في الحاشية حسب الأصول.
11. مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق حسب أصول البحث العلمي.
12. الترجمة للأعلام المغمورة التي ترِد في البحث، وترك المشهور منها.
13. بيان معنى المفردات الغريبة في الحاشية.
14. خدمة البحث بالفهارس اللازمة التي يُحتاج إليها، لتسهيل الانتفاع بها.
15. اكتفيت بذكر اسم الكتاب واسم المؤلف ورقم الجزء والصفحة فقط في الحاشية، ثم بينت باقي المعلومات المتعلقة بالمرجع في فهرس المصادر والمراجع.
16. عند وجود تكرار لنفس المصدر في الحاشية نفسها على التوالي اكتفيت بالقول: المرجع السابق، وأذكر رقم الجزء والصفحة.
17. محاولة الوقوف على أسرار ودلائل الإعجاز التربوي في سورة الزمر.

سادساً: خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وختمت البحث بفهرس للآيات القرآنية، وآخر للأحاديث النبوية، وثالث للمصادر والمراجع، ثم بفهرس للموضوعات الواردة في البحث، وقد جاءت الخطة على النحو التالي:

المقدمة

وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث وغاياته، والدراسات السابقة، ومنهجية الباحث ثم خطة البحث.

الفصل التمهيدي:

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البحث.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التوجيهات التربوية.

المطلب الثاني: تعريف الأساليب التربوية.

المبحث الثاني: تعريف عام بالسورة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة وفضائلها.

المطلب الثاني: أسباب نزول السورة.

المطلب الثالث: الجو الذي نزلت فيه السورة، وزمن نزولها، وترتيبها وعدد آياتها.

المبحث الثالث: هدف السورة ومقصدها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: هدف السورة ومحورها الرئيس.

المطلب الثاني: أهم مقاصد السورة.

المبحث الرابع: مناسبات تتعلق بالسورة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المناسبة بين اسم السورة وهدفها الرئيس.

المطلب الثاني: المناسبة بين أول السورة وآخرها.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها.

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما بعدها.

الفصل الأول: التوجيهات التربوية العقدية من خلال سورة الزُّمَر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: وحدانية الله وصفاته من خلال سورة الزُّمَر.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: اثبات وحدانية الله ﷻ.

المطلب الثاني: الله هو الخالق المدبر.

المطلب الثالث: ثبوت صفة الغنى والرضى لله ﷻ.

المطلب الرابع: صفة العدل لله ﷻ.

المطلب الخامس: ثبوت القبضة واليمين لله ﷻ.

المطلب السادس: اثبات العرش لله ﷻ.

المطلب السابع: الإيمان بكل صفات الله ﷻ شرط للإيمان.

المبحث الثاني: الاعتقاد بالحياة والبعث والجزاء من خلال سورة الزُّمَر.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تجلي قدرة الله ﷻ في مراحل خلق الجنين.

المطلب الثاني: دورة حياة الإنسان تبدأ من التراب ثم تُرد إليه.

المطلب الثالث: الموت نهاية الحياة الدنيا بشكل نهائي.

المطلب الرابع: ثبوت النفختين لقيام الساعة.

الفصل الثاني:التوجيهات التربوية التعبدية والاجتماعية الأخلاقية والإدارية من خلال سورة الزُّمَر

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التوجيهات التربوية التعبدية من خلال سورة الزُّمَر.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: سنة التزاوج بين المخلوقات.

المطلب الثاني: الإخلاص شرط قبول الأعمال.

المطلب الثالث: الشرك طريق حبوط العمل.

المطلب الرابع: نعمة الثبات في الشدة والرخاء.

المطلب الخامس: العمل من العبد والنتائج بيد الله.

المطلب السادس: قَبول الندم والتوبة يكون في الدنيا فقط.

المبحث الثاني: التوجيهات الاجتماعية الأخلاقية من خلال سورة الزُّمَر.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الكبر يمنع من الوصول إلى الحق.

المطلب الثاني: أدب الإنصات إلى الحديث وثمراته.

المطلب الثالث: ضرب الأمثال يُسهل شرح الحال.

المطلب الرابع: العناد طريق الهلاك.

المطلب الخامس: حسن الاستقبال وكرم الضيافة طمأنينة للنفس.

المطلب السادس: تقديم الشكر والثناء عند الحصول على العطاء.

المبحث الثالث: التوجيهات الإدارية من خلال سورة الزُّمَر.

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: التدرج في الوصول إلى الهدف.

المطلب الثاني: التدرج في العقوبة.

المطلب الثالث: الترغيب بالثواب.

المطلب الرابع: الترهيب بالعقاب.

المطلب الخامس: الحوار طريق الإقناع.

المطلب السادس: لا فائدة من الاعتذار بعد إصدار القرار.

المطلب السابع: الاعتراف بالذنب وذكر المذنب لجزائه بلسانه.

المطلب الثامن: تنظيم الوقت وشدة الانضباط به أمر إلهي.

الفصل الثالث: الأساليب الي جاءت بها التوجيهات التربوية في سورة الزُّمَر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الأساليب التربوية الواردة في سورة الزُّمَر.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب النصح والإرشاد.

المطلب الثاني: أسلوب القدوة.

المطلب الثالث: الأسلوب القصصي.

المبحث الثاني: الأساليب البلاغية واللغوية الواردة في سورة الزُّمَر.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب الاستفهام.

المطلب الثاني: أسلوب الأمر والنهي.

المطلب الثالث: أسلوب التوكيد.

المطلب الرابع: أسلوب النفي.

المطلب الخامس: أسلوب النداء.

الخاتمة

تضمنت أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.

الفهارس، وتتضمن:

1. المصادر والمراجع.
2. فهرس الآيات القرآنية.
3. فهرس الأحاديث النبوية.
4. فهرس الموضوعات، (ويكون في أول الدراسة حسب متطلبات عمادة البحث العلمي).

الفصل التمهيدي

الفصل التمهيدي

المبحث الأول

تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البحث

المطلب الأول: تعريف التوجيهات التربوية.

يتكون المصـــطلح من جملة مركبة من كلمتين، وهما "توجيهات" و "تربوية"، وتم تناول هاتين الكلمتين من حيث المعنى اللغوي، ومن ثم استنتاج المعنى الاصطلاحي لهذه الجملة.

أولاً: كلمة التوجيهات:

لغةً: الوَجْهُ: "مُسْـــتَقْبَلُ كلِّ شـــيءٍ، ومنه أَوْجُهٌ ووُجُوهٌ وأُجُوهٌ، وعندما يُراد به الكَلام يكونُ بمعنى السَّبيلُ المَقْصودُ، وسَيِّدُ القَوْمِ"[1]، وقال ابن منظور "الوَجْهُ: مَعْرُوفٌ، وَالْجَمْعُ الوُجُوه، حَيِّ الوُجُوهَ وحَيِّ الأُجُوه، وقِيل: وَيَفْعَلُونَ ذَلِكَ كَثِيرًا فِي الْوَاوِ إِذَا انْضَمَّتْ"[2].

اصطلاحًا: التوجيه: هو إيراد الكلام محتملًا لوجهين مختلفين، وهو أيضًـا إيراد الكلام على وجهٍ يندفع به كلام الخصم، وقيل: عبارة على وجه ينافي كلام الخصم[3].

ويُعرف الباحث التوجيهات على أنها هي التعليمات والإرشـادات التي تصـدر من مُرسِـلٍ، إلى مُستَقبل.

ثانيًا: كلمة التربوية:

لغةً: "من تربى ويتربى، تربيًا، فهو مُتَربٍّ، وتربى الولدُ: أي تعلم وتغذى وتثقف تربى على يد أفضل المربين، وتربوي: "مفرد" اسم منسوب إلى تربية "منهج تربوي – مؤسسة تربوية، تربية [مفرد]: مصدر ربَّى، أصول التربية: علمٌ وظيفته البحث في أسس التعليم وقواعده، والتربية علم وظيفته البحث في أسس التنمية البشرية وعواملها وأهدافها الكبرى"[4].

---

(1) انظر: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادى (ص: 1255)

(2) لسان العرب، ابن منظور (555/13).

(3) انظر: التعريفات، الجرجاني (ص: 69)

(4) معجم اللغة العربية المعاصرة، الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، (852/2).

اصطلاحًا: علم التربية: "علم يبحث في الوسائل التي تكفل التربية الصحيحة للطفل خُلقيًا وتفسيًا وعلميًا، والبلوغ به إلى الكمال الخاص به، ويبحث في النظم التربوية نشأتها وموضوعها وتطورها والغاية منها"[1].

ومن خلال استقراء التعريفات اللغوية والاصلاحية السابقة، يرى الباحث أن التعريف لمصطلح التوجيهات التربوية يتلخص في التالي:

هي إكساب الفرد المعلومات والمهارات التي تُساعده من الاندماج في المجتمع الذي يعيش فيه، من خلال التعليمات والإرشادات التي تصدر من المدرب أو الخبير من خلال قواعد التعليم وأساليبه المتنوعة.

المطلب الثاني: تعريف الأساليب التربوية.

يتكون المصطلح من جملة مركبة من كلمتين، وهما "أساليب" و "تربوية"، وقد تناولت لفظة التربوية في المطلب الأول السابق، وتم تناول كلمة "الأساليب" من حيث المعنى اللغوي والاصطلاحي، ومن ثم استنتاج المعنى الاصطلاحي لهذه الجملة فيما يلي:

أولاً: كلمة الأساليب:

تعريف الأساليب لغةً: (والأُسْلُوب): "السَّطْرُ من النَّخِيل، و (الطَّرِيقُ) يَأْخُذُ فِيه، وكُلُّ طَرِيقٍ مُمْتَدَ فَهُوَ أُسْلُوبٌ، والأُسْلُوبُ: الوَجْهُ والمَذْهَبُ، يُقَال: هُمْ فِي أُسْلُوب سُوْءٍ، ويُجْمَعُ عَلَى أَسَالِيب، وَقد سَلَكَ أُسْلُوبَه: طَرِيقَتَه، وكلامُه عَلَى أَسَالِيبَ حَسَنة، والأُسْلُوبُ، بِالضَّمِّ: الفَنُّ. يُقَال: أَخَذَ فُلَانٌ فِي أَسَالِيبَ من القَوْل، أَي أَفَانِين مِنْهُ"[2].

تعريف الأساليب اصطلاحًا:

التعريف الأول: "أساليب القول: فنونه المتنوعة، وأسلوب العصر: السِّمة الغالبة على العصر، وتستخلص من كل مقدماته في الدِّين والفن والفلسفة والعلوم"[3].

التعريف الثاني: هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، وعلى هذا فأسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار

---

(1) معجم اللغة العربية المعاصرة، الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، (852/2).

(2) تاج العروس (3/ 71).

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة، الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، (1089/2).

ألفاظه ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوب خاص به فإن لكل كلام إلهي أو بشري أسلوبه الخاص به وأساليب المتكلمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعر أو نثر تتعدد بتعدد أشخاصهم بل تتعدد في الشخص الواحد بتعدد الموضوعات التي يتناولها والفنون التي يعالجها[1].

ومن خلال استقراء التعريفات اللغوية والاصلاحية السابقة، يرى الباحث أن التعريف لمصطلح الأساليب التربوية يتلخص فيما يلي:

هو الطريقة الكلامية الفنية الفريدة للقرآن الكريم في عرض القضايا المتنوعة لوصول الفرد إلى المعلومات والمهارات التي يحتاجها، بالإضافة لبيان إعجاز القرآن الكريم.

---

(1) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن – الزرقاني (2/ 303)

المبحث الثاني

تعريف عام بالسورة

المطلب الأول: أسماء السورة وفضائلها

أولاً: اسم السورة:

يرى أهل هذا الفن من علوم القرآن أنه "يَنْبَغِي النَّظَرُ فِي وَجْهِ اخْتِصَاصِ كُلِّ سُورَةٍ بِمَا سُمِّيَتْ بِهِ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَرَبَ تُرَاعِي فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْمُسَمَّيَاتِ أَخْذَ أَسْمَائِهَا مِنْ نَادِرٍ أَوْ مُسْتَغْرَبٍ يَكُونُ فِي الشَّيْءِ مِنْ خَلْقٍ أَوْ صِفَةٍ تَخُصُّهُ أَوْ تَكُونُ مَعَهُ أَحْكَمُ أَوْ أَكْثَرُ أَوْ أَسْبَقُ لِإِدْرَاكِ الرَّائِي لِلْمُسَمَّى وَيُسَمُّونَ الْجُمْلَةَ مِنَ الْكَلَامِ أَوِ الْقَصِيدَةَ الطَّوِيلَةَ بِمَا هُوَ أَشْهَرُ فِيهَا وَعَلَى ذَلِكَ جَرَتْ أَسْمَاءُ سُوَرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ كَتَسْمِيَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ بِهَذَا الِاسْمِ لِقَرِينَةِ ذِكْرِ قِصَّةِ الْبَقَرَةِ الْمَذْكُورَةِ فِيهَا وَعَجِيبِ الْحِكْمَةِ فِيهَا"(1).

وللسورة ثلاثة أسماء تعارف عليها العلماء والمفسرون وهذه الأسماء هي:

الاسم الأول: سورة الزُّمَر: وهذا الاسم توقيفي، وسميت السورة بهذا الاسم لأن الله تعالى ذكر في آخرها زمرة الكفار الأشقياء مع الإذلال والاحتقار وذلك في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾[الزمر:71-72]، وزمرة المؤمنين السعداء مع الإجلال والإكرام وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾[الزمر:73](2)، ولأن لفظ "الزمر" لم يرد في غيرها من القرآن(3).

---

(1) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (1/ 270)

(2) انظر: التفسير المنير للزحيلي (23/ 238)

(3) انظر: واحة التفسير، أحمد الطويل (437/11).

الاســـم الثاني: ســـورة التنزيل: "وتســـميتها (تنزيل) لمن تأمل آياتها وحقق عباراتها وإشـــاراتها"[1]، ووجه تســـميتها بذلك لابتداء الســـورة بقوله ﷻ: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾[الزمر:1].

الاسم الثالث: سورة الغرف: عزى القرطبي تسمية سورة الزمر بسُورَةُ الْغُرَفِ إلى وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ[2] حين قال: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَ قَضَـــاءَ اللَّهَ ﷻ في خلقه فليقرأ سُـــورَةَ الْغُرَفِ[3]، وجاءت التسمية لورود هذه اللفظة في السورة، التي وردت في قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠﴾[الزمر:20].

ثانيًا: فضائل السورة:

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: مَا يُرِيدُ أَنْ يُفْطِرَ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ مَا يُرِيدُ أَنْ يَصُومَ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالزُّمَرَ "[4]، وفي الحديث عناية نبوية خاصـــة بهاتين الســـورتين لا بد لهما من حكمة قد يكون منها ما احتوتاه من مواعظ وحكم وتنويه بالقرآن، وفي الحديث دلالة على أن هذه السورة كانت تامة الترتيب معروفة الاسم في حياة النبي ﷺ[5].

---

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (16/ 436).

(2) وهب بن منبه: هو الحافظ الصـــنعاني عالم اليمن، من أصـــل فارســـي، وهو تابعي جليل، من رجال الطبقة الأولى من كتاب المغازي والسير، ولد في قرية زمار بجوار صـنعاء سنة (34هـ)، روى عن ابن عمر وابن عباس وجابر وأبو هريرة، وغيرهم، عنده علم أهل الكتاب وحديثه في الصـحيحين والسنن إلا ابن ماجة، كان ثقة واسع العلم، وَهُوَ يشبه كعب الأحبار، وله صَلَاحٌ وَعِبَادَةٌ، وَيُرْوَى عَنْهُ أَقْوَالٌ حَسَنَةٌ وَحِكَمٌ وَمَوَاعِظُ، توفي بصنعاء سنة (114هـ) وقيل سنة (110هـ). (انظر: التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون (1/ 26)، أوائل المؤلفين في السيرة النبوية، عبد الشافي محمد عبد اللطيف (ص: 26)، البداية والنهاية ط الفكر (9/ 276)).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي (15/ 232).

(4) الســـنن الكبرى للنســـائي، (9/ 263)، باب فضـل قراءة تبارك الذي بيده الملك، حيث رقم (10480)؛ عمل اليوم والليلة للنســـائي (ص:434) باب فضـــل قراء تبارك الذي بيده الملك، حديث رقم (712)، وقد ذكر الإمام الألباني في كتابه ســلســلة الأحاديث الصــحيحة أن إســناده جيد ورجاله ثقات (240/2) حديث رقم (641).

(5) التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، (4/ 297).

عَن أبي بن كَعْب ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: "من قَرَأَ سُورَة الزمر لم يقطع الله رَجَاءَهُ يَوْم الْقِيَامَة وَأَعْطَاهُ الله ثَوَاب الْخَائِفِينَ الَّذين خَافُوا"[1].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ فَقَرَأَ فِي خُطْبَتِهِ آخِرَ الزُّمَرِ، فَتَحَرَّكَ الْمِنْبَرُ مَرَّتَيْنِ"[2].

ومن فضائل السورة قول وهب بن منبه[3] أنه من أراد أن يعرف قضاء الله ﷻ على خلقه فعليه ان يقرأ سورة الغرف، فهي قاضية على خلق الله لما حوته من آيات العقيدة، والثواب والجزاء، ومآل العباد يوم القيامة.

وروى الطبراني من طريق الشعبي عن سنيد بن شكل أنه قال: سمعت ابن مسعود ﷺ يقول: "إِنَّ أَجْمَعَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِخَيْرٍ وَشَرٍّ آيَةٌ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾[النحل:90]، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ، يَقُولُ: " إِنَّ أَكْبَرَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَرَجًا آيَةٌ فِي سُورَةِ الْغُرَفِ: ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ ﴾[الزمر:53]، مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنْ شَاءَ"، قَالَ: صَدَقْتَ"[4].

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُبْلَانِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ ثَوْبَانَ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "مَا أُحِبُّ أَنَّ لِيَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(1) رَوَاهُ الثَّعْلَبِيّ من حَدِيث سَلام بن سليم ثَنَا هَارُون بن كثير عَن زيد بن أسلم عَن أَبِيه عَن أبي أُمَامَة عَن أبي بن كَعْب ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ (من قَرَأَ سُورَة الزمر) إِلَى آخِره لم يقل فِيهِ (الَّذين خَافُوا)؛ تخريج أحاديث الكشاف، جمال الدين الزيلعي (المتوفى: 762هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد (210/3).

(2) نيل الأوطار، الشوكاني (317/3)، وعلق الشوكاني على الحديث قائلاً: فِي إسْنَادِهِ أَبُو بَحْرٍ الْبَكْرَاوِيُّ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَقَدْ طَرَحَ النَّاسُ حَدِيثَهُ. وَقَالَ أَبُو دَاوُد: صَالِحٌ، وَفِي إسْنَادِهِ أَيْضًا عَبَّادُ بْنُ مَيْسَرَةَ الْمُنْقِرِيُّ، ضَعَّفَهُ أَحْمَدُ وَيَحْيَى وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ عِنْدَ ابْنِ عَدِيٍّ فِي الْكَامِلِ بِلَفْظِ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَفِي إسْنَادِهِ عَبَّادُ بْنُ مَيْسَرَةَ وَهُوَ ضَعِيفٌ كَمَا تَقَدَّمَ.

(3) سبق ترجمته قريبًا ص (16).

(4) المعجم الكبير للطبراني (9/ 132)، حديث رقم (8658).

يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ [الزمر : 53]"، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ أَشْرَكَ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: "إِلَّا وَمَنْ أَشْرَكَ، إِلَّا وَمَنْ أَشْرَكَ، إِلَّا وَمَنْ أَشْرَكَ" ثَلَاثَ مِرَارٍ [1].

فآية الزمر فيها بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم، الصادقين في رجائه، الخالعين ثياب القنوط، البعيدين عن سوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب، ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده، المتوجهين إليه في طلب العفو، الملتجئين إليه في مغفرة ذنوبهم.

المطلب الثاني: أسباب نزول السورة:

ومن المعلوم أن القرآن الكريم نزل منجمًا مفرقًا بخلاف الكُتب السماوية السابقة التي نزلت جملة واحدة كما اشتهر ذلك بين جمهور العلماء، وذلك لحِكمٍ عديدة، منها تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتقوية قلبه بتجدد الوحي وتكرار نزول جبريل عليه السلام، بالإضافة إلى تيسير حفظه وفهمه ومعرفة أحكامه، كما أن يُظهر عجز الكافرين في كل نوبات هذا النزول المنجم عن المعارضة، وهذا دليل على إعجاز القرآن الكريم، ومن حكمه أيضًا التدرج في تربية الأمة الناشئة علمًا وعملًا، ومُسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها فكلما جد منهم جديد نزل من القرآن ما يناسبه، وفصل الله لهم من أحكامه ما يوافقه[2].

وعليه فإن معظم نزول القرآن كان منجمًا، على الرغم أن هناك من السور التي نزلت جملة واحدة، وقيل أن سورة الزمر من السور التي نزلت جملة واحدة أو متتابعة[3]، لذا سنجد أن هناك عدة أسباب لنزول آيات السورة، ومنها:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ [الزمر:17]:

(1) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، باب قوله: (وما قدروا الله حق قدره)، (7/ 320)، حديث (4810) – مسند الروياني، أبو بكر الروياني، باب أبو شيبة وعاصم وأبو عبد الرحمن عن ثوبان، (423/1) حديث (648) – وشعب الإيمان، البيهقي، باب معالجة كل ذنب بالتوبة (9/ 340)، حديث (6735).

(2) أنظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني (1/ 52-61).

(3) انظر: التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: 1383 هـ (297/4).

نَزَلَتْ مَعَ الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا فِي ثَلَاثَةِ نَفَرٍ: زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ[1]، وَأَبِي ذَرٍّ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ كَانُوا مِمَّنْ لَمْ يَأْتِهِمْ كِتَابٌ وَلَا بُعِثَ إِلَيْهِمْ نَبِيٌّ، وَلَكِنْ وَقَرَ فِي نُفُوسِهِمْ كَرَاهِيَةُ مَا النَّاسُ عَلَيْهِ بِمَا سَمِعُوا مِنْ أَحْسَنِ مَا كَانَ فِي أَقْوَالِ النَّاسِ، فَلَا جَرَمَ قَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَى الْجَنَّةِ، أَمَّا زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فَمَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ فِي أَيَّامِ الْفَتْرَةِ فَلَهُ مَا نَوَى مِنْ الْجَنَّةِ، وَأَمَّا أَبُو ذَرٍّ وَسَلْمَانُ فَتَدَارَكَتْهُمْ الْعِنَايَةُ، وَنَالُوا الْهِدَايَةَ، وَأَسْلَمُوا، وَصَارُوا فِي جُمْلَةِ الصَّحَابَةِ[2].

قوله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر:53]:

قد اخْتلفُوا فِي سَبَب نزُول هَذِه الْآيَة، فَعَن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: نزلت فِي أهل مَكَّة، قَالُوا: يزْعم مُحَمَّد أَنه من قتل النَّفس الَّتِي حرمهَا الله وَعبد الْأَوْثَان لم يغْفر لَهُ، فَكيف نهاجر ونسلم وَقد عَبدنَا مَعَ الله إلهاً آخر وقتلنا النَّفس الَّتِي حرمهَا الله؟ فَأنْزل الله هَذِه الْآيَة، وَعنهُ أَنَّهَا نزلت فِي وَحشِي بن حرب[3] قَاتل حَمْزَة، وَعَن قَتَادَة: نَاس أَصَابُوا ذنوباً عَظِيمَة فِي الْجَاهِلِيَّة، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَام أشفقوا أَن لَا يُتَاب عَلَيْهِم فَدَعَاهُمْ الله تَعَالَى بِهَذِهِ الْآيَة إِلَى الْإِسْلَام؛ وَعَن ابْن عمر رضي الله عنهما: نزلت فِي عَيَّاش بن أبي ربيعَة والوليد بن الْوَلِيد وَنَفر من الْمُسلمين كَانُوا قد أَسْلمُوا ثمَّ فتنُوا وعذبوا فافتتنوا فَكُنَّا نقُول: لَا يقبل الله مِنْهُم صرفًا وَلَا عدلًا أبدًا، قوم أَسْلمُوا ثمَّ تركُوا دينهم لعذاب عذبُوا بِهِ، فَنزلت[4].

وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ نَاسا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كانُوا قَدْ قَتَلوا وَأَكْثَرُوا وَزَنَوْا وأَكْثَرُوا فأَتَوْا مُحَمَّداً ﷺ فقالُوا إنَّ الَّذِي تَقُولُ وتَدْعُو إلَيْهِ لَحَسَنٌ لَوْ تُخْبِرُنا أنَّ لِما عَمِلْنا كَفَّارَةً فَنَزَلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨﴾

---

(1) أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ومن السابقين الأولين البدريين، وكان يعيب على قريش ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله، وقال الرسول في زيد (يأتي أمة وحده)، ولد عام 25 قبل الهجرة الموافق 609م، وتوفي عام 52هـ الموافق لعام 683م؛ انظر: الموسوعة في صحيح السيرة النبوية العهد المكي (ص: 200).

(2) أحكام القرآن – القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي (4/ 60).

(3) وَحْشِيُّ بن حَرْب: هو أبو دَسْمة وَحْشِيُّ بنُ حَرْب الحبشيُّ، من سودان مكةَ مولى جُبَيْر بن مُطعم، وهو الذي قتل حمزةَ بن عبدِ المُطلب يوم أحد، وكان وحْشي يومئذ كافراً، أسلم بعد الطائف، وشهد اليمَامة، وزَعم أنه قتلَ مُسَيْلَمة، فقال: قتلتُ خيرَ الناسِ وشرَّ الناس بحربتي هذه، نزل الشَّامَ، وماتَ بحمص؛ (جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير (12/ 966)).

(4) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بابُ قَوْلُهُ: {يَا عِبادِيَ الَّذِينَ أسْرَفُوا على أنْفُسِهِمْ ...}، (19/ 143).

[الفرقان:68]، وَنَزَلَ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:53][1].

قال الحسن البصري: لما أسلم وحشي بن حرب فقال الناس: يا رسول الله إنّا أصبنا ما أصاب وحشي فقال هي للمسلمين عامة، وقال ابن عباس: قد دعا الله ﷻ إلى توبته مَن قال: أنا ربكم الأعلى، وقال ما علمت لكم من إله غيري فمن آيس العباد من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله، ولكن إذا تاب الله على العبد تاب[2].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى وَحْشِيٍّ قَاتِلِ حَمْزَةَ رضي الله عنهما يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: يَا مُحَمَّدُ، كَيْفَ تَدْعُونِي إِلَى دِينِكَ، وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ مَنْ قَتَلَ أَوْ أَشْرَكَ أَوْ زَنَا يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا، وَأَنَا قَدْ صَنَعْتُ ذَلِكَ؟ فَهَلْ تَجِدُ لِي مِنْ رُخْصَةٍ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان:70]، فَقَالَ وَحْشِيٌّ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا شَرْطٌ شَدِيدٌ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، فَلَعَلِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى هَذَا، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء:48]، فَقَالَ وَحْشِيٌّ: يَا مُحَمَّدُ أَرَى بَعْدَ مشيئةٍ فَلَا أَدْرِي يُغْفَرُ لِي أَمْ لَا فَهَلْ غَيْرُ هَذَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:53]"، قَالَ وَحْشِيٌّ: هَذَا فَجَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا أَصَبْنَا مَا أَصَابَ وَحْشِيٌّ، قَالَ: «هِيَ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً»[3].

قوله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:67]:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقال: إن اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ وَالْخَلَائِقَ كُلَّهَا عَلَى إِصْبَعٍ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ

---

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بابُ قَوْلُهُ: {يَا عِبادِيَ الَّذِينَ أسْرَفُوا على أنْفُسِهِمْ ...}، حديث رقم (0184).

(2) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، باب قوله: (وما قدروا الله حق قدره)، (7/ 320)، حديث (4810).

(3) المعجم الكبير للطبراني، باب عطاء عن ابن عباس (197/11)، حديث (11480)، وحكم عليه الإمام السيوطي بضعف في إسناده في كتابه لباب النقول في أسباب النزول (ص: 169).

اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزمر:67][1].

المطلب الثالث: الجو الذي نزلت فيه السورة، وزمن نزولها، وترتيبها وعدد آياتها:

أولاً: الجو الذي نزلت فيه السورة:

تفضل الله ﷻ على عباده بأعظم هدية وأكرم منحة خالدة: ألا وهي تنزيل القرآن الكريم تدريجًا في مبدأ الأمر والوحي الإلهي إلى أن اكتمل وحفظ حفظًا تامًا في الصدور والكتابة، من غير زيادة ولا نقص فيه، ولا تعديل ولا تبديل لشيء فيه، وسيظل محفوظًا بكفالة الله وتعهده إلى يوم القيامة، لأنه منهاج الحياة السديدة، في العقيدة، والعبادة، والمعاملة، والأخلاق، والعلاقات الإنسانية والاجتماعية، أنزله الله بالحق والميزان، فأبطل عقائد المشركين الوثنية، ونفى اتخاذ الله ولدا، وشرع شرائع الشرائع، وأبان الحلال والحرام، ونظم أصول الحياة والآداب والفضائل، لينقذ الله به العالمين من الضلالة إلى النور، ومن الزيغ والانحراف إلى طريق الهداية والاستقامة[2].

"هذه السورة تطوف بالقلب البشري في جولات متعاقبة وتوقع على أوتاره إيقاعات متلاحقة وتهزه هزًا عميقًا متواصلًا لتطبع فيه حقيقة التوحيد وتمكنها، وتنفي عنه كل شبهة وكل ظل يشوب هذه الحقيقة، ومن ثم فهي ذات موضوع واحد متصل من بدئها إلى ختامها يعرض في صور شتى؛ وهناك ظاهرة ملحوظة في جو السورة، وهي إن ظل الآخرة يجللها من أولها إلى آخرها، وسياقها يطوّف بالقلب البشري هناك في كل شوط من أشواطها القصيرة ويعيش به في ظلال العالم الآخر معظم الوقت"[3].

ثانيًا: زمن نزول السورة:

إن لمعرفة أماكن نزول السور والآيات أهمية كبيرة، حيث أنها تُعينُ على معرفة أسباب النزول وتتابع ووقت وقوع الأحداث، وبذا تكون آيات القرآن الكريم أكثر وضوحاً في أذهان الناس، كما أن معرفة المكي والمدني تعين على معرفة أسلوب من أساليب التربية الإسلامية الذي هو

---

(1) صـــحيح ابن حبان، باب ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عنْ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا بِجَمِيعِ خَلْقِهِ فِي الْقِيَامَةِ (16/ 318)، حديث (7325)، وصححه الإمام الألباني في كتاب التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (344/10).

(2) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (3/ 2220).

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب (5/ 3033 – 3035).

التدرج في التشريع القرآني، والحكمة الربانية في ذلك لهداية الناس وتربيتهم تربية إيمانية والرقي بهم أفراداً وجماعات لبناء أفضل مجتمع[1].

وسورة الزمر سورة مكية باتفاق العلماء والمفسرين، إلا بعض آيات منها، قيل ثلاث آيات وقيل سبعة آيات وقيل تسع آيات، نزلت في المدينة، ومن أقوال أهل العلم التالي:

أولاً: القول بأنها مكية إلا ثلاث آيات وهي من قوله ﷻ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر:53] وحتى قوله ﷻ ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر:55][2].

ثانياً: القول بأنها مكية إلا آيتين وهما: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر:23]، وقوله ﷻ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر:53][3].

ثالثًا: القول بأنها مكية إلا مجموعة من الآيات وهي آخر السورة، بالإضافة إلى الآيات المذكورة في الفقرات السابقة[4].

والمتتبع للآيات في سورة الزُّمَر يجد أن جميع آياتها تأخذ الطابع المكي من حيث احتوائها لقضايا العقيدة وتقرير وحدانية الله ﷻ، وخلوها من التشريعات التي هي من الطابع المدني، وعليه فإن الغالب على السورة الطابع المكي، فهي مكية وإن اشتملت على آيات مدينة.

---

(1) انظر: المضامين التربوية المستنبطة من سورة الزمر، رسالة ماجستير، تشرنو إبراهيم باه، إشراف د. أحمد ضليمي ود. محمد العقيل، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، 1426هـ – 1427هـ، (ص: 47).

(2) انظر: تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (8/ 220)، وانظر أيضًا: تفسير الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 110)، وانظر أيضًا: تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 517).

(3) انظر: تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (517/4)، وانظر أيضًا: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (2/ 324)

(4) انظر: تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (517/4)، وانظر أيضًا: زاد المسير في علم التفسير (7/4).

ثالثًا: ترتيبها وعدد آياتها:

أولاً: ترتيبها في المصـــــاحف العثمانية التي بين أيدينا اليوم، والتي قام بجمعها أبو بكر الصـــديق ﷺ، في الجَمعَة الأولى للقرآن، والتي ارتضـــاها عثمان بن عفان ﷺ بعده، وقام بنشـــره بين الأمصار، التاسعة والثلاثون بعد سورة (ص) وقبل سورة (غافر) وتمتد من الحزب (السادس والأربعون من الجزء الثالث والعشـــرون) وحتى الحزب (الســـــابع والأربعون من الجزء الرابع والعشرون).

ثانيًا: ترتيبها حســـب نزول الوحي على النبي ﷺ من أمين الوحي جبريل عليه السلام، الســـورة الثامنة والخمسون، ونزلت بعد سورة (سبأ) وقبل سورة (غافر)[1]، وقد نزلت في الفترة الأخيرة من حياة المسلمين بمكة، بعد الإسراء وقبيل الهجرة[2].

ثالثًا: وآياتها خمس وسبعون آية في المصـحف الكوفي، وثلاث وسبعون في المصـحف الشامي، واثنتان وسبعون في غيرهما، وكلماتها ألف ومائة واثنتان وسبعون كلمة، وحروفها أربعة آلاف وتسعمائة وثمانية أحرف[3].

---

(1) انظر: التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: 1383 هـ.

(2) الموسوعة القرآنية خصائص السور، جعفر شرف الدين (7/ 255)

(3) انظر تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (8/ 220)، وانظر أيضاً: تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (517/4)، وانظر التفسـير الوسـيط لطنطاوي (187/12)، وانظر تفسـير الألوسي (232/23).

المبحث الثالث

هدف السورة ومقصدها

المطلب الأول: هدف السورة ومحورها الرئيس:

أولاً: هدف السورة:

في السورة دعوة إلى الله وحده وتنويه بقدرته وعظمة مشاهد الكون، وحكاية لبعض عقائد المشركين وأقوالهم وحملة عليهم ومقايسات بين المؤمنين والكافرين، وتنويه بالقرآن وأثره في النفوس الطيبة، وتصوير رائع للبعث والقضاء بين الناس؛ وقد تخلل آيات السورة أمثال ومواعظ ومبادئ عامة، وتلهم بعض آياتها أن فيها إذنا للمؤمنين بالهجرة، والمقايسات التي فيها جاءت بأسلوب نظمي خاص يجعله خصوصية من خصوصيات السورة، وفصولها مترابطة تسوغ القول إنها نزلت دفعة واحدة أو متتابعة(1).

ومن أهم أهداف سورة الزمر إخلاص العبادة لله ﷻ، مصداقاً لقوله ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾[الزمر:2]، أي فاعبده تعالى من غير شوائب الشرك والرياء، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر:3]، أي ألا لله العبادة والطاعة وحده لا شركة لأحد معه فيها، وأن الإنسان خلق في هذه الحياة لعبادة الله وحده لا شريك له.

ثانيًا: محور السورة الرئيس:

من خلال استقراء السورة، وبعد معرفة زمن نزول السورة وهي في العهد المكي، يتضح للباحث أن محور السورة يتركز على الأمور العقائدية بشكل أساسي، ففيها إثبات لعظمة الله وقدرته على الخلق والبعث، وبيان مصير زمرة المؤمنين وزمرة الكافرين، كما أنها تقرر أصول العقيدة من توحيد وإيمان بالله واليوم الآخر، وغيرها من المسائل.

المطلب الثاني: أهم مقاصد السورة:

ومقصدها: الدلالة على أنه ﷻ صادق الوعد، وأنه غالب لكل شيء، فلا يعجل، لأنه لا يفوته شيء، وعلى ذلك دلت تسميتها بالزمر، للإشارة بها إلى أنه سبحانه أنزل كلًّا من المحشورين داره المعدة له، بعد الإعذار في الإنذار، والحكم بينهم بما استحقه أعمالهم عدلا منه

(1) انظر: التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: 1383 هـ، (297/4).

سبحانه على أهل النار، وفضلًا على المتقين الأبرار، وعلى مثل ذلك دلت تسميتها بالغرف، ولا سيما مع ملاحظة ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠﴾ [الزمر:20][1].

وبين محمد سيد الطنطاوي في تفسيره الوسيط بعض من مقاصد السورة نُلخصها في النقاط التالية[2]:

1. الثناء على الله ﷻ الذي أنزل القرآن بالحق على نبيه محمد ﷺ والذي خلق السموات والأرض بالحق والذي خلق الناس جميعا من نفس واحدة.
2. بيان حالة الإنسان عند ما ينزل به الضر، وعن الجزاء الحسن الذي أعده ﷻ للصابرين، وعن العقاب الأليم الذي أعده للخاسرين.
3. إقامة الأدلة المتعددة على وحدانية الله ﷻ وعلى وجوب إخلاص العبادة له، تارة عن طريق خلق السموات والأرض، وتكوين الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر، وخلق الناس جميعًا من نفسٍ واحدةٍ، وتارة عن طريق لجوء المشركين إليه وحده عند الشدائد، وتارة عن طريق توفى الأنفس حين موتها، وتارة عن طريق ضرب الأمثال.
4. دعوة الناس إلى تدبر آيات القرآن، المشتمل على الهدايات والإرشادات والأمثال، وإلى اتباع الرسول ﷺ الذي جاءهم بالصدق، لأن هذا الاتباع يؤدى إلى تكفير سيئاتهم، ورفع درجاتهم عند ربهم.
5. الدلالة على سعة رحمته ﷻ بهم، ودعاهم إلى الإنابة إليه، من قبل أن يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه الندم.
6. تذكير الناس بأهوال الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، وبعث ونشور، وفرح يعلو وجوه المتقين، وكآبة تجلل وجوه الكافرين.
7. تلقين الرسول ﷺ الحجج والإجابات التي يرد بها على شبهات المشركين، وعلى دعاواهم الباطلة، فقد تكرر لفظ «قل» في هذه السورة كثيرًا.

---

(1) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي (2/ 423).

(2) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي (12/ 187-190).

المبحث الرابع
مناسبات تتعلق بالسورة

المطلب الأول: المناسبة بين اسم السورة وهدفها الرئيس:

كما بيَّن الباحث في المطلب السـابق أن محور السـورة وهدفها الرئيس يتركز في الأمور العقائدية بشـكل أسـاسـي، ففيها إثبات لعظمة الله وقدرته على الخلق والبعث، ولابد لكل فئة أو جماعة ممن يسيرون على منهج أن يكون لهم أتباع وأصحاب ولهذا بيَّن الله ﷻ في آخر السورة مصـير زمرة المؤمنين وزمرة الكافرين، ولهذا نرى ارتباطًا وثيقًا بين اسم السـورة ومحورها وهدفها الرئيس الذي بين في ختام السورة مصير كل زمرة من الزمر المذكورة في السورة.

المطلب الثاني: المناسبة بين أول السورة وآخرها:

افتُتِحَت السورة بفَاتِحَةٍ أَنِيقَةٍ فِي التَّنْوِيهِ بِالْقُرْآنِ جُعِلَتْ مُقَدِّمَةً لِهَذِهِ السُّورَةِ لِأَنَّ الْقُرْآنَ جَامِعٌ لِمَا حَوَتْهُ وَغَيْرَهُ مِنْ أُصُـولِ الدِّينِ، فَتَنْزِيلُ مَصْـدَرٌ مُرَادٌ بِهِ مَعْنَاهُ الْمَصْـدَرِيُّ لَا مَعْنَى الْمَفْعُولِ، كَيْفَ وَقَدْ أُضِيفَ إِلَى الْكِتَابِ وَأَصْلُ الْإِضَافَةِ أَنْ لَا تَكُونَ بَيَانِيَّةً[1].

بعد أن ذكر الله ﷻ في الآية المتقدمة كونه منزها عن الولد بكونه إلهًا واحدًا قهارًا غالبًا، أي كامل القدرة، أعقبه ببيان الأدلة الدالة على الوحدانية وكمال القدرة وكمال الاسـتغناء عن أحد من خلقه، فذكر ثلاثة أدلة: خلق السموات والأرض وما فيهما من العوالم، وتذليل الشمس والقمر لقدرته، وتسـييرهما في نظام ومسـار دقيقين، وخلق الإنسـان الأول وتشـعيب الخلق منه، وخلق ثمانية أزواج من أنواع الأنعام ذكرًا وأنثى، وفي كل دليل من هذه الأدلة أدلة ثلاثة أبينها بمشـيئة الله هنا[2].

كما وبدأت السـورة بتقرير كون الكتاب أي القرآن هو تنزيل من الله العزيز الذي عظمت قدرته وعز جانبه، الحكيم الذي جميع أفعاله حكمة وصـواب، ثم وجه الخطاب في الآيات التالية للنبي ﷺ بأن الله قد أنزل إليه الكتاب بالحق وأمره بعبادة الله وحده والإخلاص له في الخضـوع والاتجاه لأن ذلك إنما يجب له وحده، وأشـير بعد ذلك إلى المشـركين إشـارة تنطوي على التقريع لأنهم اتخذوا من دون الله أولياء يشـركونهم معه في الخضـوع والاتجاه زاعمين أنهم إنما يفعلون ذلك ليكونوا أسباب قربى وحظوة لهم عند الله، ثم قرر بأسلوب إنذاري بأن الله سوف يحكم بينهم

---

(1) أنظر: التحرير والتنوير (23/ 314).

(2) التفسير المنير للزحيلي (23/ 248).

فيما هم فيه مختلفون ويجزيهم على ما يزعمون بما يستحقون وأن الله لا يمكن أن يوفق ويسعد كل كاذب كافر، وانتهت الآيات بحجة جدلية من قبيل المساجلة وهي أن الله لو أراد أن يتخذ ولدا لاصطفى أحسن ما يخلق، ثم أكدت تنزهه عن ذلك فهو الواحد القهار الغني عن الولد والمحيط بكل شيء والذي يخضع لحكمه كل شيء[1].

ويرى الباحث أن السورة بدأت بالعنصر الأساسي للسورة وهو التوحيد بالله ﷻ، ثم اختتمت السورة بالعنصر الثاني من عناصر السورة وهو الإيمان باليوم الآخر، ويتضح ذلك من خلال استقراء السورة وخصوصًا في الربع الأخير من السورة من النفخ في الصور وفناء الخلائق ثم النفخ مرة أخرى لبعثهم، وإشراق الأرض بنور الله ﷻ، وتوزع صحائف الأعمال، وينصب الميزان للقضاء بين العباد، فيدخل جماعة المؤمنين الجنة أفوجًا وجماعات، ويدخل النار كذلك أهل الكفر والشرك أفواجًا وجماعات، ثم يُختم بقول أهل الحق ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر:75] على ما وجدوه من نعيم يفوق ما قدموه بكثير.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها:

وجه اتصال أولها بآخر سورة ﴿صٓ﴾ أنه قال هناك: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [ص:87]، وقال جل شأنه هنا: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الزمر:1] وفي ذلك كمال الالتئام بحيث لو اسقطت البسملة لم يتنافر الكلام، ثم إنه تعالى ذكر في سورة ﴿صٓ﴾ أحوال الخلق ابتداءً من قصة خلق آدم عليه السلام، ثم خلق زوجه منه وخلق الناس كلهم منه، وذكر خلقهم في بطون أمهاتهم خلقًا من بعد خلق إلى المعاد، وذكر هنا مثله إلى نحو ذلك من وجوه للربط تظهر بالتأمل، ثم ذكر أنهم ميتون، ذكر في آخر سورة ﴿صٓ﴾ قسم إبليس على إغواء بني آدم إلا المخلصين من عباده فقال ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص:82-83]، وقال في أول سورة الزمر ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزمر:2]، فأمره بعبادة الله مخلصًا له الدين لينجو من إغواء إبليس، وهذا هو السبيل للنجاة[2].

(1) انظر: التفسير الحديث، دروزة محمد عزت (4/ 298).

(2) انظر: التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، فاضل السامرائي، ص 138-139، وانظر أيضًا: تفسير المراغي (23/ 141).

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما بعدها:

"ووجه مناسبة آخر الزمر لأول غافر أنه ﷻ لما ذكر هناك ما يؤول إليه حال الكافر وحال المؤمن، وذكر جل وعلا أنه تعالى ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾[غافر:3] ليكون ذلك استدعاءً للكافر إلى الإيمان والإقلاع عما هو فيه"(1).

ولما كان ختام سورة الزمر إثبات الكمال لله ﷻ بصدقه في وعده ووعيده بإنزال كل فريق في داره التي أعدها له، ثبت أن الكتاب الذي فيه ذلك منه، وأنه تام العزة كامل العلم جامع لجميع صفات الكمال فقال: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[غافر:2] أي الجامع من الحدود والأحكام والمعارف والإكرام لكل ما يحتاج إليه بإنزاله بالتدريج على حسب المصالح والتقريب للأفهام الجامدة القاصرة، والتدريب للألباب السائرة في جو المعاني والطائرة ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾[غافر:2] أي الجامع لجميع صفات الكمال، ولما كان النظر هنا من بين جميع الصفات إلى العزة والعلم أكثر، لأجل أن المقام لإثبات الصدق وعداً ووعيداً قال: ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢﴾[غافر:2](2).

والناظر إلى النظم القرآني يرى الترابط العجيب بين الآيات والسور فنرى أن سورة الزمر لها رابط وثيق بما قبلها وبما بعدها، وكأن هذه السور الثلاثة نزلت جملة واحدة أو متتابعات فنرى أن سورة ﴿صٓ﴾: أولها ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾[ص:1]، وآخرها: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾[ص:87]، وسورة الزمر: في أولها: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾[الزمر:2]، وفي آخرها: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾[الزمر:66]، وفاتحتها بدء الخلق، وخاتمتها المعاد والبعث، وفي أولها بدء الخلق: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾[الزمر:5]، وفي ختامها في نهاية المعاد: ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾[الزمر:75]، وفي سورة غافر: في أولها: ﴿۞أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾[غافر:21]، وفي آخرها: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾[غافر:82]، وفي أولها: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[غافر:14]، وفي آخرها: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[غافر:60](3).

---

(1) التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، فاضل السامرائي، ص 140.

(2) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (17/ 2-3).

(3) انظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع (ص: 62-63)

الفصـــل الأول

التوجيهات التربوية العقدية من خلال سورة الزُّمَر

الفصل الأول

التوجيهات التربوية العقدية من خلال سورة الزُّمَر

المبحث الأول

وحدانية الله وصفاته من خلال سورة الزُّمَر

المطلب الأول: اثبات وحدانية الله ﷻ:

تعريف التوحيد: (وَحَدَ) "الْوَاوُ وَالْحَاءُ وَالدَّالُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الِانْفِرَادِ، مِنْ ذَلِكَ الْوَحْدَةِ، وَهُوَ وَاحِدُ قَبِيلَتِهِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مِثْلُهُ"[1]، [وحد] الوَحْدَةُ: "الانفرادُ. تقول: رأيته وحدَه"[2]، "الواحد أولُ عدد الحساب بُني على انقطاع النظير وعوز المثل"[3].

تعريف التوحيد اصطلاحًا: "إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات"[4].

تعد سورة الزُّمَر من أكثر سور القرآن شمولًا لكثير من مباحث العقيدة الإسلامية وهي من السور المكية[5] التي تناولت قضايا العقيدة على سبيل التفصيل، ومن هذه المواضيع التي تناولتها الحديث عن التوحيد بأنواعه الثلاثة:

1. **توحيد الأسماء والصفات:** وذلك بذكر الكثير من صفات الله ﷻ، وإثباتها كما يليق بجلاله.
2. **توحيد الألوهية:** وذلك بذكر الكثير من أنواع العبادة التي لا يستحقها إلا الله.
3. **توحيد الربوبية:** وذلك بذكر الكثير من دلائله المحسوسة التي يلمسها العباد ويشاهدونها في حياتهم.

---

(1) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (90/6).

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (547/2).

(3) المعجم الاشتقاقي المؤصل (387/1).

(4) القول المفيد على كتاب التوحيد، ابن عثيمين (11/1).

(5) باستثناء ما تم تفصيله في الفصل التمهيدي حول وجود بعض الآيات المدنية في السورة، مع التأكيد على مكية السورة لأن الصبغة العامة للسورة مكية من حيث القضايا التي تعالجها.

كما اشـتملت أيضًـا على بيان ما يناقض التوحيد وينافيه وهو الشـرك بالله العظيم، وذلك بذكر الفرق بين المشرك والموحد، وأصل الشرك في بني الإنسان، وذم الإنسان الذي يجعل لله أندادًا، وبيان أن الشرك محبط للعمل وأن صاحبه من الخاسرين(1).

كما أن "أهمية التوحيد تكمن في أن الله ﷻ ذكره في كتابه ودعى إليه في أكثر آيات القرآن بل إن لم تكن كلها كما ذكر ذلك العلماء"(2).

وقد ورد التوحيد في سـورة الزمر في سـياق الآيات التالية: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر:3-4].

جاءت هذه الآيات المباركات بعد أن التأكيد على أن هذا القرآن مُنَزل من الله ﷻ وهو غير مفترى كما يزعم الزاعمون الجاحدون الذين طمس الله على أبصـارهم، واسـتحبوا العمى على الهدى، ثم بدأت هذه الآيات بقوله ﷻ: ﴿أَلَا لِلَّهِ﴾ لله وحده لا شريك له، له الدين البريء من كل شائبة.

ويقول صـاحب الظلال: "يعلنها هكذا مدوية عالية في ذلك التعبير المجلجل، بأداة الافتتاح ﴿أَلَا﴾ وفي أسلوب القصر ﴿لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ ثم يعالج الأسطورة المعقدة التي كان المشركون يواجهون بها دعوة التوحيد، فلقد كانوا يعلنون أن الله خالقهم وخالق السـماوات والأرض ولكنهم لم يكونوا يسيرون مع منطق الفطرة في إفراد الخالق إذن بالعبادة، وفي إخلاص الدين لله بلا شريك، إنما كانوا يبتدعون أسطورة بنوة الملائكة لله سبحانه، والله لا يهدي من يكذب عليه، ويكفر به.

ويستطرد صاحب الظلال بقوله: فالهداية جزاء على التوجه والإخلاص والتحرج، فأما الذين يكذبون ويكفرون فهم لا يستحقون هداية الله ورعايته، وهم يختارون لأنفسهم البعد عن طريقه، ثم يكشـف عن سـخف ذلك التصـور وتهافته: ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾، وهو فرض جدلي لتصـحيح التصـور، فالله لو أراد أن يتخذ ولدًا لاختار ما يشاء من بين خلقه فإرادته مطلقة غير مفيده، ولكنه ﷻ نزه نفسه عن اتخاذ الولد،

---

(1) انظر: مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي عايض حسن الشيخ (ص:13).

(2) التوحيد وأثره في حياة المسلم – حمد بن إبراهيم الحريقي (ص: 17).

فليس لأحد أن ينسب إليه ولدًا، وهذه إرادته، وهذه مشيئته، وهذا تقديره وهذا تنزيهه لذاته عن الولد والشريك"[1].

ومن عظمة القدرة الإلهية التي تجلت في مناسبات مختلفة، يورد الله تعالى البراهين والأدلة الحسية القطعية على وحدانيته، وقدرته، واستغنائه عن مخلوقاته، ليقتنع اللادينيون من الملاحدة والمشركين بأن الله تعالى هو وحده الإله الحق، وأنه القادر على كل شيء، وأنه مستغن عن جميع مخلوقاته وموجوداته، وتلك الأدلة والبراهين محسوسة مشاهدة، منها خلق السماوات والأرضين وما فيهما من العوالم، وخلق الإنسان من نفس واحدة، وخلق الأنواع الثمانية من الأنعام، وهذه آي كريمة تعبر بجلاء واضح عن هذه الموجودات[2].

الفوائد التربوية المستنبطة من الآيات:

أولاً: الحزم في الخطاب: نجد أن الله ﷻ من خلال هذه الآيات كان حازمًا في خطابه مع من يدعون أن هناك إلهًا آخر مع الله تبارك وتعالى، فقال ﷻ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ لا لأحد سواه، فلابد لصاحب الحق أن يدافع ويصدح بالحق بكل قوة وحزم مع احترام الخصم بإظهار الحجة والبرهان، والدليل والبيان.

ثانيًا: إظهار الدليل بلغة الحوار: الحوار لغة راقية وفن لا يجيده إلا القليل، وهو ينم عن وعي المحاور في كيفية التعامل مع الفئة المُخاطبة باحترامهم واحترام عقولهم حتى لو كان مخالفاً لهم، ويسمح لهم بالتعبير عن آرائهم بأدب ولباقة مع عدم مصادرة آراء الآخرين، أمّا الفئة الأخرى فهي عكس ذلك تماماً فهي لا تجيد فن الحوار ولا تعرف الرأي الآخر، بل ولا تقبل أفكاره ولا ثقافته.

وقد حاور الله ﷻ من خلال القرآن المخالفين والمنكرين، كما حاور الذين يفترون عليه الكذب فقال ﷻ: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤﴾، وهنا لا يمكن لأي مجتمع أن يكون حضارياً إلاّ بترسيخ ثقافة الحوار وروح التسامح والتنوع الفكري، حتى نضمن التغلب على التحديات التي تواجه المجتمع بأقل كلفة وأسرع وقت، وحتى نربي جيلًا بعقلية متفتحة يقبل لغة الحوار والإقناع بأسلوب قرآني راقي.

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب (5/ 3037)

(2) أنظر: التفسير الوسيط، الزحيلي (3/ 2222 – 2223)

ثالثًا: الامتثال لأمر الله ﷻ: الحث على امتثال أمر الله ﷻ إيمانًا، واستجابة لشرعه بتبليغ رسالة محمد ﷺ بالإقناع وباستخدام الأدلة العقلية والنقلية حتى يدخل الفرد هذا الدين ويصل به الإخلاص إلى بذل حياته لأجله.

المطلب الثاني: الله هو الخالق المدبر:

تعريف الخلق: "والْخَلْقُ فِي كَلَام الْعَرَب: ابتداعُ الشَّيْء على مثالٍ لم يُسْبَقْ إليْه، وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ الأنْبَارِيّ: الْخَلْقُ فِي كَلَام الْعَرَب على ضَرْبَيْنِ، أَحدهمَا: الْإِنْشَاء على مثالٍ أبدعه، وَالْآخر: التَّقْدِير"[1].

تعريف الخلق في الاصطلاح: "والخلق صفة من صفات الله الفعلية الثابتة بالكتاب والسنة، وهي مأخوذة أيضاً من اسمه (الخالق) و (الخلاق)، وهي من صفات الذات وصفات الفعل معاً"[2]، وقال الأزهري[3] "وهي صفة خاصة بالله ﷻ ولا تجوز لأحد غيره"، ومن الأدلة على ذلك من السنة النبوية:

حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: (قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كَخَلْقي؛ فليخلقوا ذرَّة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة)[4].

(1) تهذيب اللغة (16/7).

(2) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين (ص: 177).

(3) هو: محمد بن أحمد بن الأزهري بن طلحة بن نوح الأزهري الهروي الشافعي المذهب، ولد بهراة عام (282هـ)، وقع أسيراً لدى القرامطة في طريق عودته من الحج إلى العراق عام (311هـ)، وعاش أسيراً في بادية البحرين دهراً طويلاً، استفاد خلالها من عرب البادية ألفاظاً ونوادر وأخباراً كثيرة ضمَّنها (التهذيب)، ثم رجع بغداد بعد إطلاق سراحه، ومنها إلى هَراة، فألف فيها كتابه المشهور بـ (تهذيب اللغة)، ولم يخرج منها حتى توفي بها عام (370 هـ)، ينظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي (2321/5)، سير أعلام النبلاء (315/16)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (19/1).

(4) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب نقض الصور، برقم (5953)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب لا تخل الملائكة بيتاً، برقم (2111).

حديث عائشـــة رضي الله عنها في التصـــاوير: (...أَشَـــدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ ﷻ...)[1].

وقد أخبر الله ﷻ عن نفســه بصــفة الْخَلْقُ في قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾[الزمر:62]، وأن إخباره تعالى عن نفسه في الآية بأنه خالق يمنع من دخوله في عموم قوله: ﴿كُلِّ شَيۡءٖ﴾، وإلا كان مخلوقاً لنفسه، وذلك محال.

وقد وردت آيات في سورة الزمر تتحدث عن عظمة خلق الله ﷻ ومن هذه الآيات قوله ﷻ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٥﴾[الزمر:5]

يقول الحق ﷻ: خَلَقَ السَّــماواتِ وَالْأَرْضَ أي: وما بينهما من الموجودات، ملتبســة بِالْحَقِّ مشــتملة على الحكم والمصـــالح الدينية والدنيوية، والخلق تفصـــيلٌ لبعض أفعاله ﷻ الدالة على تفرُّدِه بما ذُكر من الصِّـــفاتِ الجليلة، ويُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ، وَيُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ، أي أن كل واحد منهما يغيّب الآخر إذا طرأ عليه، ويلفه لف اللباس باللابس، أو: يغيّبه كما يغيب الملفوف باللفافة، وهذا بيان لكيفية تصرفه تعالى في السماوات والأرض بعد بيان خلقهما، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ: جعلهما منقادين لأمره. كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى، وهو يوم القيامة[2].

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٤٦﴾[الزمر:46].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب ما وطئ من التصـــاوير، برقم (5954)، ومســلم في كتاب اللباس والزينة، باب لا يدخل الملائكة بيتاً، برقم (2107).

(2) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (52/5)، وانظر أيضًا: تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (242/7).

قال القرطبي[1] في تفسـيره: "قَالُوا: وَالْفِطْرَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْبَدَاءَةُ. وَالْفَاطِرُ: الْمُبْتَدِئُ، وَاحْتَجُّوا بِمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: لَمْ أَكُنْ أَدْرِي مَا فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى أَتَى أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بِئْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا، أَيِ ابْتَدَأْتُهَا"[2].

وهنا أمر للنبي ﷺ بأن قُل: يا الله يا مبدع السماوات والأرض، وادْعُ أَنْتَ اللَّهَ وحده لا شريك له الذي خلق السماوات وَالْأَرْضَ وَفَطَرَهَا أَيْ جَعَلَهَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابَقَ، و يا عالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ في السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ وتفصل بينهم بالحق، يوم تجمعهم لفصل القضاء فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا من القول فيك وفي عظمتك وسلطانك[3].

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر:62]

﴿ٱللَّهُ﴾ ﷻ ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ ومبدع كل مخلوق من خير وشر، وإيمان وكفر، لكن لا بالجبر، بل بمباشرة الكاسب لأسبابها، أي وهو ﷻ القائم على كل الأشياء، يتولاها بحراسته وحفظه[4].

ويخبر ﷻ عن عظمته وكماله، الموجب لخسران من كفر به فقال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ هذه العبارة وما أشبهها مما يكثُر في القرآن، تدل على أن جميع الأشياء غير الله ﷻ مخلوقة، ففيها رد على كل من قال بقدم بعض المخلوقات، كالفلاسفة القائلين بقدم الأرض والسماوات، وكالقائلين بقدم الأرواح، ونحو ذلك من أقوال أهل الباطل، المتضمنة تعطيل الخالق عن خلقه، وليس كلام الله من الأشياء المخلوقة، لأن الكلام صفة المتكلم، والله تعالى بأسمائه وصفاته أول ليس قبله شيء[5].

---

(1) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرْح، الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين، الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة. أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف، أشهر مؤلفاته: كتاب" الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، وَالْمُبَيِّنِ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ السنة وآي الفرقان" وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعا، وكان مستقرا بمنية ابن خصيب، وتوفي ودفن بها في ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة 671، رحمه الله ورضي عنه. أنظر (تفسير القرطبي، المقدمة ص: (6-7)).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (25/14،319).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ط العلمية (92/7)، وانظر أيضًا: تفسير المراغي (16/24).

(4) أنظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (66/25).

(5) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص: 728)

ومسألة تمسك البعض بِقَوْلِهِ: خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ لِأَعْمَالِ الْعِبَادِ حيث قَالُوا: أَعْمَالُ الْعِبَادِ أَشْيَاءُ، واللَّه تَعَالَى خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ بِحُكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ فَوَجَبَ كَوْنُهُ تَعَالَى خَالِقًا ويُنفى هذا الادعاء بالأمور التالية مع الاستشهاد بالآية الواردة في سورة الأنعام[1]:

أولًا: أَنَّهُ ﷻ قَالَ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ [الأنعام:102] فَلَوْ دَخَلَتْ أَعْمَالُ الْعِبَادِ تَحْتَ قَوْلِهِ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ لَصَارَ تَقْدِيرُ الْآيَةِ: أَنَا خَلَقْتُ أَعْمَالَكُمْ فَافْعَلُوهَا بِأَعْيَانِهَا أَنْتُمْ مَرَّةً أُخْرَى، وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ فَاسِدٌ.

ثانيًا: أَنَّهُ ﷻ إِنَّمَا ذَكَرَ قَوْلَهُ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ فِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَوْ دَخَلَ تَحْتَهُ أَعْمَالُ الْعِبَادِ لَخَرَجَ عَنْ كَوْنِهِ مَدْحًا وَثَنَاءً لِأَنَّهُ لَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَتَمَدَّحَ بِخَلْقِ الفواحش وَالْكُفْرِ.

ثالثًا: إن الْعَبْدِ مُسْتَقِلًّا بِالْفِعْلِ وَالتَّرْكِ، وَأَنَّهُ لَا مَانِعَ لَهُ الْبَتَّةَ مِنَ الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ لله تَعَالَى إِذْ لَوْ كَانَ مَخْلُوقًا لله تَعَالَى لَمَا كَانَ الْعَبْدُ مُسْتَقِلًّا بِهِ، لِأَنَّهُ إِذَا أَوْجَدَهُ اللَّه تَعَالَى امْتَنَعَ مِنْهُ الدَّفْعُ، وَإِذَا لَمْ يُوجِدْهُ اللَّه تَعَالَى امْتَنَعَ مِنْهُ التَّحْصِيلُ.

فَثَبَتَ أَنَّ هَذِهِ الدَّلَائِلَ تُوجِبُ خُرُوجَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ عَنْ عُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.

كما احْتَجَّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ عَلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ، وقالوا بخلق القرآن.

أَمَّا قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ فَالْمَعْنَى أَنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا مَوْكُولَةٌ إِلَيْهِ فَهُوَ الْقَائِمُ بِحِفْظِهَا وَتَدْبِيرِهَا مِنْ غَيْرِ مُنَازِعٍ وَلَا مُشَارِكٍ، وَهَذَا أَيْضًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ لَوْ وَقَعَ بِتَخْلِيقِ الْعَبْدِ لَكَانَ ذَلِكَ الْفِعْلُ غَيْرَ مَوْكُولٍ إِلَى اللَّهِ ﷻ، فَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ ﷻ وَكِيلًا عَلَيْهِ، وَذَلِكَ يُنَافِي عُمُومَ الْآيَةِ.

السبب الذي خلق الله ﷻ الخلق لأجله:

أولاً: وجود الخلق دليل على وجود الخالق: فلابد لهذا الخلق العظيم ما علمنا منه وما لم نعلم من خالق يخلقه ويبدأه، ولم يُنشأ هذا الكون من عدم ومن فراغ أو بمحض الصدفة كما

(1) انظر: مفاتيح الغيب – التفسير الكبير، الرازي (13/ 95 – 96)، (27/ 470).

يدعي الملاحدة وقد قال الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص:27].

ثانيًا: لتحقيق الهدف السامي وهو عبادة الله ﷻ: فقد خلق الله ﷻ الخلق لعبادته ﷻ كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:56] وهو الغني عنهم كما قال الحديث: عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ"[1].

فالعبادة حاجة العباد، وسبب فوزهم وفلاحهم في الدارين، وهي حق لخالقهم ورازقهم المنعم عليهم، فواجب العبد وغايته في هذه الحياة هو التحلي الكامل بصفة العبودية، التي هي شرف للعبد، وتاج يفتخر به أمام العالمين، وحق الله تعالى على عباده هو عبادته، والتسليم له، والانقياد لأمره.

ثالثًا: ترسيخ مبدأ العدالة بين العباد: فبعد أن خلق الله الخلق وحرم على نفسه الظلم حرمه على عباده، ليحيى العباد بأمن وأمان وحب ووئام كما قال ﷻ: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية:22] والله ﷻ أعطى عباده أكثر مما يستحقون، ولا يعامل بالمثل بل بالعفو والغفران.

---

(1) صحيح مسلم، (15) باب تحريم الظلم، (4/ 1994) حديث رقم (2577).

رابعًا: تحصـــــيل الأجور العظيمة مقابل الأعمال القليلة: وهذا دليلٌ على أن الله ﷻ غني عن عباده، فبأعمال يسـيرة بسـيطة وضـمن هذه الحياة القصـيرة الفانية التي هي سـنوات معدودة مهما طال الأمد فيها إن أخلص النية لله ﷻ فإنه يأخذ مقابلها جنة عرضـها السموات والأرض لا ينفذ نعيمها ولا ينضب ولا نهاية لهذا النعيم.

الآثار الإيمانية للإيمان بصفة الخلق:

أولاً: الإيمان بالخالق ســـبحانه يســـتلزم الإيمان بوحدانية الله وألوهيته وإفراده بالعبادة، قـــال ﷻ: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان:11].

ثانيًا: التفكر في خلق الله تعالى وملكوته يقود إلى إيمان راســخ بالله الخلاق ﷻ، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران:190].

ثالثًا: الإيمان باسمه (الخالق) يقتضـي الإقرار بعلم الخالق سبحانه بجزئيات خلقه صـغيرها وكـبـيـرهـا، ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك:13-14].

المطلب الثالث: ثبوت صفة الغنى والرضى لله ﷻ:

يقول الله ﷻ في كتابه العزيز في السورة موضوع البحث: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الزمر:7]، وبالإضافة إلى السياق القرآني للآية ومضمونها، فإن القرآن الكريم يؤخذ منه الفوائد واللطائف والمعاني من ظاهر النصوص وباطنها، وقد وردت في هذه الآية صفات لله ﷻ وهي صفتي الغنى والرضى، وقد اختلف كثير من الطوائف الإسلامية لإثبات هذه الصفات، ولكنني أسير في هذا البحث على منهج سلف الأمة، بحيث أُثبتُ ما أثبته الله ﷻ لنفسه وأنفي ما نفاه ﷻ عن نفسه.

ولا بد أن أستعرض في البداية التعريفات الخاصة بألفاظ الصفات الواردة في الآية الكريمة والتي تتحدث عن صفات الله ﷻ:

تعريف الغنى: (غَنِيَ) الْغَيْنُ وَالنُّونُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى الْكِفَايَةِ، وَالْغَنَاءُ بِفَتْحِ الْغَيْنِ مَعَ الْمَدِّ: الْكِفَايَةُ[1]، وغنيت المرأة بزوجها غنيانا: أي استغنت[2] وهو ضد الفقر والحاجة.

تعريف الغنى في الاصطلاح: وجود الكفاية مما يعمرُ الحيّز بطيبه ويقيم أمره، كالمال في الحوزة وهو مطلوب يلطف الحياة، وكالناس ووجودهم عُمْران وأُنْس في المنازل[3].

فله سبحانه الغنى التام المطلق من كل وجه؛ بحيث لا تشوبه شائبة فقر وحاجة أصلاً، وذلك لأن غناه وصف لازم له، لا ينفك عنه، لأنه مقتضى ذاته، وما بالذات لا يمكن أن يزول.

والله ﷻ غني عن العباد، ولكن لا غنى للعباد عن الله ﷻ، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر وصار من أهل الحين، أي أنه من زعم واعتقد بغناه عن الله ﷻ طرفة عين فهو كافر مرتد وصار من أهل الحين أي من أهل الهلاك[4].

تعريف الرضى: رَضِيَ يَرضَى رِضَىً ورِضواناً ومرضاةً. والرِّضَيُّ: المَرْضِيُّ، (فَعِيلٌ) بمعنى (مَفْعُولٍ)[5]، وهُوَ بكَسْرِ الْمَاضِي وفَتْح المُضارِعِ[6]، وهو عكس السخط.

تعريف الرضى في الاصطلاح: قالَ الَّراغبُ[7]: "رِضا العَبْد عَن اللهِ أَنْ لَا يَكْرَه مَا يجْرِي بِهِ قَضاؤُه، ورِضا اللَّه عَن العَبْد هُوَ أَنْ يَراهُ مُؤْتَمِراً لأَمْرِه ومُنتهياً عَن نَهْيِه"[8].

---

(1) انظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (4/ 397).

(2) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (8/ 5019).

(3) أنظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (3/ 1611).

(4) أنظر: شرح الطحاوية للراجحي (ص: 359، بترقيم الشاملة آليا).

(5) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء (ص: 92).

(6) أنظر: تاج العروس (38/ 156) تاج العروس (38/ 157).

(7) العَلاَّمَةُ المَاهِرُ المُحَقِّقُ البَاهِرُ أَبُو القَاسِمِ؛ الحُسَيْنُ بن محمد بنِ المُفَضَّلِ الأَصْبَهَانِيُّ، المُلَقَّبُ بِالرَّاغِبِ (502 هـ – 1108م)، ولم أجد له تاريخ وفاة فيما أعلم، أحد أعلام العلم، ومشاهير الفضل متحقق بغير فن من العلوم صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، تصانيفه تدل على تَحْقِيقه وسعة دائرته فِي الْعُلُوم وتمكُّنه مِنْهَا، كَانَ مِنْ أَذكيَاء المتكلِّمِين، وكان من أئمة السنَّة، سكن بغداد، واشتهر. (انظر: سير أعلام النبلاء ط الحديث (341/13)، معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (3/ 1156)، الأعلام للزركلي (2/ 255)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول (2/ 56)، الوافي بالوفيات (13/ 29)).

(8) تاج العروس (38/ 156).

والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى[1]:

وهذه الصفات من الصفات الفعلية لله ﷻ وهذه الصفات لا تشبه صفات الناس أو الخلق، أي أن الله تعالى يغضب ويرضى لكن لا يشابه المخلوقين في غضبهم ورضاهم؛ لأنه ﷻ كما أخبر عن نفسه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:11].

أنواع صفات الله ﷻ:

وصفات الله ﷻ تنقسم إلى نوعين وهما[2]:

النوع الأول: صفات ذاتية مثل صفات السمع والبصر واليد والوجه.

النوع الثاني: صفات فعليه لله ﷻ كالرضى والغضب والحب والبغض.

وهذا مذهب أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى ﷻ في إثبات صفات الذات كالسمع والبصر، وإثبات صفات الأفعال كالغضب والرضا والحب والبغض والعداوة والولاية والكلام التي ورد بها الكتاب والسنة على ما يليق بجلال الله وعظمته ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله ﷻ، أي يثبتونها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكليف ولا تمثيل.

أما مذاهب أهل التعطيل: مثل الجهمية[3] والمعتزلة[4] فمذهبهم في صفات الذات وصفات الأفعال: نفي كل ما وصف الله به نفسه من صفات الذات وصفات الأفعال، ويقولون: إنما هي أمور مخلوقة محدثة منفصلة عن الله ليس هو في نفسه متصفًا بشيء من ذلك.

---

(1) انظر شرح هذا الباب: من كتاب شرح الطحاوية للراجحي (ص: 360، بترقيم الشاملة آليا)

(2) دروس في العقيدة، عبد العزيز الراجحي (12/5).

(3) والجهمية هم الذين ينتسبون إلى جهم بن صفوان، وهذا الرجل ظهر في أوائل المائة الثانية، ونسب إليه تعطيل الصفات؛ لأنه هو الذي نشر عقيدة نفي الصفات بين الناس وأظهرها، وقد سبقه رجل آخر أسس عقيدة نفي الصفات، وهو الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري أمير العراق، وتعطيل الجعد بن درهم كان في كلمتين فقط: الكلمة الأولى: نفيه أن يكون الله اتخذ إبراهيم خليلاً، والكلمة الثانية: نفيه أن يكون الله كلم موسى تكليماً، فقتله خالد بن عبد الله القسري أمير العراق، بفتوى من علماء زمانه وأكثرهم من التابعين رحمهم الله (انظر: شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة (1/61)).

(4) المعتزلة فرقة إسلامية تنتسب إلى واصل بن عطاء، تميزت بتقديم العقل على النقل، من أسمائها القدرية والوعيدية والعدلية، سموا معتزلة لاعتزال مؤسسها مجلس الحسن البصري بعد خلافه معه حول حكم الفاسق فقال الحسن البصري: هو تحت المشيئة (إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه)، فعارضه واصل بن عطاء وقال

ومن الأدلة على إثبات صفة الرضى لله ﷻ من السنة النبوية المشرفة الحديث الذي يرويه أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا"[1]، وهذا مصداقًا لقوله ﷻ:

﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾ [الزمر:7]

وبالنظر إلى الآية السابقة يتضح لنا أنها تتطرق إلى مسألة الشكر والكفر، ففي البداية يقول الحق ﷻ: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ ﴾ اي إن تكفروا بالنعم التي أُنعمت عليكم وتمتنعون عن الشكر غفلةً أو جحودًا فإن الله ﷻ غني عنكم، وغناه وعدم احتياجه لا يمنعان من أن تشكروا وتتجنبوا الكفر، بل أنتم من تحتاجون إليه، لأنّ التكليف إنّما هو لطف ونعمة إلهية، كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ ﴾[2]، "وكيف يرضى ﷻ بالكفر، وقد نهى عنه، وأوعد عليه، وأمر بالإيمان، وحث عليه، ورغب فيه، ويثبكم عليه"[3].

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ﴾ بيانٌ لعدم سرايةِ كفر الكافر إلى غيرِه أصلاً أي لا تحملُ نفسٌ حاملة للوزر حملَ نفسٍ أخرى ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ عند ذلك ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۚ﴾ أي كنتُم تعملونَه في الدُّنيا من أعمال الكفر والإيمانِ أي يُجازيكم بذلك ثواباً

أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن وليس بكافر (انظر: شرح لمعة الاعتقاد لخالد المصلح (19/19)، وانظر عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة (ص: 152)).

(1) صحيح البخاري – باب صفة الجنة والنار (8/ 114) حديث رقم (6549)، وباب كلام الرب مع أهل الجنة (151/9) حديث رقم (7518)، وصحيح مسلم – باب إحلال الرضوان على أهل الجنة (2176/4) حديث رقم (2829)، وصحيح ابن حبان – ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنْ وَصْفِ رِضَا اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا الَّذِي يَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ (470/16) حديث رقم (7440).

(2) انظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل – ناصر مكارم الشيرازي – (27/15–29).

(3) أوضح التفاسير – محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (1/ 561).

وعقاباً ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي بمضـــــمرات القلوبِ فكيف بالأعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبئة[1].

الآثار التربوية المترتبة على الإيمان بصـــفتي الرضـــا والغنى لله ﷻ والمعنى الإجمالي للآية:

1. معرفة الله ﷻ والعلم بأســمائه الحســنى وصـــفاته العلى زيادة في إيمان العبد ويقينه وتحقيقه للتوحيد، ومن خلال تلك المعرفة والإيمان يتذوق الإنســـان طعمَ العبودية لله ﷻ، وبحســـب معرفة المرءِ بربه يكون مســـتوى إيمانه، فكلما ازدادت المعرفة ازداد الإيمان، وكلما نقصت نقص الإيمان.
2. أن العبد إذا ســأل ربًا غنيًا فإنه لا يخشـــى أن يُرد خائبًا، فإن كان الغني هو الله، فإن العبد يحيى بطمأنينة نفس وراحة سريرة، ويجعل التوكل كله على ربه الغني.
3. الطمع في رضـوان الله، فإن رضـى الله ﷻ هو من أجل وأعظم مطالب العبد، كما ورد في الحديث السابق لخطاب الله ﷻ لأهل الجنة.
4. تحمل كل شـخص مسئولية أعماله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ﴾، ولكن من الممكن أحيانا أن يكون الإنســان مشـتركا في ذنوب الآخرين، وذلك عندما يكون داعيًا أو مساهمًا مع الآخرين في تهيئة مقدمات أو أسس ذلك الوزر، كالذين يبتدعون البدع أو السـنن الضــالة، في هذه الحالة تكون ذنوب أي شـخص يرتكب تلك المحرمات في ذمة مسببها الرئيسي دون أن تقل ذنوب ذلك الشخص الذي ارتكب الذنب.
5. الإنسان مخير في أعماله في الدينا ولكن مرده إلى الله ﷻ وسيُحاسب على كل صغيرة وكبيرة قام بها لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ﴾.
6. كون مســـألة الحســـاب والعقاب لا يمكن أن تتمّ ما لم يكن هناك اطلاع وعلم كاملين بالأسرار الخفية للإنسان، تختتم الآية بالقول: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.
7. التقيد بالتكاليف وخصوصياته مسئولية الإنسان، ومسألة العقاب والجزاء والثواب ترجع إلى الله ﷻ ومعلوم أن قليل العمل يُقابل بعظيم الأجر، وهذه النقطـة تلفت الانتباه، وهي أنّ أساس تحمّل كلّ إنسان لمسؤولية أعماله يعدّ من الأسس المنطقية والمسلم بها في كلّ الأديان السماوية، فمن عمل صالحًا فلنفسة ومن أساء فعليها.

(1) انظر: تفسير أبي السعود – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (7/ 244)

المطلب الرابع: صفة العدل ﷻ:

تعريف العدل: (عَدَلَ) "الْعَيْنُ وَالدَّالُ وَاللَّامُ يَدُلُّ عَلَى اسْتِوَاءٍ، وَالْعَدْلُ: نَقِيضُ الْجَوْرِ، تَقُولُ: عَدَلَ فِي رَعِيَّتِهِ"[1]، ورجلٌ عَدْلٌ: "أي رِضاً ومَقْنَعٌ في الشهادة"[2]، ويأتي أيضًا بمعنى موازنة ثِقْل في جانب بثِقْل في جانب آخر حتى يتّزِنا، ومنه أخذ معنى الاستواء أو التسوية وكذلك الموازنة وما بمعناها[3].

تعريف العدل في الاصطلاح: "صفةٌ ثابتةٌ لله ﷻ، وهو سبحانه موصوف بالعدل في فعله، فأفعاله كلها جارية على سنن العدل والاستقامة، ليس فيها شائبة جور أصلاً؛ فهي دائرة كلها بين الفضل والرحمة، وبين العدل والحكمة"[4].

والعدل هو: الاستقامة على طريق الحق، واستعمال الأمور في مواضعها ومقاديرها، من غير إسرافٍ ولا تقصيرٍ.

وهو الإنصاف، وإعطاء المرء ما له، وأخذ ما عليه، وهو مأمورٌ به في القرآن الكريم، ويحث عليه، ويدعوا إلى التمسك به.

والدليل على ثبوت صفة العدل لله ﷻ من خلال السنة النبوية: ما روي من حديث ابن مسعود ﷺ، وقوله ﷺ للذي قال: والله؛ إنَّ هذه قسمة ما عدل فيها، فقال النبي ﷺ: (فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ)[5].

وقد وردت جملة من الآيات في عموم القرآن الكريم تحث العباد على العدل في جميع المعاملات الخاصة بهم في دنياهم من خلال معاملاتهم المالية والأُسرية وشئون البلاد والإصلاح بين العباد، جعل من أُسس دعائم رفعة المجتمع قيام العدل، وكثيرًا نجد الشعارات داخل دور

---

(1) انظر: مقاييس اللغة (4/ 246-247).

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (5/ 1760).

(3) انظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (3/ 1423).

(4) الموسوعة العقدية – الدرر السنية (2/ 161، بترقيم الشاملة آليا).

(5) صحيح البخاري – باب ما كان للنبي ﷺ يُعْطِي المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الخُمُسِ وَنَحْوِهِ (4/ 95) حديث رقم (3150)، وصحيح ابن حبان – باب ذِكْرُ مَا يُسْتَحَبُّ لِلْإِمَامِ إِعْطَاءُ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ خُمْسِ خُمُسِهِ وَإِنْ أُسْمِعَ فِي ذَلِكَ مَا يَكْرَهُ (160/11) حديث رقم (4829).

القضاء ترفع شعار "العدل أساس المُلك" وهو شعار إن طُبق حقيقةً تكون الرفعة وإن كان عكس ذلك فلابد من الاستبدال وإن طال الزمان.

ولما كان العدل من مقومات الراحة لدى العبد فقد أمر الرسول ﷺ أصحابه في بداية الدعوة الإسلامية لما اشتد بهم الظلم في مكة بالهجرة إلى الحبشة رغم أنها كانت دولة كافرة لا تؤمن بمحمد ﷺ في ذلك الوقت، حيث قال لهم النبي ﷺ: "لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ؟ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ"[1]، وهذا ما دفع المسلمين إلى الامتثال لأمر النبي ﷺ بالهجرة وهم في طمأنينة تامة لأمرين، الأول هو أمر الرسول ﷺ وهو وحي من الله ﷻ، والثاني أنهم ذاهبون إلى ملك عادل لا يُظلم عنده أحد.

العدل كما صورته سورة الزمر:

وقد وردت آيات عديدة في سورة الزمر تدور حول تطبيق عدل الله ﷻ بين العباد في حياتهم وبعد مماتهم عند العرض عليه للحساب.

ومن هذه الآيات الواردة في السورة: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر:7-10].

ابتدأت الآيات بتقرير استغناء الله ﷻ عن عباده، وأنه غني عنهم، ولكن العباد هم الفقراء إليه ﷻ، ثم أنه لا يرضى ولا يقبل الكفر لهم لما فيه شقاءٌ له، ولكنهم هم من يُقررون مصيرهم وهم مُخيرون فيما يفعلون، وإنه يدعوهم إلى اتباع طريق الهداية والصلاح ويُهيئ لهم أسبابه، ومن كمال عدل الله ﷻ أن كل إنسان يُحاسب لوحده ويحاسب عما فعل دون أن يُسأل عن ذنوب الآخرين، إلا إذا كان سببًا في هذه الذنوب أو يكون قد تولى أمرهم ولم يقوم بواجبه تجاههم، فإنه

(1) البداية والنهاية ط إحياء التراث (85/3)، والسيرة النبوية لابن هشام (321/1)، وقد حكم الإمام الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها بأن إسناده جيد (578/7).

يُحاسـب عن أخطائهم؛ ومن كمال علم الله ﷻ وعدله علمه بما في صـدور الناس، وبما يُخفونه وما يُبدونه حتى يحاسبهم عما فعلوه وعن نواياهم التي فعلوا أفعالهم بناءً عليها؛ ويُقرر الله ﷻ أنه يستجيب من جميع عباده حيث يلتجأ العبد لله عند الشدائد ويتضـرع إليه بكشف الضـر الذي أصـابه عَجَزَ عن دفعه وصده، فتراه يُبادر إلى الاستعانة بالله ﷻ، والتضـرع إليه، لأنه يعلم في قرارة نفسه أنه لا يكشف الضر سوى الله ﷻ، وعند استجابة الله ﷻ لهم يُقابلونه بالإعراض والعناد والكُفر وينسَوْن ما كان بهم من الحاجة إلى الله ﷻ، ولكن الله من فضله وسعة رحمته أنه يُمهلهم لعلهم يرجعون، كما أن الله لا يُمكن أن يُساوي بين العابد الزاهد القائم بوظائف الطاعات الذي أفنى حياته في طاعة الله ﷻ ومن هو لاهٍ عاصٍ له ﷻ، ثم يختتم الله هذه الآيات أن من صَـبر وجاهد نفسه فإن أجره سيكون كبيرًا عظيمًا في الدنيا بالصـحة والعافية والرضـى بما قدره الله له وعليه، والآخرة بالفوز بالجنان والرضوان من الله ﷻ على عباده[1].

فضائل وآثار العدل في المجتمع الإسلامي:

1. انتشار الأمن والأمان في البلاد، وشعور الأفراد بالاستقرار والطمأنينة.
2. حصـول الخير الكثير والبركة في البلاد، لأن الله ﷻ يبارك في الأمة العادلة، ويفيض عليها بالخير والبركات، فالظلم أساس النقص والحرمان، وقد قيل في بعض الحِكم أنه ما أفلحت أرضٌ سال عدل السلطان فيها، ولا مُحيت بقعةٌ فاء ظلّه عليها.
3. ظهور رجحان العقل به، حيث من كان عاقلًا لا بد أن يتّخذ من العدل منهجًا يسـير عليه في الحكم بين الناس.
4. سيادة التعاون والتماسك في المجتمع، لعدم وجود الظلم الذي يسبّب الضغينة والكراهية في النفوس.
5. حصول التوافق والوئام بين الحاكم وشعبه.

مظاهر عدل الله ﷻ على عباده:

أولًا: العدل في الخلق، فقد خلق الله ﷻ الخلق من عناصـر مختلفة، فكان خلق الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق الإنسـان من طين، وقد جعل الله لكل صـنفٍ من خلقه

---

(1) انظر: تفسير البغوي – إحياء التراث (81/4)، وتفسير البيضاوي – أنوار التنزيل وأسرار التأويل (37/5-38)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (347/4)، وأيسر التفاسير للجزائري (470/4)، والتفسير الوسيط للزحيلي (2225/3-2228).

خصـائصـه ودوره في الحياة بما يتناسـب مع مادة خلقه وخصـائصـه وبما يحقق مفهوم العدالة في الخلق، فالملائكة على سـبيل المثال لا يقع عليهم التكليف والحسـاب كما هو الحال مع الإنس والجن لأنّهم معصومون لا توجد فيهم شهوات النفس البشرية ونزواتها التي جبل عليها البشر.

ثانيًا: تقسـيم الأرزاق بين النـاس، فقد كتب الله ﷻ الرزق لعباده وهم أجنـة في بطون أمهاتهم، وقسم لكلّ إنسانٍ رزقه دون أن يحرم إنسانًا من ذلك.

ثالثًا: إنزال الشـرائع على الرسـل والأنبياء، فلم يترك الله ﷻ عباده دون منهج وشـريعة يسيروا عليها في الدنيا، فقد أوضـح الله في شـرائعه السـماوية التي نزلها على رسـله طريق الخير وأسباب الفلاح في الدنيا والآخرة، كما بين طريق الشر والضلال حتى يجتنبها الناس.

رابعًا: الملائكة المعصـومون من الخطأ هي التي تتولى مهمة تسـجيل أفعال العباد، فقد وكلّ الله ﷻ بكل إنسانٍ ملائكة تسجل عليه ما يفعله من حسنات وسيئات.

خامسًا: وضـع الموازين يوم القيامة، فحينما يقوم الناس للحساب يوم القيامة يؤتى بالميزان الذي يزن أفعال العباد حسنات وسيئات فلا تظلم نفس شيئاً.

المطلب الخامس: ثبوت القبضة واليمين لله ﷻ:

معنى القبضة في اللغة: (قَبَضَ) "الْقَافُ وَالْبَاءُ وَالضَّادُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مَأْخُوذٍ، وَتَجَمُّعٍ فِي شَيْءٍ"[1]، قبض: "{ويقبضـون}: يمسكون"[2]، [قبض] "قبضـت الشـيء قبضـا: أخذته. والقبض: خلاف البسط"[3]، [قَبض]: "القباضـة: مصدر القبيض، وهو السريع"[4].

معنى القبضة في الاصطلاح: "جمع الكف على الشيء بشدة إمساكًا له كما في قبض اليد على السيف"[5].

---

(1) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني الرازي (5/ 50).
(2) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان الأندلسي (ص: 263).
(3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الفارابي (3/ 1100).
(4) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان اليمني (8/ 5359).
(5) المعجم الاشتقاقي المؤصل، د. محمد جبل (4/ 1728).

ويُفهم من نص الآية أن قبضـة الله ﷻ قبضـة حقيقية كما أثبتها الله ﷻ لنفسـه وكما أثبتها له نبيه ﷺ من غير تأويل ولا تشبيه.

وقد وردت آيات كثيرة تذكر القبضـة لله ﷻ وقد جاءت أيضًـا صـريحة في سـورة الزمر في قوله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:67]، وقد اختلف المفسـرون وأهل الاعتقاد من السـنة والجماعة في معنى القبضة واليمين لله ﷻ على قولين:

الأول: مذهب السلف: وهو إثبات ذلك من غير تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا إزالة للفظ عما تعرفه العرب، ويجرون على الظاهر ويكلون علمه إليه تعالى ويقرون بأن تأويله وكيفيته لا يعلمه إلا الله وحده، وهكذا قولهم في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصـحاح[1]، وقالوا: كل ما وصـف الله تعالى به نفسـه في كتابه، فتفسـيره تلاوته والسكوت عليه[2].

الثاني: قول المتأولة: وهم يأولون الصـفات إلى تأويلات من كلام العرب ويصـرفونها عن معناها الظاهر إلى معانٍ أخرى، ويسعون جاهدين لنفي أي صفة من صفات الله التي في ظاهرها تشبه صفات المخلوقين.

وقد أوَّلوا معنى القبضـة واليمين: تصـوير عظمته ﷻ على الاحتواء والقدرة والقوة، بأن الأرض كلها مع عظمتها وكثافتها في مقدوره، كالشـيء الذي يقبض عليه القابض بكفه كما يقولون هو في يد فلان وفي قبضـته للشـيء الذي يهون عليه التصـرف فيه، وقالوا ما اختلج في الصُّدُورِ من غَيْرِ ذَلِكَ باطل[3].

---

(1) انظر: تفسير القاسمي، محاسن التأويل (8/ 295).

(2) تفسير المراغي (24/ 32).

(3) انظر: البحر المديد في تفسـير القرآن المجيد (5/100-101)، وانظر: تفسـير البغوي – إحياء التراث (99/4)، وانظر: تفسـير الثعالبي – الجواهر الحسـان في تفسـير القرآن (5/ 100)، وانظر: فتح القدير للشوكاني (4/ 544)، وانظر: تفسير ابن جزي – التسهيل لعلوم التنزيل (2/ 225)، وانظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (12/ 142).

ويرى الباحث: أن الحق مع ما ذهب إليه السلف من إثبات الصفات والأسماء لله ﷻ من غير تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل، لما ورد من أخبار كثيرة في الكتاب والسنة ونورد بعضًا من أخبار السنة في إثبات صفتي القبضة واليمين لله ﷻ بالإضافة إلى الآية السابقة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[1].

وعَنْ أَبِي سَلَمَةَ ﷺ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ"[2].

الآثار التربوية للإيمان بصفتي القبضة واليمين لله ﷻ:

1. التسليم التام بما ورد في كتاب الله ﷻ وفي سنة النبي ﷺ دون إعمالٍ للعقل في غير محله، وخصوصًا فيما يعلق بصفات الله وأسمائه ﷻ.
2. على الإنسان أن يُسلم أمره كله لله ﷻ ولا يجزع من أي أمر يُلم به، لأن أمره بيد الله ﷻ وصبره ويقينه بالله أنه مأجور عن ذلك.
3. تعظيم قدرة الله ﷻ في قلوب المؤمنين وأن من يستهزئ أو ينتقص من قدر الله ﷻ كما فعل اليهود والنصارى فإن عاقبتهم إلى النار.
4. أن الله ﷻ يقلب أحوال عباده كما يقلب اليل والنهار، وأن الأقدار المحبوبة والمكروهة تتناوبان عليه امتحانًا وابتلاءً، كما يتناوب الليل والنهار فلا هذه باقية ولا هذه باقية، فإنه لابد أن شدة المحنة ستنقضي لا محلة.

---

(1) صحيح البخاري – باب قوله: (وما قدروا الله حق قدره) (6/ 126) حديث رقم (4811)، وصحيح مسلم – كتاب صفة القيامة والجنة والنار (2147/4) حديث رقم (2786)، وصحيح ابن حبان – باب ذِكْرُ تَرْكِ إِنْكَارِ الْمُصْطَفَى ﷺ عَلَى قَائِلٍ مَا وَصَفْنَا مَقَالَتَهُ (319/16) حديث رقم (7326).

(2) صحيح البخاري – باب بَابُ قَوْلِهِ: (وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) (126/6) حديث رقم (4812).

المطلب السادس: إثبات العرش لله ﷻ:

معنى العرش في اللغة: (عَرَشَ) الْعَيْنُ وَالرَّاءُ وَالشِّينُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ فِي شَـيْءٍ مَبْنِيٍّ[1]، عرش: {عروشـها}: سـقوفها. {العرش}: سـرير الملك، {يعرشـون}: يبنون، {معروشات}: مجعول تحتها قصب وشبهه ليمتد[2]، [عرش] العَرْشُ: سريرُ الملك، وعَرْشُ البيت: سقفه[3].

معنى العرش في الاصـــطلاح: هو ذلك السـقف المحيط بالمخلوقات، ولا نعلم مادة هذا العرش، لأنه لم يرد عن النبي ﷺ حديث صـحيح يبين من أين خلق هذا العرش، لكننا نعلم أنه أكبر المخلوقات التي نعرفها، وأصل العرش في اللغة: السرير الذي يختص به الملك، ومعلوم أن السرير الذي يختص به الملك سيكون سريراً عظيماً فخماً لا نظير له [4].

والعرش العظيم الذي اسـتوى عليه الرحمن جل جلاله، وهو أعلى المخلوقات وأكبرها، وَصَفَهُ الله في كتابه بأنه عظيم وبأنه كريم وبأنه مجيد[5].

وَأَقَاوِيلُ أَهْلِ التَّفْسِـيرِ عَلَى أَنَّ الْعَرْشَ جِسْـمٌ مُجَسَّـمٌ، خَلَقَهُ اللَّهُ ﷻ وَأَمَرَ مَلَائِكَتَهُ بِحَمْلِهِ وَتَعَبَّدَهُمْ بِتَعْظِيمِهِ وَالطَّوَافِ بِهِ، كَمَا خَلَقَ فِي الْأَرْضِ بَيْتًا وَأَمَرَ بَنِي آدَمَ بِالطَّوَافِ بِهِ وَاسْتِقْبَالِهِ فِي الصَّلَاةِ[6].

صفة الاستواء على العرش:

استواء الله تعالى على عرشه معناه: علوه عليه، واستقراره عليه، علواً واستقراراً حقيقياً يليق بجلاله، واسـتواء الله تعالى على عرشـه من صـفاته الفعلية التي دل عليها الكتاب والسـنة وإجماع السلف[7].

---

(1) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني الرازي (4/ 264).

(2) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان الأندلسي (ص: 233).

(3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الفارابي (3/ 1009).

(4) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (1/ 374).

(5) ماذا تعرف عن الله – أبو ذر القلموني (ص: 40).

(6) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (2/ 272).

(7) مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز الجبرين (ص: 43).

والقول بالاستواء إنما هو استواء الله ﷻ على عرشه استواء يليق به وبعظمته، أما قول أهل الكلام إن معنى الاستواء إنما هو استولى وملك وقهر، وأن الله تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله ﷻ مستو على عرشه، كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله تعالى قادر على كل شيء والأرض لله سبحانه(1).

والإيمان بعرش الله ﷻ وكرسيه، وبالقلم وبالملائكة، وباللوح المحفوظ، ولو من طريق الخصائص والميزات، فذلك فضل من الله واسع، وإن لم نعرفها على الحقيقة التي هي عليها، والتي لا يعلمها إلا الله ﷻ، آمنا بها مع تفويض علم حقيقتها إليه ﷻ، كما نؤمن بأن الله ﷻ لم يخلقها عبثا، وإنما خلقها لحكمة تقتضيها ويتطلبها نظام الملك، والإيمان بها واجب كوجوب الإيمان بالجنة والنار(2).

الفرق بين العرش والكرسي:

السؤال هنا: هل العرش هو الكرسي؟ أم أنهم شيئان مختلفان؟، ومن خلال استقراء الباحث لأقوال العلماء يجد أن هناك من العلماء من فرق بينهما وقالوا أن الكرسي غير العرش؛ لأن "العرش": هو ما استوى عليه الله ﷻ، والكرسي: موضع قدميه، لما رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: "الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ، وَالْعَرْشُ لَا يُقْدَرُ قَدْرُهُ"(3)، وبالنظر إلى السياق القرآني يُرى أن الله ﷻ يُورد لفظ الكرسي في قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة:255] فبالحديث عن الكرسي في هذه الآية ومن خلال السياق القرآني يتضح أن الآية تتحدث عن عظمة الله ﷻ وقدرته، بينما وردت لفظة العرش في نهاية سورة الزمر في قوله ﷻ:

---

(1) انظر: الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي الأشعري (المتوفى: 324هـ) (ص: 105-108).

(2) انظر: كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد، عمر العرباوي الحملاوي (المتوفى: 1405هـ) (ص: 192).

(3) المستدرك على الصحيحين للحاكم (2/ 310) حديث رقم (3116)، وقال عنه الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ".

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٥﴾[الزمر:75]:

ومن هنا يتضح أن العرش والكرسي شيئان مختلفان حيث ذكر الله ﷻ كُل لفظ في موقع مختلف يُستدل على معناه من خلال السياق القرآني.

وبالنظر إلى معنى الآية والسياق القرآني في الآية تتحدث عن العرش في خاتمة سورة الزمر يستنتج الباحث الفرق بين الكرسي والعرش من أقوال العلماء ويلخصها في القول التالي:

وَتَرَى الْمَلائِكَةَ أيها الرائي في ذلك اليوم العظيم حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ محدقين به محيطين بحافته وجوانبه، وكما أن دار ثواب المتقين هي الجنة، فكذلك دار ثواب الملائكة هو جوانب العرش وأطرافه، يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وينزهونه في عموم الأوقات متلذذين لا متعبدين لأن التكليف يزول في ذلك اليوم، فثوابهم هو عين ذلك التحميد والتسبيح، وأعظم درجات الثواب استغراق قلوب العباد في درجات التنزيه ومنازل التقديس، وَقُضِيَ بين الأولين والآخرين من الخلق بِالْحَقِّ فهم فريقان أهل الجنة ولهم درجاتهم وأهل النار ولهم دركاتهم عدلًا منه ﷻ، وقيل: قضي بين الملائكة على مراتب متفاوتة فلكل واحد منهم في درجات المعرفة والطاعة وحسب تفاضلهم في أعمالهم، وحسب مقاماتهم على ما أراده الله في عباداتهم، وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ حمد فضل وإحسان وحمد عدل وحكمة، الحمد لله رب العالمين على قضائه بين الخلائق بالحق، ثم إن جوانب العرش ملاصقة لجوانب الجنة، فالمؤمنون والملائكة يصيرون متوافقين على الاستغراق في تحميد الله وتمجيده وتسبيحه، فكان ذلك سببا لمزيد التلذذ، ومعلوم أن خاتمة كلام العقلاء في الثناء على حضرة ذي الجلال والكبرياء ليس إلّا أن يقولوا الحمد لله رب العالمين[1].

المطلب السابع: الإيمان بكل صفات الله ﷻ شرط للإيمان:

أكد القرآن على تعريف العباد بربهم وخالقهم وكرر ذلك في كثير من الآيات؛ لأنه لا بد للمسلم من معرفة ربه بأسمائه الحسنى وصفات الكمال والجلال التي يتصف بها سبحانه حتى يُعبد الله على بصيرة ويمتثل مقتضيات تلك الأسماء والصفات وآثارها في حياته وعباداته.

---

(1) انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (340/2)، وانظر: تفسير الزمخشري – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (147/4)، وانظر: تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (66/4).

"فمن الإيمان بالله الإيمان بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف ومن غير تعطيل"[1]، فالمسلم يؤمن بما أثبته الله لنفسه في كتابه أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق بالله تعالى.

ولله سبحانه أحسن الأسماء وأكمل الصفات، وليس له مثيل في أسمائه وصفاته، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:11]، فالله تعالى منزّه عن مماثلة أحد من مخلوقاته في جميع أسمائه وصفاته.

"ويتم الإيمان بأسماء الله من خلال إثبات الاسم وإثبات الصفة التي تضمنها، وإثبات الأثر الذي يترتب عليه، مثل: (الرحيم) فتثبت الاسم وهو الرحيم، والصفة وهي الرحمة، والأثر وهو انه ﷻ يرحم بهذه الرحمة"[2].

معنى الإيمان بالأسماء والصفات

مَعْنَى الْإِيمَانِ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ اعْتِقَادُ شَيْئَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ نُثْبِتَ للهِ تَعَالَى مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ أَسْمَاءٍ وَصِفَاتٍ: فَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الرَّحْمَنُ وَهُوَ الرَّحِيمُ وَهُوَ الْمَلِكُ وَهُوَ الْقُدُّوسُ وَهُوَ السَّلَامُ وَهُوَ الْمُؤْمِنُ وَهُوَ الْمُهَيْمِنُ وَهُوَ الْعَزِيزُ وَهُوَ الْجَبَّارُ وَهُوَ الْمُتَكَبِّرُ وَهُوَ الْغَنِيُّ وَهُوَ الْكَرِيمُ وَهُوَ الْعَلِيمُ وَهُوَ الْحَكِيمُ[3].

وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَهُ وَجْهٌ وَلَهُ يَدَانِ وَلَهُ عَيْنَانِ وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ إِلَى آخِرِ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ مِنْ أَسْمَاءٍ وَصِفَاتٍ مِمَّا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

الثَّانِي: نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَيْسَ لَهُ شَبِيهٌ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ: فَاللهُ ﷻ غَنِيٌّ وَلَا يُشْبِهُهُ أَحَدٌ فِي غِنَاهُ، كَرِيمٌ وَلَا يُشْبِهُهُ أَحَدٌ فِي كَرَمِهِ، عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَلَا يُشْبِهُهُ أَحَدٌ فِي عِلْمِهِ وَلَا فِي حِكْمَتِهِ، لَهُ ﷻ وَجْهٌ لَيْسَ كَوَجْهِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَهُ يَدَانِ لَيْسَتَا كَأَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ، وَلَهُ عَيْنَانِ لَيْسَتَا كَأَعْيُنِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهُوَ ﷻ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ وَاسْتِوَاؤُهُ ﷻ لَيْسَ كَاسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهَكَذَا فِي جَمِيعِ

(1) شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب – صالح الفوزان (ص: 22).
(2) مذكرة على العقيدة الواسطية – محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ص: 9).
(3) انظر: موسوعة الفقه الإسلامي – محمد بن إبراهيم التويجري (96/1).

أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ﷻ لَا يُشْبِهُهُ فِيهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَنَقُولُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:11] [1].

أركان الإيمان بأسماء الله وصفاته:

الإيمان بأسماء الله وصفاته يقوم على ثلاثة أصول[2]:

الأول: تنزيه خالق السماوات والأرض عن مشابهة المخلوقين في الذات والأسماء والصفات.

الثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله من الأسماء الصفات.

الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية أسماء الله وصفاته، فكما لا نعلم كيفية ذاته كذلك لا نعلم كيفية أسمائه وصفاته كما قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:11].

ثمرات الإيمان بأسماء الله وصفاته[3]:

أولًا: التعرّف على الله تعالى، فمن آمن بأسماء الله وصفاته ازداد معرفة بالله تعالى، فيزداد إيمانه بالله يقينا، ويقوى توحيده لله تعالى، وحق لمن عرف أسماء الله وصفاته أن يمتلئ قلبه تعظيما ومحبة وخضوعاً له سبحانه وتعالى.

ثانيًا: الثناء على الله بأسمائه الحسنى، وهذا من أفضل أنواع الذكر.

ثالثًا: سؤال الله ودعاؤه بأسمائه وصفاته، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:180]، ومثال ذلك أن يقول: يا رزاق ارزقني، ويا تواب تب عليَّ، ويا رحيم ارحمني.

رابعًا: الإيمان يثمر الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، قال الله ﷻ: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}، وذلك أنه

(1) انظر: شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (1/ 57).

(2) مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة – التويجري (48/1).

(3) انظر: التوحيد للناشئة والمبتدئين – عبد العزيز آل عبد اللطيف (ص: 52).

من خصـــائص الإيمان المطلق بالله ﷻ وأســمائه وصــفاته أنه يثمر طمأنينة القلب، وراحته، وقناعته بما رزقه الله، وعدم تعلقه بغيره، وهذه هي الحياة الطيّبة(1).

خامسًـــا: الانتفاع بالمواعظ من ثمرات الإيمان، لأن الإيمان يحمل صـــاحبه على التزام الحق، واتباعه، علماً وعملاً، ومعه الآلة العظيمة، والاسـتعداد لتلقّي المواعظ النافعة، وليس عنده مانع يمنعه من قبول الحق، ولا من العمل به(2).

ســادسًــا: إن من أعظم ثمرات الإيمان بالأســماء والصــفات تنزيه الله ﷻ عن النقائص والعيوب، ووصــفه بصــفات الكمال اللائقة بجلاله، ونفي مماثلتها لصــفات المخلوق الضــعيف، وإثبات الأسماء الحسنى له ﷻ(3).

أعلى درجات الإيمان أن تعبد الله كأنك تراه:

الإيمان درجات، وينقص إيمان المســلم بقدر غفلته وعصــيانه، ويزيد إيمانه كلما ازداد طاعته وعبادته وخشـيته لله، وأعلى درجات الإيمان هو ما سـماه الشـرع بالإحسـان، وقد عرفه النبيﷺ بقوله: "الإِسْـــلاَمُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلاَ تُشْـــرِكَ بِهِ شَـــيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّـــلاَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَــةَ، وَتَصُــومَ رَمَضَــانَ"، ثُم سُـئِلَ عن الإحسـان فقَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"(4)، فتتذكر في قيامك وقعودك، وجدك وهزلك، وحالاتك كلها؛ أن الله مطلع عليك، ناظر إليك، فلا تعصــه وأنت تعلم أنه يراك، ولا تجعل الخوف واليأس يتملكانك وأنت تعلم أنه معك، وكيف تشـعر بالوحشـة وأنت تناجيه بالدعاء والصـلاة، وكيف تسول لك نفسك المعصـية وأنت توقن أنه يعلم سـرك وعلانيتك، فإن زللت أو أخطأت رجعت وتبت واسـتغفرت فيتوب الله عليك.

---

(1) نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة – د. سعيد القحطاني (ص: 15).

(2) المرجع السابق (ص: 19).

(3) تسهيل العقيدة الإسلامية – عبد الله الجبرين (ص: 141).

(4) صـحيح البخاري – باب سؤال جبريل عليه السـلام النبي ﷺ (19/1) حديث رقم (50)، وباب قوله: (إن الله عنده علم السـاعة) (115/6) حديث رقم (4777)، وصـحيح مسـلم – باب معرفة الإيمان والإسـلام والقدر (36/1) حديث رقم (8)، وباب الإيمان ما هو وبيان خصـاله (39/1) حديث رقم (9)، وصـحيح ابن حبان – باب الخبر الدال على أن الإيمان والإسـلام اسمان بمعنى واحد (375/1) حديث رقم (159)، وباب ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنْ وَصْفِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ بِذِكْرِ جَوَامِعِ شُعَبِهِمَا (391/1) حديث رقم (168).

المبحث الثاني

الاعتقاد بالحياة والبعث والجزاء من خلال سورة الزُّمَر

المطلب الأول: تجلي قدرة الله ﷻ في مراحل خلق الجنين:

لقد خَلَق الله ﷻ الإنسان في أحسن صورةٍ وتقويم، كما كرّمه على الخلائق جميعها بما أنعم عليه من النّعم الكثيرة، وقد كان الإنسان في خلقته آيةً من آيات الله ﷻ ومعجزة ربّانيّة تتجلّى فيها قدرته ﷻ وبديع صنعه، فقد خلق الله ﷻ الإنسان بيده من الطّين الذي خلق منه آدم عليه السلام، ثمّ شاء الله ﷻ أن يخلق من آدم زوجه حواء، ثمّ لتتكوّن كلّ نفسٍ من ذريّتهما من نطفة من ماء.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر:6] أي خلقكم الله ﷻ على اختلاف ألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة وهي آدم عليه السلام، ثم خلق من جنسها زوجها وهي حواء لتكون له مؤنسا وصاحبًا[1].

ثم ثنّى بخلق الحيوان فقال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر:6] أي وخلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج وهى التي ذكرها في سورة الأنعام ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام:143-144] أي من ذكر وأنثى لكل منها.

خلق الإنسان في رحم الأم: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر:6] وهو ابتداءُ خلقكم في بطون أمهاتهم على أطوار متعددة، وقد وصفت الآيات الكريمة مراحل تكوّن الجنين وخلق الإنسان في رحم أمّه وصفًا دقيقًا عجيبًا دلّ على إعجاز القرآن الكريم؛ فالآيات الكريمة تصف ابتداء خلق الإنسان في رحم أمّه حيث يكون نطفةً يتّحد فيها حيوان منوي من الرّجل مع بويضة من المرأة فتتكوّن النّطفة المخصّبة التي تتحوّل فيما بعد إلى علقة تعلق بجدار

---

(1) انظر: تفسير المراغي – أحمد بن مصطفى المراغي (23/ 146–147)، وانظر أيضًا: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – د. وهبة الزحيلي (23/ 250–251).

الرّحم، ثمّ تتحوّل تلك العلقة إلى مضـغة، ثمّ تنشأ العظام فتكسو اللّحم حتّى يخرج الإنسـان خلقًا متكاملًا للدلاة على قدرة الله ﷻ وعظمته.

﴿فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾ [الزمر:6] فقد أورد العلماء أقوالًا كثيرة، فمنهم من صرفها على طبقات الغشـاء الذي يُحيط بالجنين ومنهم من صـرفها إلى غيرها، وحسـب ما أوضـح العلم الحديث في علم التشـريح حسـب ما يُدرس في كلية الطب في الجامعة الإسـلامية بغزة[1]، فإن الجنين يُحاط بغشاء ويكون هذا الغشاء محيط بالجنين مباشرة، ويكون هذا الغشاء داخل تجويف الرحم، ويكون الرحم داخل تجويف البطن، والبطن يتكون من عدة طبقات، بالإضـــافة إلى الأغشـــية المحيطة بهذه الأعضـــاء، فهذه هي الظلمات المحســـوســـة المحيطة بالجنين وهو في بطن أمه، ولكن قد يكون هناك أمور معنوية لا يعلمها إلا الله ﷻ.

فجعل الله ﷻ، دليل وجوده في كل مكان، بل إنه ﷻ، جعل في خلق الإنســـان الأدلة القاطعة والبراهين الســـاطعة على وجوده ﷻ، وقد وضـــع الله عجائب قدرته في هذا الخلق، فلو تأملنا أجسامنا لوجدنا فيها من أفضل قدراته.

فذلك التناسق البديع بين الأعضاء المختلفة في جسم الإنسان، وذلك الصنع العجيب، لا يمكن أن يحدث عبثا، ومن المستحيل أن ينشأ محض مصادفة.

وبعد أن ذكر الله ﷻ عجائب قدرته في خلق الإنســـان وبيان عجز الإنســـان وضـــعفه في بداية خلقه وعدم قدرته على أن يخلق كخلق الله ﷻ، ورد كل الأكاذيب التي يتغنى بها الملاحدة من أن بداية الخلق كانت صـــدفة فقد أورد بعد ذلك ﷻ فقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [الزمر:6] أي هو عظيم الشأن المستحق لتخصيص العبادة به سبحانه، فكيف تصرفون عن عبادته ﷻ وتعبدون معه سواه فأين ذهبت عقولكم.

ومما ســـبق يتجلى للعيان الإعجاز البياني والإعجاز العلمي كون أن هذه الآيات خرجت من فم إنسان أُمي لا يعرف القراءة والكتابة، ولم يُعرف عنه أنه خاض في علم من علوم الإنسان أو كان ممن يرحل إلى الدول المجاورة لطلب العلم، كما أن زمن نزول هذه الآيات لم يكن في

(1) انظر: كُتب علم التشريح (Clinical Anatomy by Regions, Richard S. Snell. 10th International edition, Lippincott Williams & Wilkins) ، وكتب أمراض النساء والولادة (Hacker & Moore's Essentials of Obstetrics and Gynecology, Neville Hacker, Joseph Gambone, 6th Edition, Elsevier).

وقت العلم واكتشـاف العلوم، وبناءً عليه فإنه من المسـتحيل إن يكون هذا منطوق بشـر، إنما هو وحي من عند الله ﷻ وحده، وهو دليل واضـح على صـدق الوحي والنبوة للنبي محمد ﷺ لمن كان له عقل يتفكر وفطرة سليمة وسريرة صافية تبحث عن الحق.

الخلاصة:

ومما ســبق يســتخلص الباحث العديد من المعاني التربوية والتوجيهات الربانية لعباده من البشــر، ليســيروا عليها ولا يكون لهم حجة لإنكار قدرة الله ﷻ أو الكفر بنبيه ﷺ ومن جملة هذه التوجيهات الربانية ما يلي:

1. الهدف الأسـاسـي من الآيات السـابقة وهو الإيمان بالموجد الخالق المنشـئ، وأنه قادر على الخلق من العدم، فمن الطين خلق بشرًا وجعلهم شعوبًا وقبائل.
2. الحياة على وجه هذه المعمورة قائمة على مبدأ المشـــاركة بين زوجين، بين ذكر وأنثى وهذه سنة الله في خلقه.
3. رغم كل هذه التعقيدات والأمور الدقيقة في خلق الإنسان وعجزه عن صنع شيء مثله، إلا أن هذه المخلوق (وهو الإنســـان) لا يعتبر هو الأعظم في مخلوقات الله ﷻ ولكن هناك من المخلوقات ما هو أعظم منه وأكثر تعقيدًا، ولكن الله ضرب مثلًا للإنسان من نفسه ليتفكر فيها.
4. أن التفكير والتأمل مدعاة لتعديل ســلوكيات البشــر، حيث يعرف أصـــل خلقه، وكيف خُلق، وأن له ربًا يدبر أمور حياته.
5. لابد من الإنســـان أن يتعلم مبدأ التدرج والتطور ويكون منهج حياة لديه، حيث أن الله قادرٌ على خلق الإنســان في لحظة، ولكن يبدأ الإنســان من نطفة ثم يتدرج في الخلق حتى يُصبح إنسانًا متكاملًا قويًا شديدًا.
6. التسليم لله ﷻ أنه المدبر وأن الأمر بيده فلا نجزع ولا نخشى من الغد لأن الغد بيد الله وحده، فهو من يتولى الأمر كما تولى أمرنا ونحن أجنة في بطون أمهاتنا وهيء لنا أسباب الحياة وأخرجنا على أبهى صورة وأحسن حال، فلابد من التوكل على الله الواحد القهار.

المطلب الثاني: دورة الحياة الإنسان تبدأ من التراب ثم تُرد إليه:

بعد أن بينا في المطلب السابق أن خلق الإنسان بدأ من الطين، هذه المادة المستحقرة عند الناس، وأنها مادة جامدة خالية من الحياة، فهي في حكم العدم في نظر الإنسان الذي هو أصل خلقه وتكوينه، كما أن الطين يعتبر أصل من أصول الحياة لإنبات الشجر وحياة الإنسان.

حال الدنيا الفانية وتوجيه الهداية: ثم نبه القرآن الكريم ونفّر من الدنيا لفنائها وسرعة زوالها، فهي أشبه بزرع نبت وترعرع بماء السماء واخضر، ثم مع مرور الزمن طال أم قصر اصفر وتهشم، وقد بيَّن الله ﷻ واصفا أحوال الدنيا بالقرآن فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢١﴾﴾[الزمر:21][1].

فمن فقه الحياة في هذه الآية أنها تدل على قدرة الله في إحياء الخلق، والتمييز بين المؤمن والكافر، فهو قادر على ذلك، كما أنه قادر على إنزال المطر من السحاب التي في السماء، وهي أيضا ترغب في الآخرة لخلودها، وتنفر من الدنيا لتوقيتها وقصر مدتها وسرعة زوالها وانقضائها[2].

والمراد من الآية سرعة زوال الحياة الدنيا فهي كسوق قام ثم انفض، فقُرب الفناء بما ذكر من أحوال الزرع، ترغيباً عن زخارفها وزينتها، وتحذيراً لِمَن سُرّ بها، وهي أيضًا للاستشهاد بالأمطار والمياه النازلة من السماء إلى الأرض على تحقق الموعود من الأنهار الجارية من تحت الغُرف، بما يشاهد من إنزال المياه من السماء، وما يترتب عليه من آثار قدرته تعالى من جريان الماء في الأرض كجري الدماء في عروق المخلوقات، وإحكام حكمته ورحمته، ففيها تذكير لأصحاب العقول الخالية من شوائب الهوى وضلالات الأنفس، فيعرفون أن زوال هذه الدنيا قادم لا محالة فلا يغترون ببهجتها ولا يُفتنون بفتنتها[3].

---

(1) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (3/ 2231).

(2) انظر: التفسير المنير للزحيلي (23/ 274).

(3) انظر: تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (7/ 249-250)، وانظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (5/ 66-67)، وانظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (2/ 329)، وانظر: تفسير المراغي (23/ 158).

ومن أهم معاني دورة حياة الإنسان المستنبطة من الآيات السابقة التي لابد للإنسان الوقوف عليها وإمعان النظر فيها لتستقيم ما يلي:

1. عدم الاغترار بهذه الألوان الزاهية للنباتات والنضرة والخضرة فكل مخلوق على وجه هذه الأرض زائلٌ، وستراه من بعد النضارة جافًا مصفرًا، ثم يُصبح حطامًا يذهب هباءً منثورًا مع الرياح.
2. الإشارة في هذا أن الإنسان يكون طفلاً، ثم شابًّا، ثم كهلاً، ثم شيخاً، ثم يصير إلى أرذل العمر، ويقال: إن الزرع ما لم يأخذْ في الجفاف لا يُؤخذ منه الحَبُّ، الذي هو المقصود منه، كذلك الإنسان ما لم يمحص نفسه، وينهكها في التقرُّب إلى مولاه، لا قيمة له[1].
3. ليس بالضرورة إن تسير حياة البشر حسب التسلسل الوارد في النقطة السابقة فقد تنتهي الفرصة عند أي محطة كانت في بداية الدورة أو في نهايتها، فقد يكون النهاية بأمر من الله ﷻ عند استكماله لدورة الحياة الطبيعية، أو عند حدوث آفة فيه أو مرض أو بدون سبب، فلابد للإنسان أن يكون مستعدًا لنهاية الطريق في أي مرحلة كانت من مراحل العمر[2].
4. أن الله ﷻ يُرسل العلامات والأمارات لهداية الناس بشكل متكرر في هذه الحياة الدنيا كسرعة الانصرام الذي يشاهدونه من حال الحطام من كل عام، فلا يغترون ببهجتها[3].
5. تجلي كمال قدرته ﷻ، وأنه يحيي الموتى، كما أحيا الأرض بعد موتها، ويذكرون به أن الفاعل لذلك هو المستحق للعبادة.
6. أن الآية مثل لحال الدنيا، يتعظ بها كل ذي عقل سليم، بعيد النظر، عميق الفكر والتأمل، ينظر إلى المستقبل الحتمي نظرة اليقظ الحذر، المستعدّ العامل[4].
7. الآيات مدعاة للتأمل في خلق الله ﷻ واستحضار عظمته في الخلق.

اللهم اجعلنا من أولي الألباب، الذين نوهت بذكرهم، وهديتهم بما أعطيتهم من العقول، وأريتهم من أسرار كتابك وبديع آياتك ما لم يصل إليه غيرهم، إنك أنت الوهاب.

---

(1) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (5/ 66-67).
(2) انظر: تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: 722).
(3) انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (2/ 329).
(4) التفسير المنير للزحيلي (23/ 275).

المطلب الثالث: الموت نهاية الحياة الدنيا بشكل نهائي:

قد وردت كلمة الموت ومشـــتقاتها في مواضـــع عديدة في القرآن الكريم، وقبل البدء بهذا المطلب لابد من معرفة معنى الموت عند أهل اللغة والاصطلاح للوقوف على معانيها ومدلولاتها اللغوية وهي على النحو التالي:

معنى الموت لغةً: (مَوَتَ) الْمِيمُ وَالْوَاوُ وَالتَّاءُ أَصْـــلٌ صَـــحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ذَهَابِ الْقُوَّةِ مِنَ الشَّـيْءِ وهو خِلَافُ الْحَيَاةِ[1]، والمَوْتُ: السُكُونُ، يقال: ماتَتِ الرِّيحُ: إذا سَـكَنَتْ. والمَوْتُ: النَّوْمُ، يقال: ماتَ وهَوَّمَ: أي نامَ، والمَوْتُ: البِلَى، يقال: ماتَ الثَّوْبُ: أي بَلِيَ[2].

معنى الموت في الاصـــطلاح: همود وســكونٍ وذهاب الحدَّة المعتادة كالأرض الموات لَمْ تُحْيَ بَعْدُ بِزَرْعٍ وَلَا إِصْـلَاحٍ، وكذلك الصَـرَع، والموت، والنوم، وسـكون الريح، وذهاب حِدّة الحر والبرد – فكل ذلك فيه تمدد وهمود[3].

وبذلك يتضـــح لنا أن الموت هو ضـــد الحياة، وذهاب القدرة والإرادة من المخلوق، وهو نوعان موت حسـي وموت معنوي، أو موتة كبرى وأخرى صـغرى، فالأولى هي ما لا عودة للحياة بعدها، أما الثانية فهي مؤقتة وقت النوم ثم يعود المخلوق إلى كامل قدرته وإرادته.

تعدد الفرص قبل الوصـول إلى نهاية المطاف: تعتبر الموتة الصـغرى [وهي النوم] تذكرة وإشـــارة إلى الموتة الكبرى كما قال الله ﷻ في كتابه: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾[الزمر:42]، ومن خلال الآية السابقة يتضح للباحث أن النفس الإنسانية عبارة عن جوهر مشـرق روحاني، إذا تعلّق بالبدن حصـل ضـوؤه في جميع الأعضـاء، وهي الحياة، ثم إنه في وقت النوم ينقطع تعلقه عن ظاهر البدن، دون باطنه، وفي وقت الموت ينقطع تعلقه عن ظاهر البدن وباطنه، فالموت والنوم من جنس واحد بهذا الاعتبار، لكن الموت انقطاع كامل، والنوم انقطاع ناقص، وفي ذلك دلائل على القدرة لمن يتفكر ويتدبر[4].

---

(1) انظر: مقاييس اللغة (5/ 283).

(2) التكملة والذيل والصلة للصغاني (1/ 341).

(3) انظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (4/ 2021)

(4) انظر: تفسير المراغي (24/ 10).

في قوله ﷻ: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ دليلٌ على أن هناك وقت معلوم لا يعلمه إلا الله ﷻ لنهاية هذه الفرص، ونهاية الأجل الذي يعقبه الموت، فلا بد لكل ذي لب أن يُعد لهذا اليوم العُدة.

وعليه فقد قسم أهل العلم تعلق النفس بالبدن على ثلاثة أوجه[1]:

الأول: أنه دبَّر أمرها، بحيث يكون أثر الروح على جميع أجزاء البدن، ظاهره وباطنه، وذلك هو اليقظة.

الثاني: بحيث يقطع عن الظاهر والباطن، وهو الموت الذي لا حياة (في هذه الدنيا) بعده.

الثالث: بحيث يقطع عن ظاهر البدن دون الباطن، وهو النوم، فثبت أن النوم والموت يشتركان في كل واحد منهما بتوفي النفس، ثم يمتاز أحدهما بخواص معينة.

وبهذا يجد الباحث أن الله ﷻ قد أعطى لعباده فُرصًا عديدة، ليتفكروا في الموت، وأنهم معرضون للموت في كل ليلة، فربما يضع العبد رأسه على وسادته لا يرفعا إلا وهو في قبرهِ لسؤال الملكين، لذا فإن العبد الفطن لا بد أن يتهيأ جيدًا لهذه اللحظة.

استجلاب الراحة بالنوم والجزع من الموت: ومن العجب أن الإنسان دائم السعي وراء ما يجلب له النوم، ويدفع عنه الأرق، لاعتقاده أن فيه الراحة، مع استعداده أن يُنفق الأموال الكثيرة نظير الحصول عليه، في حين أنه يجزع حين يُذكر أمامه الموت، وليس ثمة مدعاة للجزع والخوف إذا كان الإنسان من أهل الإيمان بالله، المؤمنون بوجوده، المطمئنون لجزائه ولذا تحدى الله ﷻ اليهود عند زعمهم أنهم أولياؤه وأحباؤه بقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [الجمعة:6] وأجاب عنهم بما في صدورهم: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الجمعة:7]، فلابد من الحرص على طاعة الله ﷻ، لتنام مطمئنًا، وإن قدر الله ﷻ أن تُبعث فإن تُبعث على خير مبعث، وتلقى خير جزاء[2].

يقظة العبد بعد الموت: أوضح الله ﷻ في كتابه العزيز أن العباد يتمنون العودة إلى هذه الحياة الدينا لعمل الصالحات، ولكن الله ﷻ أوضح أن الفرصة قد انتهت ولا رجعة إلى الدنيا كون الموت نهاية الدنيا بشكل نهائي، حيث مثل الله ﷻ هذا المشهد في كتابه العزيز بقوله ﷻ:

---

(1) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (5/ 82-84).

(2) انظر: أوضح التفاسير (1/ 566).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون:99-100]، فهذا حال الكافر بذلك، وقد جاءت أحاديث الرسول ﷺ تتحدث عن أخبار الصالحين بطلب الرجوع إلى هذه الدنيا حتى يستزيدوا من العمل الصالح لما رأوا من نعيم، فقد ورد عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ"(1).

فلو كان الرجوع واردًا لكان من باب أولى تحقيق أمنية الشهيد، لما له من كرامات وسبق في الدفاع عن الدين، ولكنها كلمة هو قائلها فمن خرج من هذه الدنيا لن يعود إليها مطلقًا.

ويستخلص الباحث مما سبق الدروس المستفادة والمستنبطة من التوجيهات الربانية التالي:

1. لكل فرد من أفراد المجتمع عددٌ من الفرص، فكل يومٍ يمر عليه فله فرصة للتوبة والإنابة إلى الله ﷻ، وتختلف من شخص لآخر، مما يستدعي أن يقوم كل فرد بمراقبة تصرفاته دون النظر إلى غيره، وأن يحاول الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.
2. الدَلَالَة عَلَى قدرة الله ﷻ في تنظيم وإدارة شئون عباده، فِي إِمْسَاكِ مَا يُمْسِكُ مِنَ الْأَرْوَاحِ وَإِرْسَالِ مَا يُرْسِلُ مِنْهَا(2).
3. ويمكن أن يكون الاسْتِدْلَال عَلَى تَفَرُّدِ اللَّهِ ﷻ بِالتَّصَرُّفِ فِي الْأَحْوَالِ بِخَلْقِ الذَّوَاتِ، وَأَعْقَبَ ذلك بِمَا يَظْهَرُ فِيهِ أَثَرُهُ مِنَ الْمَوْعِظَةِ وَالْعِبْرَةِ وَالزَّجْرِ عَنْ مُخَالَفَةِ مُقْتَضَاهُ، فالاِسْتِدْلَال هنا بِحَالَةٍ عَجِيبَةٍ مِنْ أَحْوَالِ أَنْفُسِ الْمَخْلُوقَاتِ وَهِيَ حَالَةُ الْمَوْتِ وَحَالَةُ النَّوْمِ(3).
4. اليقظة بعد النوم دليل على قدرة الله تعلى على الإحياء والبعث بعد الموت، وأن الإنسان في موته كنومه، وفي بعثه بعد موته كيقظته بعد نومه(4).

---

(1) صحيح البخاري – باب تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا (4/ 22) حديث رقم (2817)، وأخرجه مسلم – باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى (1498/3) حديث رقم (1877)، صحيح ابن حبان محققا – باب ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ تَمَنِّي الشَّهِيدِ الرُّجُوعَ إِلَى الدُّنْيَا بِالْعَدَدِ الَّذِي ذَكَرْتُ وَقَدْ يَتَمَنَّى مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ الْعَدَدِ الْمَذْكُورِ (10/ 518) حديث رقم (4662).

(2) انظر: تفسير البغوي – إحياء التراث (4/ 92).

(3) انظر: التحرير والتنوير (24/ 23–25).

(4) انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (12/ 228)

5. أن الله ﷻ يضـــرب الأمثال لكثير من الحالات في آيات القرآن الكريم ليقوم الناس بالتفكر والتدبر، لعلهم يهتدون.

المطلب الرابع: ثبوت النفختين لقيام الساعة:

قضـــية النفخ في الصـــور من الأمور الغيبية التي أخبرنا بها الله ﷻ في كتابة العزيز، وأخبرتنا بها الســـنة النبوية على لســـان النبي ﷺ في أخبارٍ عديدة، وهي تُعد من أوائل أهوال يوم القيامة ومقدماتها، وما يتبعها أو يســـبقها من الآيات العظيمة التي تتجلى فيها قدرة الله ﷻ في ملكه وعلى عباده، وقد تعددت الأقوال في كيفية النفخ وعدد النفخات التي تُنفخ، والمدة الزمنية بين النفخة والأخرى.

فقد قال الله ﷻ في كتابه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر:68].

فَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فقد اختلف أهل التفســـير عن ماهية هذه النفخة هل هي النفخة الأولى أم الثانية ام غير ذلك، وقد انقسم أهل التفسـير إلى أقول في عدد النفخات وما هي النفخة التي ذكرت هنا إلى أقوال:

الأول: أن هذه النفخة هي النفخة الأولى التي يُصـــعق فيها الخلق فيموتون جميعًا إلا من شاء الله ﷻ كما سيتم توضيحه لاحقًا، وبذلك يكون عدد النفخات عندهم اثنتان فقط[1].

الثاني: أن النفخات ثلاث، وأن هذه النفخة هي النفخة الثانية التي يُقبض فيها الخلق، وتســـبق هذه النفخة نفخة الفزع التي يفزع الناس منها هي مقدمة للنفخة الثانية التي هي نفخة الصعق[2].

الثالث: أن النفخات أربعة وهي: (وهي نفخة الفناء، ونفخة البعث، ونفخة الصـــعق، ونفخة القيام لرب العالمين، وفي هذه الآيات ذكر نفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين)[3].

الرابع: أن النفخ شيءٌ معنوي لا حسي، والمقصود منه: أن الملائكة يؤمرون بالإمساك عن الذكر بلا نفخ وبلا قبض، لأن الله أحياهم بذكره، كما أحيا بني آدم بأنفاســـهم، فإذا أُمســـك الذكر

---

(1) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (5/ 102-103).

(2) انظر: تفسير ابن كثير ط العلمية (7/ 104-105)، وانظر: التفسير الوسيط للزحيلي (3/2253-2254).

(3) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (4/ 507).

عنهم ماتوا، وقيل أيضًا أن النفخ يكون في الصُوَرِ مجازًا عن مشارفة الموت وخروج الروح، وليس في القرن[1].

وقد وردت أخبارٌ بالمدة الزمنية بين النفختين ففي حديثٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ" قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: "ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ"[2].

وقوله ﷻ: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قال بعض أهل العلم أن هناك من استثناهم الله ﷻ من الموت في هذه النفخة وقد اختلف المفسرون أيضًا على أقول في تحديد من هم الذين يستثنيهم الله ﷻ في التالي:

القول الأول: أنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يُميتهم الله بعد ذلك، وقيل: حمَلَة العرش، وقيل: خزَنة النار والجنة[3].

القول الثاني: أن الذين استثناهم الله هم من الحور العين والولدان وغيرهم ممن شاء الله ﷻ بقائهم[4].

القول الثالث: أنهم مَنْ مَاتَ قَبْلَ الصَّعْقَةِ الْأُولَى، أي من بقي على قيد الحياة هو الذي يُصعق بهذه النفخة، واستدلوا بقول الله ﷻ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان:56][5].

---

(1) انظر: تفسير التستري (ص: 135)، وانظر أيضًا: البحر المحيط في التفسير (9/ 221-222).

(2) صحيح البخاري باب {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا} [النبأ: 18]: زُمَرًا (6/ 165) حديث رقم (4935)، وباب قَوْلِهِ: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} (126/6) حديث رقم (4813).

(3) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (5/ 102-103)، وانظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص: 391).

(4) انظر: تفسير الجلالين (ص: 616).

(5) انظر: البحر المحيط في التفسير (9/ 221-222).

وقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ ويكون القيام والبعث بعد النفخة الأخيرة وهي نفخة الْبَعْثِ فَإِذا هُمْ قِيامٌ أَحْيَاءٌ قد أُعيدت لهم الأرواح والأبدان بَعْدَمَا كَانُوا عِظَامًا وَرُفَاتًا بالية يَنْظُرُونَ ويقلبون أبصـــارهم إلى الجوانب كالمبهوتين، وينظرون إِلَى أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ منتظرين ما يُفعل بهم[1].

الهدايات والتوجيهات الربانية من خلال دراسات الآية السابقة:

1. كمال قدرة الله ﷻ وعظيم ســلطانه، فبذكر مقدمات يوم القيامة من نفخ الصـــور التي يموت بها أهل الأرض جميعا، ثم نفخة البعث والقيام التي يخرج بها الناس من قبورهم، وما يليها من الفصل بينهم للجزاء والحساب[2].
2. إعادة الأبدان إلى سابق عهدها بعدما بليت وفنيت بنفخة واحدة هو تأكيدٌ على ما ذكر في النقطة الأولى من كمال قدرة الله ﷻ.
3. الصـــور البوق ينادى به البعيد المتفرق مثل الجيش، والمراد هنا نداء الخلق لحضـــور الحشر أحياء للحساب والجزاء.
4. لكل مخلوق على هذه الأرض نهاية، والدوام والخلود ابتداء وبقاء هو لله ﷻ، والنهاية الحتمية للمخلوقات جميعها، وهو أمر ســـهل على الله ﷻ، لأن من ملك البدء في الخلق، أمكنة الإعادة، وهما سواء بالنسبة للخالق ﷻ[3].
5. ويتبع ذلك فصل الخصومات أو المنازعات بين الناس، على منهج الحق التام والعدل المطلق، ثم إيصال الحق لصاحبه[4].
6. بعد النفخة الأخيرة ينظُر العباد إلى الســماء كيف غُيرت، وينظرون إلى الأرض كيف بُدلت، وينظرون إلى التغيير الحاصـــــل في نواميس الكون والتغير الجدري في الفطرة الإنسانية لدى الآباء والأمهات كيف ذهبت شفقتهم عن أبنائهم، واشتغلوا بأنفسهم[5].

---

(1) انظر: تفســير ابن كثير ط العلمية (7/ 104-105)، وانظر: تفســير البيضــاوي - أنوار التنزيل وأســرار التأويل (5/ 49).

(2) انظر: تفسير المراغي (24/ 33).

(3) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (3/ 2253-2254).

(4) انظر: التفسير المنير للزحيلي (24/ 52-57).

(5) انظر: تفسير السمرقندي - بحر العلوم (3/ 194).

الفصل الثاني

التوجيهات التربوية التعبدية والاجتماعية الأخلاقية والإدارية من خلال سورة الزُّمَر

الفصل الثاني

التوجيهات التربوية التعبدية والاجتماعية الأخلاقية والإدارية من خلال سورة الزُّمَر

المبحث الأول:

التوجيهات التربوية التعبدية من خلال سورة الزُّمَر

المطلب الأول: سنة التزاوج بين المخلوقات:

تمهيد: من السُنن الفطرية الكونية في هذا الكون هي سنة التزاوج بين المخلوقات، فلا بد من تزاوج بين المخلوقات على هذه الحياة الدنيا كغريزة لحفظ النوع، لتستمر الحياة ويحصل التكاثر، ويلتئم به شمل كل شيء، فلكل شيء سبب في هذا الكون، وأحد أسباب التكاثر هو التزاوج فقد قال ﷻ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر:6] فالآية تُشير إلى عموم القانون الزوجي وشموله، فمن إبداعات الخالق ﷻ إن جميع ما يُرى من بدائع هذا الكون راجع في أصله إلى تلك المزاوجة بين الأشياء.

تعريف كلمة التزاوج في اللغة: وهي أصل مشتق من [زَوَجَ] وقد جاءت على معانٍ عديدة منها: الدلالة عَلَى مُقَارَنَةِ شَيْءٍ لِشَيْءٍ، ويقال الزَّوْجُ زَوْجُ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ زَوْجُهَا بَعْلِهَا وَيُقَالُ لِفُلَانٍ زَوْجَانِ مِنَ الْحَمَامِ، يَعْنِي ذَكَرًا وَأُنْثَى[1]، والأصلُ فِي الزَّوْجِ: الصِّنف والنَّوعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلِّ شَيْئَيْنِ مُقْترِنَين؛ شَكْلَيْنِ كَانَا أَوْ نَقِيضَيْنِ فَهُمَا زَوْجَانِ[2]، "والأصل فيه الصنف والنوع من كل شيء كل شيئين مقترنين شكلين كانا أو نقيضين فهما زوجان وكل واحد زوج، الزوج خلاف الفرد"[3].

تعريف كلمة التزاوج في الاصطلاح: هو تداخُلٌ بين شيء وآخر حتى يشتبكا ويختلطا ويرتبطا معًا كالذكر بالأنثى، والنوم بالنائم، ولا يقال للشيء زَوْجٌ إلا وهو مرتبط بآخر ارتباطًا مادِّيًا أو معنويًا، وفي القرآن الكريم كذلك تزويجًا للذكر بالأنثى، أو جمعًا لها في الخَلْق، ثم عبر بالزوج عن الصنف الذي يجمع أشباهًا من البشر أو الثمر[4].

---

(1) انظر: مقاييس اللغة (35/3).

(2) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 317).

(3) مجمع بحار الأنوار (440/2).

(4) انظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (2/ 878-880).

وتعريف آخر في الاصطلاح الشرعي: وهو عقد يتضمن إباحة الاستمتاع بالمرأة، بالوطء والمباشرة والتقبيل والضم وغير ذلك، إذا كانت المرأة غير مَحْرم بنسب أو رضاع أو صهر. أي أن أثر هذا العقد بالنسبة للرجل يفيد الملك الخاص به فلا يحل لأحد غيره، وأما أثره بالنسبة للمرأة فهو حل الاستمتاع لا الملك الخاص بها، وإنما يجوز أن تتعدد الزوجات فيصبح الملك حقاً مشتركاً بينهن، أي أن تعدد الأزواج ممنوع شرعاً، وتعدد الزوجات جائز شرعاً.

وهو عقد يفيد ملك المتعة قصداً، أي حل استمتاع الرجل من امرأة، لم يمنع من نكاحها مانع شرعي، بالقصد المباشر[1].

ويُعرّف الباحث الزواج: أنه اقتران ذكر وأنثى من نفس الجنس ليحصل التكاثر فيما بينهما، وهو ضمانٌ لاستمرار هذا الجنس من المخلوقات على وجه الأرض، وقد يكون مقرونًا بشهوة مثل الإنسان والحيوان، وقد يكون بغيرها مثل النباتات وغيرها من المخلوقات، ومن غير التكاثر والتزاوج يحصل الانقراض والفناء.

فيقول الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾[الزمر:6] فقد بينت الآية الكريمة على أن الله جعل لكل نفس زوجًا لها ليُتمم بعضه الآخر وجعل التزاوج سنة بين المخلوقات، وقد بينت الآية في هذا الموضع أن هذه السنة هي سنة كونية في عالم الحيوان (الإنسان والحيوانات).

فقد ورد عن ابْنِ مَسْعُودٍ ؓ أنه قال: "لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَجْلِي إِلَّا عَشَرَةُ أَيَّامٍ، وَأَعْلَمُ أَنِّي أَمُوتُ فِي آخِرِهَا يَوْمًا، لِي فِيهِنَّ طَوْلُ النِّكَاحِ، لَتَزَوَّجْتُ مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ"[2].

وقد حث النبي ﷺ على الزواج في كثير من الأحاديث وبين أنها من سُنته فقد جاء في الحديث الذي يرويه أنس بن مالك ؓ في إخباره عن الثلاثة الذين كانوا يتحدثون عن إعراضهم عن بعض سنن النبي ﷺ ومنها الزواج فقال ﷺ: "أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ

---

(1) انظر: الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (6513/9-6514).

(2) منار القاري شرح صحيح البخاري، "بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ" (92/5) ضمن شرح حديث رقم (1049) وسنن سعيد بن منصور – سعيد بن منصور الجوزجاني، باب الترغيب في النكاح (164/1) حديث رقم (493).

لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُــومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَــلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَــاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُــنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[1].

وقد قرن النبي ﷺ الجهاد في سبيل الله ﷻ على عظمته والمؤدي لحقوق الغير، لما فيه من الأمانة وحفظ الحقوق بالزواج الذي يقوم عليه المجتمع المتماســـك المترابط، ففي الحديث النبوي الحســـن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُـــولُ اللهِ ﷺ: "ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ العَفَافَ"[2].

أولًا: فقه الزواج: الزواج والزوجية ســـنة من ســـنن الله تعالى في الخلق، ومن الفقهاء من جعله واجبًا على كل قادرٍ، ومن تركه بغير ســبب فهو آثمٌ، ويكون التزاوج عامًّا في عالم الحيوان وعالم النبات، وخص الله ﷻ الإنســان فلم يجعله كغيره من العوالم المطلقة الغرائز، بل وضــع له النظام الملائم لطبيعته البشــرية وفطرته الســليمة، والذي يحفظ شــرفه، ويصــون كرامته، وذلك بالنكاح الشرعي القائم على الرضـا، وعلى الإيجاب والقبول، والأُنس والمحبة، وبذلك أَشبع غرائزه وحَفظ نسله من الضياع، وصان المرأة على أن تكون مطية لكل راكب[3].

ثانيًا: حكمة ومشروعية الزواج[4]:

لقد رغب الاســـلام في الزواج على هذا النحو، وحبب فيه لما يترتب عليه من آثار نافعة على الفرد نفسه، وعلى الامة جميعا، وعلى النوع الانساني عامة:

أولًا: الزواج هو أفضـل وأنظف وأشـرف وسـيلة لإنجاب الأولاد وتكثير النسـل، واسـتمرار الحياة مع المحافظة على الانســـاب التي يوليها الاســـلام عناية فائقة، فأي علاقة بين الجنســـين خارج العلاقة الزوجية هي مدعاة لداء الجسم والمجتمع على حدٍ سواء.

---

(1) صحيح البخاري، باب الترغيب في النكاح (2/7) حديث رقم (5063) وصحيح مسلم، بَابُ اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَهُ، وَاشْتِغَالِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ (1020/2) حديث رقم (1401).

(2) ســنن الترمذي ت بشــار، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُجَاهِدِ وَالنَّاكِحِ وَالمُكَاتَبِ وَعَوْنِ اللهِ إِيَّاهُمْ (236/3) حديث رقم (1655) وسـنن النسـائي كتاب الجهاد، باب فضـل الروحة في سـبيل الله (15 /6) حديث رقم (3120)، وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 585) حديث رقم (3050) حديث حسن.

(3) انظر: مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة – محمد التويجري (ص:797).

(4) انظر: فقه الســـنة – الســـيد ســـابق (13/2–15) والفقه الإســـلامي وأدلته للزحيلي (6515/9–6516)، ومختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة (ص: 798)

ثانيًا: الشعور بتبعة الزواج، ورعاية الأولاد يبعث على النشاط وبذل الوسع في تقوية ملكات الفرد ومواهبه، فينطلق إلى العمل من أجل النهوض بأعبائه، والقيام بواجبه، فيكثر الاستثمار مما يزيد في تنمية الثروة وكثرة الانتاج، ويدفع إلى استخراج خيرات الله من الكون وما أودع فيه من أشياء ومنافع للناس.

ثالثًا: ما يثمره الزواج من ترابط الأُسر، والابتعاد عن المحرمات التي وضحتها جميع الشعائر السماوية، وتقوية أواصر المحبة بين العائلات، وتوكيد الصلات الاجتماعية مما يباركه الإسلام ويعضده ويسانده، فإن المجتمع المترابط المتحاب هو المجتمع القوي السعيد.

رابعًا: إن الله ﷻ جعل الغريزة الجنسية واندفاع كل جنس إلى الجنس الآخر من أقوى الغرائز وأعنفها، وجعل من الزواج أفضل وضع طبيعي، وأنسب مجال حيوي لإرواء الغريزة وإشباعها، فتجري بعلاقتهما الجنسية الزوجية سلسلة التناسل، فمن غير ذلك يتجه الجنسان إلى اعتزال بعضهما مما يُهدد الكائنات بالزوال والانقراض، وهذا هو ما يُعضده الآيات الكريمة: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[الزمر:6]، وقوله ﷻ في سورة الروم: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[الروم:21].

خامسًا: تنمية مهارات المشاركة المجتمعية بين الأفراد وتوزيع الاعمال، حيث تنشأ هذه المهارة من البيت بالمشاركة بين الرجل الذي يتولى تنظيم العمل خارج المنزل وتوفير أسباب الحياة الكريمة، وتقوم المرأة برعاية وتدبير شئون المنزل وتربية الأبناء، مع تحديد مسؤولية كل من الرجل والمرأة فيما يناط به من أعمال دون أن يكون هناك تغول من شخص على الآخر، مع حصول التآلف والتعاون والتناصر.

سادسًا: تحفيز صفة الرحمة والتعاطف بين المخلوقات ناتج عن تحرك من غريزة الابوة والأمومة بوجود أركان الأسرة وهي الأبوان والأطفال وبذلك تنمو مشاعر العطف والود والحنان، وهي فضائل لا تكمل إنسانية إنسان بدونها، ولا يمكن للأُبوة أن تحصل من غير تزاوج بين الجنسين.

سابعًا: أن من يُخالف التشريع الإلهي في نظام التزاوج النظيف بين الجنسين ممن يدعون إلى التزاوج خارج نطاق الزوجية النظيفة أو يدعو إلى أن يكون هناك تزاوج بين فردين من جنسٍ واحدٍ، إنما هو من دُعاة تعطيل عجلة الكون ووضع العصى في الدولاب، فالتشريع الذي وضعه

صانع هذا الكون ما كان ليغفل عن هذا الجانب الضعيف من فطرة الإنسان الحيوانية، لأنه يكمن فيه ميل شديد إلى الفوضى الجنسية، لا يمكن ضبطه وتحديده إلا بالتدابير الخاصة من التحفظ والاحتياط، وإن انفلت هذا الميل من القيد يكون قد خرج من الفطرة الإنسانية السليمة إلى الحيوانية بل أسفل منه، ولكن مشيئة الله ﷻ غالبة في أصحاب الفطرة السليمة.

المطلب الثاني: الإخلاص شرط قبول الأعمال

تمهيد: الإخلاص هو عمل قلبي لا يطَّلع أحد من العباد عليه، ولا يعرف مكنون هذا القلب إلا الله ﷻ، فهو وحده يعلم إن كان ما في القلب خالصًا لله أم معه شركاء، وقد ذكر العلماء أهمية الإخلاص وبالغ بعضهم بذلك، لعلمهم بأن السيطرة على النفس من أصعب الأشياء، وخاصة عند طلاب العلم، لما يقع به بعضهم من الرياء والعجب بالنفس، وقد ركز العلماء على أهمية الإخلاص لأنه أساس كل عملٍ، وغايةُ كل مُرِيد، فعملٌ بلا إخلاص لا أجرَ له، وصلاةٌ بلا إخلاص لا ثواب لها، وصدقةٌ بلا إخلاص لا قيمة لها، وذلك كما في قوله ﷻ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١﴾[الزمر:11]، وكذلك في سورة البينة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾[البينة:5].

إن إخلاص العمل لله تبارك وتعالى من أعظم أصول هذا الدين، فهو مسك القلوب وعماد الدين، مدار الفلاح كله عليه، علمه خير علم، فيه رضا الرحمن وراحة القلوب ونجاة النفوس، وهو ركن العمل وأساسه.

تعريف الإخلاص في اللغة: "(خَلَصَ) الْخَاءُ وَاللَّامُ وَالصَّادُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، وَهُوَ تَنْقِيَةُ الشَّيْءِ وَتَهْذِيبُهُ"[1]، "وخَلَص الشيء أي صار خالصاً، وخَلَص إليه الشيءُ: أي وصل"[2].

---

(1) مقاييس اللغة (2/ 208).

(2) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (3/ 1896).

تعريف الإخلاص اصطلاحًا:

قد أفرد العلماء مســـاحة كبيرة من كتاباتهم عن الإخلاص، ورأيت أن أنتقي بعضًـــا من تعريفات العلماء للإخلاص أُلخصها في التالي:

"الْإِخْلَاصُ أَنْ يَفْعَلَ الْمُكَلَّفُ الطَّاعَةَ خَالِصَـــا لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا يُرِيدُ بِهَا تَعْظِيمًا مِنْ النَّاسِ وَلَا تَوْقِيرًا، وَلَا جَلْبَ نَفْعٍ دِينِيٍّ، وَلَا دَفْعَ ضَرَرٍ دُنْيَوِيٍّ"[1].

وهو أن تكون حركة العبد وسكونه في سره وعلانيته لله ﷻ، لا يمازجه شيء، لا نفس، ولا هوى، ولا دنيا[2].

وهو اسْـــتِوَاءُ أَعْمَالِ الْعَبْدِ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وأَنْ يَكُونَ بَاطِنُهُ أَعْمَرَ مِنْ ظَاهِرِهِ، وَلَا يَتِمُّ الْإِخْلَاصُ إِلَّا بِالصِّدْقِ، وَلَا الصِّدْقُ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ. وَلَا يَتِمَّانِ إِلَّا بِالصَّبْرِ[3].

ومن خلال اسـتقراء التعريفات السـابقة يُعرف الباحث الإخلاص على أنه: الشـعور بحب شـــيءٍ ما وبالتالي منحه الجهد والوقت والطاقة اللازمة لعمله والامتناع عن التقصـــير بحقه، مع صـدق العبد في نيته بأي عمل خير مع الله تعالى، اعتقادًا وعملًا، وتصـفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين حيث لا يكون لنفســـه فيه نصـــيب من عُجب أو طلب مدحٍ أو دفع ذمٍ، أو جلب مصلحة.

الفرق بين الإخلاص والنية:

ومن خلال التعريفات الســـابقة للإخلاص يتضـــح معناه ومقصـــده من الناحية اللغوية والاصـطلاحية، وعند التفريق بينه وبين النية لا بد أن أسـتعرض خلاصـة أقوال الفقهاء في معنى النية وهي على النحو التالي:

وَالنِّيَّةُ: هي قَصْدُ العمل والطَّاعَةِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِيجَابِ الْفِعْل بالقلب، وهي التي تفرق بين أنواع العبادة كما تفرق بين العبادة والعادة[4].

(1) قواعد الأحكام في مصالح الأنام – العز بن عبد السلام (1/ 146)

(2) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص: 33)

(3) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – ابن قيم الجوزية (91/2).

(4) أنظر: الموسوعة الفقهية الكويتية – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت (59/42).

وتطلق النية ويراد بها المعنيان – الإخلاص والقصــد – كما في الحديث الذي يرويه عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"(1).

وقد وردت النية في كُتب العلماء والفقهاء على معنيين(2):

أَحَدُهُمَا: بِمَعْنَى تَمْيِيزِ الْعِبَادَاتِ بَعْضِــهَا عَنْ بَعْضٍ، كَتَمْيِيزِ صَــلَاةِ الظُّهْرِ مِنْ صَــلَاةِ الْعَصْــرِ مَثَلًا، وَتَمْيِيزِ صِــيَامِ رَمَضَــانَ مِنْ صِــيَامِ غَيْرِهِ، أَوْ تَمْيِيزِ الْعِبَادَاتِ مِنَ الْعَادَاتِ، كَتَمْيِيزِ الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ مِنْ غُسْلِ التَّبَرُّدِ وَالتَّنَظُّفِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَهَذِهِ النِّيَّةُ هِيَ الَّتِي تُوجَدُ كَثِيرًا فِي كَلَامِ الْفُقَهَاءِ فِي كُتُبِهِمْ.

الثَّانِي: بِمَعْنَى تَمْيِيزِ الْمَقْصُــودِ بِالْعَمَلِ، وَهَلْ هُوَ للهِ وَحْدَهُ لَا شَــرِيكَ لَهُ، أَمْ غَيْرُهُ، أَمِ اللهُ وَغَيْرُهُ، وَهَذِهِ النِّيَّةُ هِيَ الَّتِي يَتَكَلَّمُ فِيهَا العلماء فِي كُتُبِهِمْ فِي كَلَامِهِمْ عَلَى الْإِخْلَاصِ وَتَوَابِعِهِ، وَهِيَ الَّتِي تُوجَدُ كَثِيرًا فِي كَلَامِ السَّلَفِ الْمُتَقَدِّمِينَ.

فتبين للباحث من خلال ما أُســلِف ســابقًا أن النية أعم من الإخلاص، ومن خلال النية يُعرف مكنونات القلب، وهل العمل خالصًا لله ﷻ أم أن العمل فيه دخن وشوائب.

وقد وردت بعض الآيات في ســورة الزمر تتحدث عن الإخلاص فقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾[الزمر:11-15]

وتبدأ هذه الآيات بتقرير للنبي ﷺ حيث يقول الله ﷻ قل أيها الرســول إني أمرني الله أن أعبده وحده مخلصًــا له العبادة، وأمرني أن أكون أول من أسـلم له وانقاد من هذه الأمة، وقل إني أخاف إن عصـيت الله ولم أطعه عذاب يوم عظيم، وهو يوم القيامة، وإني أعبد الله وحده مخلصًـا له العبادة، لا أعبد معه غيره، ثم وجه الله ﷻ خطابه للكافرين بقوله فاعبدوا أيها المشــركون ما شـئتم من دونه من الأوثان، والخطاب هنا ليس للإباحة أو إذنًا بعبادة الأصــنام، وإنما هو تهديد ووعيد بأنكم إن أشـركتم مع الله ﷻ أحدًا في العبادة فأنتم الخاسـرون حقًّا الذين خسـروا أنفسـهم،

(1) صحيح البخاري – باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (6/1) الحديث الأول.

(2) انظر: جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط – ابن رجب الحنبلي (65/1–66).

وخســـروا أهليهم، فلم يلقوهم لمفارقتهم لهم بانفرادهم بدخول الجنة، أو بدخولهم معهم النار، فلن يلتقوا أبدًا، ألا ذلك حقا هو الخسران الواضح الذي لا لبس فيه، فيُستنتج من الآيات السابقات أن الإخلاص في العبادة هو شـرط لقبولها والإشـراك بالله سـبب لحبوط العمل ودخول النار والعياذ بالله[1].

وقد أمر الله ﷻ رسوله ﷺ مرتين في هذه الآيات للتأكيد بإخلاص العبادة والطاعة لله وحده لا شـريك له، دون أن تكون مشـوبة بشـائبة الشـرك أو الرياء، وأمة الرسـول ﷺ من بعده مأمورة بذلك، لأن أمر الرســول ﷺ أمرٌ للأمة، وقد ابتدأ الحديث للرســول ﷺ لأنه قدوة لهذه الأمة، وقد امتثل النبي ﷺ لأمر الله ﷻ فكان أول من خالف دين آبائه، وخلع الأصـــنام وحطمها، وأســـلم لله ﷻ وآمن به، ودعا إلى ذلك، وكل هذه الأوامر تعريض بالمشركين وتعليم وإرشاد للمؤمنين[2].

ومن خلال اســتقراء الآيات الســابقة فإن الباحث يجد أنه لا بد من أمرين هامين عظيمين لقبول العمل وهما:

الأول: أن يكون صاحبه قد قصد به وجه الله ﷻ وحده.

الثاني: أن يكون موافقا لما شرعه الله ﷻ في كتابه أو بينه رسوله ﷺ في سنته.

فإذا اختل واحد من هذين الشـرطين لم يكن العمل صـالحاً ولا مقبولاً، حيث ذكر أهل العلم عن قبول العمل فقالو: "وهذان ركنا العمل المتقبل؛ لا بد أن يكون خالصًــا لله ﷻ، صــواباً على شريعة رسول الله ﷺ".

من علامات الإخلاص:

أولًا: أن يبتغي المســـلم الأجر من الله ﷻ وحده، فيتخلص من حظوظ النفس، فلا يبحث عن شـــهرة، ولا مكانة اجتماعية، ولا زعامة، ولا ثناء الناس عليه، وقال الإمام الشـــافعي رحمه الله: "وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم، وما نسب إليَّ شيء منه"[3].

ثانيًا: أن يكون عمل السـر عنده أفضـل من العلانية، مع اسـتواء المدح والذم من الخلق، ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ الذي تحدث فيه عن أحد الســـبعة الذين

(1) انظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم (460/1).

(2) انظر: التفسير المنير للزحيلي (270/23-271)

(3) انظر: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال – أبو عبد الله الحنفي (185/1).

يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله فقال ﷺ: "وَرَجُلٌ تَصَــدَّقَ بِصَــدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ"[1].

ثمرات الإخلاص:

للإخلاص ثمرات عظيمة، تنفع العبد في دنياه، وتسعده يوم يلقى ربه سبحانه، ومن أبرز الشواهد على نفع الإخلاص في الدنيا ما يلي:

أولًا: تفريج الكُربات، وإزاحة الغموم: ومن ذلك ما ثبت في الصحيح في قصة الفتية الثلاثة أصحاب الغار الذين أخبرنا عنهم النبي ﷺ أنهم دخلوا غاراً فوقعت صخرة فسدت عليهم باب الغار فتوسلوا إلى الله بالإخلاص، وتوسل كل واحد من الثلاثة بإخلاصه في عمله لله تعالى، فكلهم يقول: "اللهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ"[2]، ولما علم الله إخلاصهم فرّج عنهم الله ببركة إخلاصهم.

ثانيًا: أن الإخلاص لله تعالى في العمل ينجّي صاحبه في الآخرة، فقد صح عن أمّ المؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها، قالت: قالَ رسول الله ﷺ: "يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ" قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: "يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ"[3]، ففي هذا الحديث إشارة إلى أن دور النية الصالحة والإخلاص لله تعالى يجعل المرء بمنجاة عن الهلكة في الآخرة.

فبعد ذكر الفرق بين الإخلاص والنية وعلامات الإخلاص وثمراته يتبين للباحث أن الصبر على الطاعة ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي كما يلي:

---

(1) صحيح البخاري – باب الصدقة باليمين (111/2) حديث رقم (1423)، وصحيح مسلم – باب فضل إخفاء الصدقة (715/2) حديث رقم (1031).

(2) صحيح البخاري – بَابُ مَنِ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَتَرَكَ الأَجِيرُ أَجْرَهُ، فَعَمِلَ فِيهِ المُسْتَأْجِرُ فَزَادَ، أَوْ مَنْ عَمِلَ فِي مَالِ غَيْرِهِ، فَاسْتَفْضَلَ (91/3) حديث رقم (2272).

(3) صحيح البخاري – بَابُ ما ذُكر في الأسواق (65/3) حديث رقم (2118)، صحيح ابن حبان – ذِكْرُ الْخَبَرِ الْمُدْحِضِ قَوْلَ مَنْ نَفَى كَوْنَ الْخَسْفِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ (155/15) حديث رقم (6755).

أولاها: صبر قبل الطاعة، فإن الشيطان يُجاهد مع هوى النفس الإنسانَ الصالح بصرفه عن الطاعة، ويُزين له أسباب الراحة وحب التملك، حتى يصرفه عن أعمال الخير من العبادات والصدقات وأنواع القربات من الله ﷻ.

ثانيها: صبر في الطاعة، فبعد الانتصار في المرحلة الأولى على النفس على وساوس الشيطان، فإن النفس تحتاج إلى الصبر والمجاهدة حتى تستطيع المواصلة والثبات على طريق الطاعة والعبادة، لأن النفس أمارة بالسوء، قد قال الله ﷻ: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف:53].

ثالثها: صبر بعد الطاعة، فإن العبد إذا أخلص العمل لله ﷻ ولم يُرد به شيءٌ من عرض هذه الدنيا وفتاتها فإن الله ﷻ يُظهر بعضًا منها للناس، كما أن الشيطان يُزين له ما صنع ويحقِّر من أصحاب الخطايا في نظره، فإن كان من ضعاف النفوس فإن العجب والمن وحب السمعة بين الناس بتسلل إلى قلبه، وهذا من أشد الأخطار على النية الصافية، فإن ذلك ينسف ما سبق من الأعمال، لأن الله لا بقبل إلا ما كان له خالصًا.

ولا بد من التفريق بين مدح الناس لأهل الخير دون قصدٍ من فاعل الخير، وبين من يفعل الأمر لأجل المدح من قبل العباد، فإِذَا أُثْنِيَ عَلَى العبد الصَّالِحِ فَهِيَ بُشْرَى وَلَا تَضُرُّهُ، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: "قيل لرسول الله ﷺ: "أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: تلك عاجل بشرى المؤمنين"[1].

المطلب الثالث: الشرك طريق حبوط العمل

تمهيد: بعد الحديث في المطلب السابق عن شرط قبول العمل وهو الإخلاص لله ﷻ في الأعمال الصالحات التي على هدي النبي ﷺ، تحدثت في هذا المطلب عن أهم ما يُحبط الأعمال وهو الشرك بالله ﷻ وهناك شرك واضح جلي وهو الردة الكُفر الصريح بما أُنزل على النبي ﷺ، وهناك شرك خفي لا يظهر للعيان وهو من خبايا القلب التي لا يطلع عليها إلا الله ﷻ فكان لابد من الوقوف على هذا الباب حتى يتفطن العبد من حقيقة أعماله، وأي طريق يسلك.

(1) صحيح مسلم – بَابُ إِذَا أُثْنِيَ عَلَى الصَّالِحِ فَهِيَ بُشْرَى وَلَا تَضُرُّهُ (2034/4) حديث رقم (2642).

فلابد للعبد أن يحذر من إن يوافي ربَّه يومَ القيامة بأعمال صـــــالحة أمثال الجبال، ثم لا تنفعه؛ لأنه قد تهاوَنَ وتساهلَ، فأقدمَ على ما يُذهِب ثوابَها وحسناتها وأجرها من رياء وسمعة وأكل مال الناس بالباطل والخوض في أعراضهم.

تعريف الحبوط في اللغة: (حَبِطَ) الْحَاءُ وَالْبَاءُ وَالطَّاءُ أَصْـلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى بُطْلَانٍ أَوْ أَلَمٍ. يُقَالُ: أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَ الْكَافِرِ، أَيْ أَبْطَلَهُ، وَأَمَّا الْأَلَمُ فَالْحَبَطُ: أَنْ تَأْكُلَ الدَّابَّةُ حَتَّى يُنْفَخَ لِذَلِكَ بَطْنُهَا، وَمِمَّا يَقْرُبُ مِنْ هَذَا الْبَابِ حَبِطَ الْجِلْدُ، إِذَا كَانَتْ بِهِ جِرَاحٌ فَبَرَأَتْ وَبَقِيَتْ بِهَا آثَارٌ[1].

[حبط]: "أحبط الله عمله، أبطله، حبط عمله وأحبطه غيره، من حبطت الدابة إذا أصـــابت مرعى طيباً فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت، والحبط التخمة، وخوف المؤمن أن "تحبط" عمله، أي من حبط ثوابه بعدم إخلاصه"[2].

تعريف الحبوط في الاصـطلاح: "فسـاد ما تجمع في الجوف بكثافة لعدم تصـرفه كضـغط الطعام في الجوف من تجمعه بكثافة وعَدَم تصـرفه في البدن، أي من عَدَم قبول البدن له فيفسُـد وتهلِك الماشية، وكالدم يتجمع في الجُرْح ولا يقبله الجسم فيفسد ويتقيح فيُبَطّ ليَذْهب"[3].

ويطلق لفظ الحبوط على المفرط في جمع الدنيا ومنعها من حقها ويمنع ذا الحق حقه بذلك في الآخرة بدخوله النار، أو للمقتصـــــد في أخذها والانتفاع بها فيكون الخير بين يديه ولا ينتفع به[4].

ومن خلال التعريفات السـابقة اسـتنبط الباحث تعريف الحبوط على أنه: ذهاب ثواب عمل العبد لوجود ما يمنع القبول من الرياء أو الشرك، رغم أن العمل يبدو متقنًا ولكنه في حقيقته غير ذلك، كما تبدو الدابة سمينة تجذب الأنظار والحقيقة أنها مريضة وتوشك على الهلاك.

وقد بين الله ﷻ أنه لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصًا له فقد بينت الآيات في سورة الزمر على ذلك بقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر:65-66]

(1) انظر: مقاييس اللغة (129/2-130).

(2) مجمع بحار الأنوار (437/1).

(3) المعجم الاشتقاقي المؤصل – د. محمد حسن جبل (367/1).

(4) انظر: الغريبين في القرآن والحديث (399/2).

وقد بينت سورة الزمر من خلال الآيتين السابقتين أن الخطاب عامٌ لجميع الرُسل عليهم السلام وفي مقدمتهم النبي محمد ﷺ كونه هو المخاطب في هذه الآية، وفيها إشارة إلى الشرك سببٌ لحبوط العمل، ولا أحد معصوم من نسف ثواب العمل في حال الشرك، وهو أيضًا تَأْيِيدٌ لِأَمْرِهِ بِأَنْ يَقُولَ لِلْمُشْرِكِينَ تِلْكَ الْمَقَالَةَ مَقَالَةَ إِنْكَارِ أَنْ يَطْمَعُوا مِنْهُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، بِأَنَّهُ قَوْلٌ اسْتَحَقُّوا أَنْ يُرْمُوا بِغِلْظَتِهِ لِأَنَّهُمْ جَاهِلُونَ بِالْأَدِلَّةِ وَجَاهِلُونَ بِنَفْسِ الرَّسُولِ وَزَكَائِهَا، وَأَعْقَبَ بِأَنَّهُمْ جَاهِلُونَ بِأَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنَّهُمْ لَا يَتَطَرَّقُ الْإِشْرَاكُ إِلى قُلُوبِهِمْ، وحبوط العمل هنا في هذه الآية مقرون بالشرك والذي فيه إنكار لرسالة محمد ﷺ أو إشراك الله ﷻ في العبادة بعبادة الأصنام والأوثان[1].

وقد حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه حديثًا عن رسول الله ﷺ قال فيه: "قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه"[2]، والواضح من الحديث أن الله تعالى غني عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيئا لله ولغيريه سوءً كان اعتقادً أم كان سمعة ورياءً لم يقبله بل تركه لذلك الغير، والمراد أن العمل باطل لا ثواب فيه.

الفرق بين حبوط العمل وحبوط ثواب العمل:

حبوط العمل وبطلانه، ويلزم معه حبوط الثواب، أما حبوط الثواب فلا يُشترط أن يكون محبطًا للعمل، فهو ألا يكون للإنسان ثواب على عمله، فقد يصح العمل دون الحصول على ثواب عليه عقوبة على معصية ارتكبها الإنسان.

فلا يلزم من سقوط ثواب العمل سقوط العمل، بدليل أن الصلاة في الدار المغصوبة صحيحة مسقطة للقضاء، مع كونها لا ثواب فيها عند أكثر العلماء[3].

أسباب محبطات ثواب الأعمال:

أولاً: الشرك بالله تعالى: وهو الداء الخبيث والمرض القاتل لا محالة إلا أن يتوب صاحبه، ومن تاب، تاب الله عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر:65].

---

(1) انظر: التحرير والتنوير (58/24).

(2) صحيح مسلم – باب من أشرك في عمله غير الله (2289/4) حديث رقم (2985).

(3) البيان في مذهب الإمام الشافعي – أبو الحسين يحيى اليمني الشافعي (المتوفى: 558هـ) (160/1).

إن من ســــنن الله ﷻ التي لا تتغير أن الله لا يقبل من عباده عملًا إلا أن يأتوا بالتوحيد الذي هو حق الله على العبيد، فقد صح عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟"، قال: الله ورسـوله أعلم، قال: "أن يعبدوه ولا يشـركوا به شـيئا، أتدري ما حقهم عليه؟"، قال: الله ورسوله أعلم، قال: "أن لا يعذبهم"(1).

ثانيًا: الرياء والنفاق: مثل أن يقوم الرجل فيصـــلي فيزين صــلاته لما يرى من نظر الناس إليه، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "من سمَّعَ سمَّعَ الله به، ومن يرائي يرائي الله به"(2).

ثالثًا: المن بالعمل الصــــالح: فقد قال الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ [البقرة:264].

رابعًا: كراهية شــيء مما جاء به النبي ﷺ وإن عمل به لقوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩﴾ [محمد:9] فكراهية شــيء من شــرع الله ﷻ وهدي نبيه الأمين ﷺ لمخالفة هواهم، هو محبط للعمل كالذي يعتقد أن الشــرع لا يصــلح في هذه الأزمنة ويرون أنه لا يتطابق مع الحداثة والتطور ويعتقدون أن فيه رجعية وتخلف.

فهذه بعضٌ من أسباب حبوط العمل، مع وجود أسباب عديدة لحبوط العمل، ولكن الباحث اختار أهم هذه الأسباب من وجهة نظره.

---

(1) صحيح البخاري – باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (9/ 114)، حديث رقم (7373)، صحيح مسلم – باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك دخل الجنة وحرم على النار (1/ 59) حديث رقم (50).

(2) صحيح البخاري – باب الرياء والسمعة (8/104-105)، حديث رقم (6499)، (سمع) شهر بنفسه وأذاع ذكره وقيل عمل عملا على غير إخلاص يريد أن يراه الناس ويسمعوه، (سمع الله به) كشفه على حقيقته وفضح أمره، (يرائي) يطلع الناس على عمله بقصد الثناء منهم، (يرائي الله به) يطلع الناس على حقيقته وأنه لا يعمل لوجه الله تعالى فيذمه الناس مع استحقاق سخط الله تعالى عليه [تعليق مصطفى البغا] (نفس المرجع).

المطلب الرابع: نعمة الثبات في الشدة والرخاء

تمهيد: إن الثبات على الهداية والإسلام والسنة وقت الرخاء نعمةٌ من عند الله يمُنّ بها على من يشاء من عباده، لأنها تحتاج إلى كثير مداومة على حمد الله وشكره، لأن العبد وقت الرخاء يكون في كثير من الملهيات التي تنسيه ذكر ربه، أما وقت الشدة فإن العبد يجزع ويهرع ليطرق باب ربه سبحانه وتعالى.

فإن الإنسان أحوج ما يكون لأن يمن الله ﷻ عليه بنعمة الهداية والثبات، فإن كثيرًا من العلماء والدعاة سقطوا على طريق الدعوة لأنهم كانوا في بداية دعوتهم في رخاء وسعة من أمرهم فلما اشتدت عليهم فتن الدنيا الكثيرة سقطوا أمامها، فقد كان النبي ﷺ يخشى على أمته من الانتكاسة فعلم الناس دعاءً يتحصنوا به، فقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، يقول: أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: "إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء" ثم قال رسول الله ﷺ: "اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك"[1].

وقد وصف القرآن الكريم في سورة الزمر حال كثير من الخلق قائلًا ﷻ: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر:8].

فإذا مَسَّ الإنسان بلاء في جسده من مرض، أو شدّة وضيق في معيشته، خشع وخضع واستغاث بربه من شدة ذلك وتملّق بين يديه وتضرع إليه في كشف ما نزل به، ويعود تائبا لخالقه مما كان منه قبل ذلك من الكفر، وإشراك الآلهة والأوثان به في عبادته، راجعًا إلى طاعته[2].

فإذا أزال عنه ضرّه، وكفاه أمره، نسى ما كان يدعو إليه من قبل، ونسي الدعاء الذي كان يدعُ به، ونسي الضر الذي ألمَّ به، وجعل لله أندادا، فيعود إلى رأس كفرانه، وينهمك في كبائر عصيانه، ويشرك بمعبوده، هذه صفته فسحقًا له وبعدًا، ولسوف يلقى عذابًا وخزيًا[3].

---

(1) صحيح مسلم – باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (2045/4) حديث رقم (2654).

(2) انظر: تفسير الطبري، جامع البيان ت شاكر (262/21).

(3) انظر: لطائف الإشارات – تفسير القشيري (271/3)، وانظر: زاد المسير في علم التفسير (9/4).

والنتيجة أن تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ من باب الخذلان والتخلية، فبعد التضـــرع والإيمان والطاعة، فمن حقك ألا تؤمن بـه بعد ذلك، والأمر بالتمتع بالكفر هو عبارة عن مبالغة في خذلانه وتخليته وشـــأنه، والعاقبة في نهاية الأمر إلى نار جهنم وبئس المصـــير، ونظيره في المعنى قوله ﷻ: ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧﴾ [آل عمران:197][1].

فمن كثرة تقلب الحال لدى العباد، لابد للإنســان الصــالح إن يســأل ربه أن يرزقه الثبات حتى الممات لأن العبرة بالخواتيم، فلا يدري العبد على أي حالٍ يلقى ربه ﷻ وذلك مصـــداقًا لقوله ﷺ في الحديث الذي يرويه عبد الله، قال: حدثنا رســول الله ﷺ: "إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما، ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مضـــغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع: برزقه وأجله، وشــقي أو ســعيد، فوالله إن أحدكم - أو: الرجل - يعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع، فيســبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين، فيســبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها"[2]

أقسام الناس أثناء الشدة والرخاء:

فإن الناس من حيث التعرف على الله والثبات أثناء الشدة والرخاء على أربعة أقسام وهي:

الأول: من يعرفون الله في الرخاء والشـــدة وهؤلاء بأعلى المنازل، فقد وصـــفهم القرآن بقولــه ﷻ: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزُّمَر:9]، للدلالة على أنهم يتقربون إلى ربهم في كل أوقاتهم لا يفترون عن العبادة يرجون الرحمة والإعانة على الثبات.

الثاني: من يعرفون الله في الرخاء ولا يعرفونه في الشدة، فقد وصف الله حال هذه الفئة من الناس بقوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ [الحج:11].

---

(1) انظر: تفسير الزمخشري - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 116).

(2) صحيح البخاري - باب في القدر (122/8)، حديث رقم (6594).

الثالث: صنف من الناس يعرفون الله في الشدة دون الرخاء، وصف حالهم القرآن بقوله ﷻ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت:65].

الرابع: أما هذا الصنف من الناس وهو من أشقى الأصناف وهم الخاسرون الذين خسروا الدنيا قبل الآخرة وهم الذين لا يعرفون الله لا في الرخاء ولا في الشدة.

وقد يُبتلى المسلم في حياته لحكمةٍ لا يعلمها البشر، بل يعلمها ربّ البشر ﷻ، فالابتلاء أمر حتمي ليميز الله ﷻ الخبيث من الطيب، وجعل الله تعالى حياة الإنسان في الدنيا تتقلّب بين السعادة والشقاء، والعسر واليسر، والغنى والفقر، والصحة والمرض، وهي دار تعب وعناء، وعمل وبلاء، كثيرة التبدّل وسريعة التحوّل.

أسبابُ الثباتِ على الهدايةِ والإسلامِ:

أولًا: الإقبالُ على القرآن الكريم والسنة النبوية وتدبُّر الآيات والأحاديث، فالقرآنُ والسنة النبوية من أهم أسباب الثبات، قال ﷻ: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [النحل:102]، ولا يكون الإقبال على القرآن إلا بالإقبال عليه تلاوةً وحفظاً وتفسيراً وعملاً.

ثانيًا: الاطلاع على قصص الأنبياء والصالحين والنظر في المحن التي مروا بها والثبات الذي ثبتوا عليه، حتى أنك تشعر في بعض الأحيان أنهم ليسوا بشرًا من شدة صبرهم وجلدهم على المصائب، وقد ذكر القرآن إشارات عنهم ثم ذكر الفائدة من وردها في النص القرآني حيث قال الله ﷻ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود:120].

ثالثًا: ومن الأسباب المُعينة على الثبات التربيةُ الإسلاميةُ الفرديَّةُ والجماعيةُ القائمة على الطرق العلمية المتدرجة المنبثقة عن الكتاب والسُنَّةِ وفهم السلف الصالح، وبغير هذه التربية لا يستطيعُ المؤمنُ الثباتَ أمام وجودِ المغرياتِ والشهوات والشبهات.

رابعًا: الإكثار من ذكر الله ﷻ فهي من أسباب طمأنينة القلب والثبات على الهداية لقوله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد:28].

خامسًا: الإكثار من الدعاء لله ﷻ والطلبُ والإلحاحُ عليه ﷻ على الهدايةِ والثبات، ولذلك كانَ من دعاء المؤمنين ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾[البقرة:250]، وكانَ من دعائه ﷺ "اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك"[1].

سادسًا: الالتفاف حول الصحبة والرفقةِ الصالحةِ فإنها من أهم الأسباب للثبات على الهدايةِ وأحسنُ الجلساءِ الصالحين هم العلماء وطلبةُ العلم، فقد صح عن النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: "المرءِ على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل"[2].

ثمار الثبات على الحق:

فلابد للعبد أن يعلم أن لكل شيء ثمرة، فإذا سار المؤمن على الأسباب المعينة على الثبات لابد له أن يجنى الثمار التالية:

أولًا: بعد مرحلة الابتلاء والصبر يكون العبد اعتاد على كثرة العبادة والتقرب من الله ﷻ فيصبح حريصاً على أدائها أكثر فأكثر ويكثر من النوافل وتلاوة القرآن، ويكون قد تهيأ قلباً وروحاً عن الانقطاع عن كل ما يشغله، بالإضافة إلى تنقية النفس من الشوائب المتعلقة بالشرك والرياء وحب الهوى.

ثانيًا: تكفير السيئات والحط من الذنوب ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب[3]، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه"[4].

ثالثًا: من تلك الثمرات أن العبد بعد الانكباب على الطاعة، وتكفير الذنوب بسبب الابتلاء كما ورد في حديث أبي هريرة ﷺ في النقطة السابقة، فلا شك أن الصبر على الابتلاء وسيلة من

(1) صحيح مسلم – باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (2045/4) حديث رقم (2654).
(2) مسند أحمد ط الرسالة – مسند أبو هريرة ﷺ (142/14)، حديث رقم (8417)، إسناده جيد، رجاله ثقات رجال الشيخين غير موسى بن وردان، فقد روى له البخاري في "الأدب"، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والنسائي في "عمل اليوم والليلة"، وهو صدوق [تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون].
(3) (نصب): تعب، (وصب): مرض.
(4) صحيح البخاري – باب ما جاء في كفارة المرض (114/7) حديث رقم (5641).

وسائل دخول الجنة، وذلك مصداقًا لقوله ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)﴾ [البقرة:214].

المطلب الخامس: العمل من العبد والنتائج بيد الله

تمهيد: ينبغي على المسلم أن يجتهد في القيام بالأعمال الصالحة، ويداوم عليها، لأنه مخلوق مكلف بحمل رسالة ربانية، وهي عمارة الأرض ونشر دعوة الله ﷻ، كما يجب أن تكون هذه الأعمال خالصةً لوجه الله تعالى، فالأعمال الصالحة التي يقوم بها المسلم ممّا شرعه الله وطلب من عباده القيام بها تزيد من إيمانه؛ حيث إنّ الإيمان يزيد بالطاعات والإكثار من العبادات، كما أن الإنسان لا يحقق ذاته في مجتمعه إلاّ عن طريق العمل الجاد.

أولًا: العمل عبادة:

يَعتبرُ الإسلامُ العملَ عبادة خالصة، فالشريعة الإسلامية تدعو إلى العمل والانطلاق وعدم الركون للكسل، فالمسلم إنسان إيجابيّ يجب عليه أن ينطلق في هذه الدنيا طالباً ما عند الله من خير عميم، وهذا الانطلاق لا يكون إلا بالعمل المباح الصالح.

وتركز الحديث هنا على العمل المبذول سعيًا للهداية سواءً على المستوى الشخصي للعامل أو لهداية الناس وتخليصهم من ظلمات الجهل وطرق الغواية، وقد نصت الآيات الكريمات من سورة الزمر على جانب العمل للحصول على الهداية فقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)﴾ [الزمر:17-18]

ذكرت الآيات بشرى للعباد الصادقين الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ بما نزل من الوحي فيجتهدن باتباع أَحْسَنَهُ أرجحه وأكثره ثواباً، وهؤلاء الذين اجتنبوا الطاغوت، وأنابوا إلى ربهم، فإن أُولئِكَ الموصوفون بتلك الصفات الجميلة هم الَّذِينَ منَّ الله ﷻ عليهم بالهداية للصدق والصواب والتزام دينه[1].

---

(1) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (63/5).

وقد بيّنت الآيات أن الهداية بيد الله ﷻ وحده، لذا خاطب الله رسوله ﷺ مسليا له: أفأنت تنقذ من النار من حقت عليه كلمة العذاب، ويلاحظ أن الهداية والضلال بيد الله ﷻ وإيجاده، أما تحصيلهما واكتسابهما واختيارهما فمن العبد، قال ﷻ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف:17][1].

ثانيًا: الاجتهاد في تبليغ الدعوة:

وقد كان النبي ﷺ يجتهد في تبليغ الرسالة ويسعى جاهدًا بكل ما أوتي من قوة ليُدخل جميع الناس في دين الله ﷻ، ولكن لم يُفلح في كل محاولته فكان ذلك يُحزنه فجاءت الآيات التي تُسلي قلب النبي ﷺ بقوله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص:56] كما قال ﷻ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف:6] أي لعلك قاتلٌ نفسك غمًا وحزنًا[2] لهداية الناس.

فإن المطلوب منك يا محمد ﷺ أن تجتهد في دعوة الناس لعبادة الله ﷻ وتبليغ رسالته، ولتعلم أن النتائج بيد الله وحده في هداية الناس، وقد وقع أجرك على الله.

كما أن العبد ما عليه سوى العمل في شتى المجالات وأن يُريَ الله منه خيرًا، والنتائج بعد ذلك بيد الله، وقد ذكر القرآن أمثلة كثيرة على ذلك أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر اجتهاد العباد في الأعمال العسكرية، فقد قال ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:60] فطُلب هنا الإعداد بالعمل حسب الاستطاعة لا حسب قوة العدو، والنتائج كانت في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران:123] فكان النصر والتأييد من الله ﷻ.

ثالثًا: فضل المداومة على العمل الصالح:

إن للمداومة على العمل الصالح فضائل وثمرات وفوائد كثيرة، منها ما هو متعلق بالدنيا ومنه ما هو متعلق بالآخرة، ومنها ما هو متعلق بالدنيا والآخرة، ومن أهم هذه الثمرات والفوائد ما يلي:

---

(1) التفسير المنير للزحيلي (272/23).

(2) التفسير الميسر (294/1).

الأول: أن العمل هو جزءٌ من الإيمان، ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسـول الله ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون – شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"(1)، وبذلك يكون عمل الجوارح ولو بالشيء اليسير هو من الإيمان وإن كان فقط بتنحية وإبعاد الأذى عن طريق العباد.

الثاني: من أسـباب وجود العباد على هذه الأرض هي الاستخلاف على هذه الأرض، لإعمارها، ولابد للمُستخلف في هذه الأرض من العمل كما قال ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور:55].

ولكن في حالة عدم عملكم واجتهادكم، وفي حال الإعراض يكون الاستبدال بمن هو خيرٌ منكم وما ذلك على الله بعزيز، وقد نصـت الآيات على ذلك في قوله ﷻ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد:38].

الثالث: أن العبد يعمل في الدنيا أعمال الخير البسـيطة فتارة تجده يُصـيب، وتارة تجده يُخطئ، ولكن الله ﷻ برحمته وفضله وكرمه يجزي هذا العبد على هذه الأعمال البسيطة قصيرة الزمن في الحياة الدنيا التي لا ترقى لفضـل الله ﷻ، جنات كثيرة وإلى الأبد دون انقطاع فقد قال ﷻ: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [التغابن:9].

رابعًا: شروط قبول العمل الصالح: العمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة أمور(2):

الأول: أن يكون خالصـاً لله ﷻ؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البيّنة:5].

الثاني: أن يكون موافقاً لما جاء به الرسـول ﷺ، لأنه الله ﷻ يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:7].

---

(1) صحيح مسلم – باب شعب الإيمان (63/1) حديث رقم (58).

(2) مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة – محمد بن إبراهيم التويجري (ص: 412).

الثالث: أن يكون فاعله مؤمناً؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:97].

وإذا اختل شرط الشروط السابقة بطل العمل.

المطلب السادس: قَبول الندم والتوبة يكون في الدنيا فقط

تمهيد: في بعض الأحيان يضعف العبد المُسلم أمام شهوات نفسه فيقع في المُحرّمات، فيكون بحاجة للتوبة، ومن رحمة الله ﷻ بالعباد أن فتح لهم باب التوبة، ليلتجئ كل عبد وقع في معصية الله ﷻ، فمن تاب بعد ذنبه تاب الله ﷻ عليه، بشرط أن تكون توبةً نصوحًا، لقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم:8]، وهي التوبة الصادقة التي يعزم بها العبد أن لا يعود للذنب، ويجاهد نفسه على ذلك، كما ويقتدي المُسلم بالنبي ﷺ الذي كان يتوب إلى الله ﷻ دائماً، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال عن نفسه: (واللَّهِ إنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وأَتُوبُ إلَيْهِ في اليَومِ أكْثَرَ مِن سَبْعِينَ مَرَّةً)[1] وفي حديث مسلم أنه كان يستغفر في اليوم مائة مرة[2]، والتوبة ليست للعصاة من المسلمين فقط، إنّما هي للكفار أيضاً في حال الرغبة في اعتناق الإسلام، فيكون الجزاء من الله ﷻ بأن يبدل سيئاتهم إلى حسنات، قال ﷻ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان:70].

وقت قبول التوبة:

ومن الضرورات أن يعلم العبد أن باب التوبة لا يبقى مفتوحًا إلى الأبد، ولكن هناك وقت يُغلق فيه هذا الباب، وقد وضحت الآيات في سورة الزمر وفي السنة النبوية إشارات وعلامات للإنسان لتنبيهه بأن ينتهز الفرصة المناسبة للتوبة حتى لا يندم على ما فرط في وقت لا ينفع الندم فيه، وقد ورد ذلك في عدة آيات من خلال سورة الزمر أذكر منها:

---

(1) صحيح البخاري – باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة (67/8) حديث رقم (6307).

(2) صحيح مسلم – باب استحباب الاستغفار والإكثار منه (2075/4) حديث رقم (2702).

أولًا: وقد تحدثت سورة الزمر عن التوبة وذلك باستغلال الوقت والإسراع فيها فقال ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الزمر:47]

فهذه الآية فيها وعيد شـــديد وإقناط كلي لهم من الخلاص، وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ فيها إشارة إلى زيادة المبالغة في العذاب، فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ من الوعد، وَبَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ مَا كَسَبُوا من أعمالهم حين تعرض صحائفهم، فكان عقابهم إلى جهنم وبئس المصير [1].

ثانيًا: ومن كمال عدل الله ﷻ أنه منح للعصاة والمشركين فرصًا كثيرة للتوبة والعودة إلى طريق الحق قبل أن يغلق الباب في وجوههم يوم القيامة فقال ﷻ: ﴿ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:53]

فقد أمهل الله ﷻ عباده جميعًا العاصي منهم والمُطيع تفضلاً منه إلى آخر نفس من أنفاسهم، فقال لهم لا تقنطوا من رحمتي فلو رجعتم إلي في آخر نفسٍ قبلتكم، وقيل عن هذه الآية أنها أبلغ آية في الإشفاق من الله ﷻ على عباده، وهي من أرجى الآيات للعصاة في العودة إلى الله مهما اقترفوا من الذنوب المعاصي[2].

ثالثًا: ثم بعد ذلك يؤكد الله ﷻ على عباده أن يعودوا إلى الطريق المستقيم قائلًا لهم ﷻ: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزمر:54] وفيها طلب صريح من الله ﷻ لعباده أن ارجعوا إليه بالتوبة من الشرك والآثام التي اقترفتموها، رأفة ورحمة بهم، وَأَسْلِمُوا له من قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ في القبر وبعد البعث فحينئذ لا ينفع الإيمان منكم فتعذبون ثم لا تنصرون[3].

رابعًا: فبعد ذلك يبدأ الإنسان بالندم على ما فاته بالدنيا وعلى تقصيره، وعدم توبته فيصور الله ﷻ هذا المشهد بقوله: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزمر:56] أي يقول العبد يَا حَسْرَتي ويا ندمي عَلى ما فَرَّطْتُ وتركت وضيعت فِي جَنْبِ

---

(1) انظر: تفسير البيضاوي – أنوار التنزيل وأسرار التأويل (5/ 45)

(2) انظر: تفسير التستري (ص: 134).

(3) انظر: التفسير المظهري (228/8).

اللهِ من الطاعات والعبادات والتوبة والإنابة، والندم هنا أيضًا للمسلم على تقصيره وتضييعه لذكر الله ﷻ وَإِنْ كُنْتُ من قبل ذلك في الحياة الدنيا لَمِنَ المستهزئين بالقرآن والداعين إلى طريق الحق، وكُنت من اللاهين المُقصرين في عبادة الله حق عبادته[1].

خامسًا: فبعد ذلك يبدأ هذا العبد بعدما رأى ما رأى من العذاب بالطلب من الله ﷻ وممن حوله من الملائكة أن يعطوه الفرصة الثانية لعله يعمل صالحًا فقال ﷻ واصفًا حالهم بقوله: ﴿أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨﴾ [الزمر:58] أي أن هذه النفس تقول عندما ترى العذاب ليت لي رجعة إلى الحياة الدنيا فأكون من المهتدين المحسنين لعقيدتهم وأعمالهم الذين يعملون الأعمال الصالحات، فيظهر على هذا المقصر الحسرة على التفريط في الطاعة، والكفر في دين الله ﷻ.

سادسًا: ومن ثم تمنى الرجعة إلى الدنيا لتدارك ما فات، ولكن الإجابة سرعان ما تكون بقوله ﷻ: ﴿ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٩﴾ [الزمر:59] أي إنه لا فائدة من هذا الطلب، لأننا قد بعثنا لكم بالآيات والرُسل في الحياة الدنيا، ثم أرسلنا لكم بالكُتب وختمناها بالقرآن العظيم الذي يُتلى عليكم باستمرار ويذكّركم بما فيه من وعد ووعيد، وتباشير كثيرة فكذبتم بها واستكبرتم عن قبولها، وكنتم ممن يعمل عمل الكافرين ويستنّ بسنتهم، ويتّبع مناهجهم، فقد انتهت الفرص الآن[2].

سابعًا: ثم بعد ذلك يُخبر الله ﷻ عن خزي الذين كذبوا عليه، وعن أحولهم بحيث تكون وجوههم يوم القيامة مسودة شاحبة كأنها الليل البهيم، يعرفهم بذلك أهل الموقف وأهل الحق، فالحق أبلج واضح كأنه الصبح، فكما سوَّدوا وجه الحق بالكذب والافتراء عليه في الدينا، سوَّد الله وجوههم يوم القيامة، وهذا جزاء من جنس عملهم، فلهم الخزي سواد الوجوه بالإضافة إلى العذاب الشديد في جهنم، فقد وصف حالهم يوم القيامة بقوله ﷻ: ﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠﴾ [الزمر:60] ثم وجه سؤلًا لمن يعتقد أنه نجى من العذاب رغم ما اقترفت يداه بقوله: ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠﴾ [الزمر:60]

---

(1) انظر: تفسير السمرقندي – بحر العلوم (3/191-192).

(2) انظر: تفسير المراغي (24/25)

وهم المتكبرين عن الحق، وعن عبادة ربهم، المفترين عليه، بلى والله، إن فيها لعقوبة وخزيا وسخطا، يبلغ من المتكبرين كل مبلغ، ويؤخذ الحق منهم حقه الذي ضيعوه في الحياة الدنيا[1].

فلابد للعبد المسلم أن يُسارع بالتوبة وكما أن الله ﷻ يُعطي الفرص الكثيرة للعباد للتوبة لأنه ﷻ يُريد أن يتوب عليهم لا ليعذبهم، وإن الله ﷻ يفرح بتوبة العبد أكثر من العباد أنفسهم بتوبة بعضهم البعض، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ، إِذَا وَجَدَهَا"[2].

كما أن التوبة في الدين الإسلامي سهلة يسيرة، تحتاج فقط قلبًا صادقًا إذا كان التقصير في حق الله ﷻ مع الاعتراف بالذنب بين العبد وربه مع الإكثار من الأعمال الصالحات كما قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران:135].

فضل توبة العباد لله ﷻ:

إن للتوبة فضائل كثيرة وردت في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ أذكر منها:

أولًا: التوبة تجلب حب الله ﷻ للعباد، وفرحه بالعبد التائب، حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة:222]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ، إِذَا وَجَدَهَا"[3].

ثانيًا: التوبة إلى الله والتحلل من المظالم المتعلقة بالله ﷻ وعباده يعتبر سببًا لدعاء الملائكة للعبد التائب وطلب المغفرة له من الله ﷻ، فقد قال ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر:7].

(1) انظر: تفسير السعدي – تيسير الكريم الرحمن (ص: 728).
(2) صحيح مسلم – باب في الحض على التوبة والفرح بها (4/ 2102) حديث رقم (2675).
(3) سبق تخريجه (المرجع السابق).

ثالثًا: والتوبة ســـببٌ من أســـباب نزول البركة وزيادة القوة والرزق للعباد، حيث قال ﷻ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢﴾ [هود:52].

شروط التوبة النصوح:

للتوبة النصوح العديد من الشروط حتى تكون مقبولةً عند الله ﷻ، ومن هذه الشروط[1]:

1. الإخلاص لله ﷻ؛ بأن لا يحملك على التوبة مراءاة الناس، أو نيل الجاه عندهم، أو ما أشبه ذلك من مقاصد الدنيا.
2. الندم على المعصــية، مع محاســبة النفس وعتابها عتابًا شــديدًا، وأن يبقى على خوف وعلى وَجَلٍ من الله ﷻ خوفًا من عدم قبول التوبة، مع بقاء الرجاء بالله ﷻ أنه يقبل التائب العائد إليه.
3. الإقلاع عنها، ومن الإقلاع إذا كانت التوبة في حقٍّ من حقوق الآدميين أن ترد الحق إلى صاحبه.
4. العزم على عدم العودة إلى الذنب في المســـتقبل عزمًا أكيدًا مع مجاهدة النفس على ذلك لما يكون من صـعوبة في الأمر في بدايته، خصـوصًـا إذا كان العبد معتادًا على هذه المعصية منذ زمن بعيد.
5. أن تكون التوبة في وقت القبول، وينقطع قَبول التوبة بالنســـبة لعموم الناس بطلوع الشـــمس من مغربها لما صـــح عن النبي ﷺ، وبالنســـبة لكل واحد بحضـــور أجله، قال الله ﷻ: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨﴾ [النساء:18]، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّـمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًـا إِيمَانُهَا" ثُمَّ قَرَأَ الآيَةَ ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ

(1) انظر: شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (22/2).

﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾ [الأنعام:158][1].

6. والتوبة في حق العباد يلزمها رد الحقوق إلى أهلها، وإلا تبقى المظلمة معلقة إلى يوم القيامة، ويُقتص من صاحبها أمام الله ﷻ، وقد ورد ذلك في الحديث الذي يرويه الإمام أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حســـناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه"[2].

وبعد استعراض شروط التوبة السابقة يتبين للباحث أن للتوبة شروط حال وشروط زمان، أما شروط الحال فهي الإخلاص والندم والإقلاع والعزم على عدم العودة، وَأَمَّا شروط الزمان فَهُوَ ضرورة التوبة قبل الغرغرة أي وقت خروج الروح من الجسد، وقبل طلوع الشمس من مغربها، فقبل هذا الوقت تكون التوبة متاحة ويكون العبد في بحبوحة من أمره، أما بعد هذا الوقت يحصل الندم في الوقت الذي لا فائدة من الندم.

---

(1) صحيح البخاري – بَابُ {لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا} [الأنعام: 158] (58/6) حديث رقم (4636)، وصحيح مسلم – بَابُ بَيَانِ الزَّمَنِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ فِيهِ الْإِيمَانُ (137/1) حديث رقم (248).

(2) صحيح البخاري– باب القصاص يوم القيامة (111/8) حديث رقم (6534).

المبحث الثاني:
التوجيهات الاجتماعية الأخلاقية من خلال سورة الزُّمَر

المطلب الأول: الكبر يمنع من الوصول إلى الحق:

تمهيد: يُعد الكبر من أعظم الذنوب وأكثرها بشـــاعةً عند الله ﷻ، كما أن أول الذنوب والمعاصـــي التي ارتكبت بعد خلق الخلق هي الكبر الذي أدى إلى أن يعصـــي إبليس اللعين أمر ربه ﷻ، وكان ســـببًا في طرد إبليس لعنة الله عليه من رحمة الله، إذ قال الله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص:71-78]، فهي من الذنوب التي تســـتحق اللعنة والطرد من رحمة الله ﷻ.

فأصل الْأَخْلَاق المذمومة كلهَا الْكبر وأصل الْأَخْلَاق المحمودة كلهَا الْخُشُوع وعلو الهمة، فالفخر والبطر وَالْعجب والحســد وَالْبَغي وَالْخُيَلَاء وإباء قبُول النَّصِــيحَة والاســتئثار وَطلب الْعُلُوّ وَحب الجاه، وطلب أَن يحمد بِمَا لم يفعل وأمثال ذَلِك كلهَا ناشئة من الْكبر[1].

تعريف الكبر لغةً: الكِبْرُ: الرِّفْعَة والشَّــرَفُ[2]، وَالْكِبْرُ بِالْكَسْــرِ اسْــمٌ مِنْ التَّكَبُّرِ والْعَظَمَةُ وَالْكِبْرِيَاءُ، وَيَكُونُ أَكْبَرُ بِمَعْنَى كَبِيرٍ تَقُولُ الْأَكْبَرُ وَالْأَصْغَرُ أَيْ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ[3].

تعريف الكبر اصـــطلاحًا: هو الْخُلُقُ الَّذِي فِي النَّفْسِ، وَهُوَ الِاسْــتِرْوَاحُ وَالرُّكُونُ إِلَى رُؤْيَةِ النَّفْسِ فَوْقَ الْمُتَكَبَّرِ عَلَيْهِ، وهو أيضًـــا خُلُقٌ بَاطِنٌ يَصْـــدُرُ عَنْ أَعْمَالٍ هِيَ ثَمَرَتُهُ، فَيَظْهَرُ عَلَى الْجَوَارِحِ، وَذَلِكَ الْخُلُقُ هُوَ رُؤْيَةُ النَّفْسِ عَلَى الْمُتَكَبَّرِ عَلَيْهِ، يَعْنِي يَرَى نَفْسَهُ فَوْقَ الْغَيْرِ فِي صِفَاتِ الْكَمَال[4].

---

(1) انظر: الفوائد لابن القيم (ص: 143).

(2) انظر: تاج العروس (7/14).

(3) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – أبو العباس الفيومي (2/523-524).

(4) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (34/165).

ويعرف الباحث الكبر أنه رفض الحق المخالف لهوى النفس، واحتقار الناس ويرى من نفسه أنه في مكانة لا يصل إليها أحد وأن جميع الخلق دونه.

صفات المتكبرين:

وقد بين الله ﷻ في كتابه في سورة الزمر بعضًا من صفات الكافرين التي منعتهم من الإيمان والتسليم والانقياد لأمر الله والمجادلة لعدم اتباعهم الحق، فقال ﷻ: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾[الزمر:59]

وقد وردت هذه الآية في السياق القرآني بعد أن حاول المشركون تبرير عدم اتباهم للدين الحق بقولهم: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[الزمر:57] فجاء الرد من الله ﷻ ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى ﴾ أيها الكافر المُكذب لآيات الله، المتمني على الله الرد إلى الدنيا لتكون فيها من المحسنين، فقد جاءتك بيناتي الواضحة الدلالة على الحق من رسول أرسلته إليك، وكتاب أنزلته يتلى عليك، وفيه من الوعيد والتذكير ما فيه فكذبت بها وَاسْتَكْبَرْتَ عن قبولها واتباعها وكنت ممن يعمل عمل الكافرين، ويستن بسنتهم، ويتبع منهاجهم[1].

أقسام الكبر: ينقسم إلى قسمين وهما:

أولًا الكبر المذموم:

وهذا الكبر يوجب لصاحبة النار والعياذ بالله فقد ورد في الحديث عن عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" فقال الرجل: يا رسول الله، إن الرجل ليحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة، فقال: "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر من بطر الحق، وغمط الناس[2]"[3]، وبهذا يُستنبط من الحديث أن الكبر هو فعل مذموم يؤدى بصاحبه إلى المهالك في الدنيا والآخرة.

---

(1) انظر: تفسير الطبري – جامع البيان ت شاكر (317/21-318).

(2) (بطر الحق) هو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا (غمط الناس) معناه احتقارهم يقال في الفعل منه غمطه يغمطه وغمطه يغمطه، شرح محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم (93/1).

(3) صحيح مسلم – باب تحريم الكبر وبيانه (93/1) حديث رقم (147)، صحيح ابن حبان – محققا، ذكر ما يستحب للمرء تحسين ثيابه وعمله إذا قصد به غير الدنيا (12/ 280) حديث رقم (5466).

ثانيًا: الكبر المحمود:

في بعض الأحيان يكون الكبر والتبختر محمودًا وربما يكون مطلوبًا، ويتجلى ذلك عند إظهار عزة الإسلام أمام الأعداء بهدف نصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله ﷻ فعن خالد بن سليمان بن عبد الله بن خالد بن سماك بن خرشة، عن أبيه، عن جده، أن أبا دجانة ﷺ يوم أحد أعلم بعصابة حمراء، فنظر إليه رسول الله ﷺ وهو مختال في مشيته بين الصفين، فقال: "إنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الموضع"[1].

صور الكبر في القرآن الكريم وأسبابه:

ومن خلال استقراء النص القرآني يجد الباحث الكثير من صور الكبر وصفات أهله، ويصعب حصرها هنا، ولكن يورد الباحث جزءً منها على سبيل المثال لا الحصر، ومنها:

أولًا: التكبُّر على الله ﷻ وهذا قمة الكُفر بالله ﷻ فقد قال ﷻ على لسان فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [القصص:38-39].

ثانيًا: التكبر على الحق وتكذيبه ومحاربته بكل الوسائل لمجرد أنه يخالف هوى النفس وقد مثل ذلك القرآن في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة:87].

ثالثًا: التكبر بالاختيال في المِشية واللِّباس والرفعة على العباد، والاستعلاء في الأرض، حيث قال ﷻ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء:37-38].

---

(1) المعجم الكبير للطبراني (104/7) حديث رقم (6508)، والحديث يرويه خَالِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ سِمَاكِ بْنِ خَرَشَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، وفيه ما لا يُعرف وهو أبوه وجده لخالد بن سليمان، وعليه فإن في سنده مقالة (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (6/ 109)).

علاج النفس البشرية من الكبر:

والكبر مرض قلبٍ يمكن علاجه ولكن قد فشـــلت فيه الأدوية البعيدة عن الإيمان إذ إنه ينمو في بيئة الأثرة وحب الذات، وأما العلاج الإيماني فهو النافع فيه إذ يأمر الإيمان بالحرص على مصـلحة الآخرين والتواضـع وخفض الجناح لهم، ومن الوسـائل المُعينة على ترك الكبر من خلال المنظومة التربوية في حياة المسلم أستخلص منها ما يلي[1]:

أولًا: تذكير النفس بالعواقب والآثار المترتبة على التكبر، فلعل هذا التذكير يحرك النفس من داخلها، ويحملها على أن تتوب، وتتدارك أمرها، قبل ضياع العمر وفوات الأوان.

ثانيًا: عيادة المرضـى وأهل البلاء ومشـاهدة المحتضـرين المقبلين على الموت، والمشـاركة في تشــييع الجنائز، وزيارة القبور لما فيها من ترقيق للقلوب فلعل ذلك يحركه من داخله، ويجعله يرجع إلى ربه بالتوبة والتواضع مع العباد.

ثالثًا: الابتعاد عن صـحبة السـوء الذين من طبعهم الكبر، ومصــاحبة المتواضـعين، فربما تعكس هذه الصـــحبة بمرور الأيام شـــعاعها عليه وحتى لا يندم في يومٍ من الأيام على صـــحبة المتكبرين حيـث وصـــف الله ﷻ حــالهم بقولــه: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾[الزخرف:67].

رابعًا: تعويد النفس على التواضـع بمجالسـة فقراء الناس وضـعافهم، وذوي العاهات منهم، ومشــاركتهم في مأكلهم ومشــربهم، فقد قال ﷻ في هذا الباب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٍۚ﴾[المائدة:54]، فإن هذا الصنف من الناس يُحبهم الله ﷻ وهم الأحق بالاستخلاف في الأرض، لما في هذه الصفة تهذيب للنفس، ويجعلها تقلع عن غيها، وتعود إلى رشدها.

خامسًـــا: طلب الرفعة بتعلم العلم وحضـــور مجالس العلم التي يقوم عليها علماء ثقات، لاسيما مجالس التذكير والتزكية، فإنَّ هذه المجالس لا تزال بالقلوب حتى ترقَّ، وتلين، وتعود إليها الحيـاة من جـديـد، فقـد قـال ﷻ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝١١﴾[المجادلة:11].

---

(1) انظر: الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية – أحمد بن يوسف الأهدل (ص: 72).

المطلب الثاني: أدب الإنصات إلى الحديث وثمراته:

تمهيد: من المعلوم أنه لا تقوم العلاقات بين المخلوقات إلا بلغة الحوار ولا يحصل ذلك إلا من خلال حسن الاستماع، وحُسن الإنصاتِ من أعظم ما يبني العلاقات، فكم هو جميلٌ أن يفهَمَ الرّاغبُ في الحقّ أنَّ الحجّةَ وحدها ليسَت كافيةً لإيصال الحقّ ولا لإقناع الناس، بل لا بدَّ أن ينضَمَّ إلى ذلك حُسنُ الخلق واللّينُ والقدوة الحسنة، فالعقلُ والمنطِق بمفرَدِه شيء جاف وإن كان حقًّا، ولابد للطرف المتكلم أن يكون لينًا سهلًا يحاول إيصال فكرته بكل حب، وعلى المستمع أن يكون حسن الإنصات ويقبل النصيحة إن كان يرغب في معرفة الحق والوصول إليه.

وقد وضح الله ﷻ من خلال الآيات الواردة في سورة الزمر القواعد والأسس للاستماع إلى النصيحة وتقبل الحق بقوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر:18]

والمقصود بالقول هنا هو ما نزل من الوحي وما فيه صلاحهم، فإن أرادوا الوصل إلى الحق واجتناب طاعة الشيطان، فلا بد أن يَتَّبِعُوا أحسن القول وأرجحه وأكثره ثواباً، فهؤلاء هم الموصوفون باجتناب الطاغوت، والإنابة إلى ربهم، أُولئِكَ المنعوتون بتلك المحاسن الجميلة هم الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ لدينه الحق، وهداهم للصواب والصدق، كما هداهم إلى محاسن الأمور، وسبب الهداية هو أعمال عقولهم السليمة عن منازعة الهوى بما ينفعهم ولحسن استماعهم وانصاتهم[1].

وقد أمر الله ﷻ عباده بالاستماع والانصات الجيد للقرآن كي يعقلوه ويصلوا إلى مبتغاه، ولا يكون ذلك إلا من خلال الإنصات الجيد فقال ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾ [الأعراف:204].

وكان النبي ﷺ أجمل الناس حديثًا واستماعًا، فكان مستمعًا جيدًا، لا يتكلم حتى يفرغ المتحدث من كلامه، فلا يقاطعه وينصت إليه جيدًا ويحترم آراءه حتى لو كان مخالفًا له في أفكاره ومعتقداته، وقد ورد ذلك في قصة عتبة بن ربيعة حينما أراد أن يعرض عليه المال والملك وغير ذلك، فلما فرغ قال له رسول الله ﷺ: "أفرغت يا أبا الوليد" قال: نعم، قال ﷺ فاسمع مني، فقال افعل، فقرأ رسول الله ﷺ سورتي فصلت والسجدة حتى وصل ﷺ إلى السجدة فسجد ﷺ ثم

(1) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (63/5)، وانظر أيضًا: تفسير الجلالين (ص: 608).

قال: "سمعت يا أبا الوليد"، فكان عتبة يسمع بكل اهتمام حتى عاد إلى قومه مندهشًا مما سمع وطالب قومه أن يتركوه ودعوته[1].

كما أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بحسن الخطاب ليلقى من أتباعه أدب الإنصات والاستماع فخاطب الله ﷻ نبيه ﷺ بقوله ﷻ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[النحل:125].

كما أمر رسول الله ﷺ أصحابه وأمته من بعدهم أن ينصتوا ليتعلموا أمور دينهم ويفقهوا عن أهل العلم فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "مَنِ اغْتَسَلَ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَصَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَعَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، وَفَضْلُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ"[2]، فكان لابد من الإنصات حتى يتحصل الفَهْم والثواب الذي نص عليه الحديث وهو غفران ذنوب عشرة أيام كاملة[3].

المهارات التربوية لجلب انتباه المستمعين للمُتكلم:

لا بد أن يكون المُتكلم حسن اللهجة وصادق الكلام، لا يتكلم إلا بخير، حتى يستمع الناس إليه، ولا بد للمتكلم من آداب منها:

1. اختيار الألفاظ الحسنة فعَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا، وَلاَ لَعَّانًا، وَلاَ سَبَّابًا، كَانَ يَقُولُ عِنْدَ المَعْتَبَةِ: "مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ[4]"[5].
2. عند الحديث يجب مراعاة أن يكون المُتكلم بشوشًا سمحًا، فهذا يعتبر من صنائع المعروف فعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ"[6].

---

(1) انظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد – أبو بكر البيهقي (ص: 267).

(2) صحيح مسلم – بَابُ فَضْلِ مَنِ اسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ فِي الْخُطْبَةِ (2/ 587) حديث رقم (857).

(3) انظر: شرح الحديث في كتاب: منة المنعم في شرح صحيح مسلم (8/2).

(4) ترب الرجل إذا افتقر: أي لصق بالتراب، وهي كلمة جارية على ألسنة العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب ولا وقوع الأمر به، (يُنظر: الأدب المفرد بالتعليقات – البخاري، تعليق وتحقيق سمير بن أمين الزهيري (220/1))

(5) صحيح البخاري – بَابُ مَا يُنْهَى مِنَ السِّبَابِ وَاللَّعْنِ (15/8) حديث رقم (6046).

(6) صحيح مسلم – بَابُ اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ (4/ 2026) حديث رقم (2626).

3. تحلي كل من السامع والمتكلم بالصبر والصفح والحلم، ومواجهة الخطاب السيء والصد عن الحق بالخطاب الحسن، فهذه سنة الأنبياء والصالحين فإن موسى عليه السلام لم يرد بالمثل على من اتهمه بالجنون، ونوحًا عليه السلام لم يرد بالمثل على من اتهمه بالضلال، وهودًا عليه السلام لم يرد على من اتهمه بالسفاهة، إلى غير ذلك من الآداب.
4. محاولة التحدث بلغة عربية سليمة فصيحة، أو بلغة السامع بحيث تكون فصيحة الألفاظ، بليغة المعاني، سليمة البنية، فإنها تكون أقرب للقلب وأصغى للأذن وأميز للعقل، وربط الحديث دائمًا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأحداث السيرة التي فيها العبرة والعظة ورفع الهمم.
5. وزن الكلمات بشكل مناسب ومعرفة كل المقصود من خلف الكلمات، حتى لا يُفهم من كلماته غير المقصود، وحتى لا يكون هناك معانٍ تسبب ألمًا للسامع بدون قصد، ويلزم لذلك تجميع المعاني جنباً إلى جنب في ذهنه ليصل إلى معاني الأفكار المطلوبة من المتحدث، وهي خطوة تعتمد على الفروق الفردية في الفهم وذكاء المستمع ومدى اتساع إدراكه.
6. محاولة استخدام لغة الجسد بمهارة من خلال التفاعل الحركي كحركة رأسه بالإيماء والموافقة أو تثبيت العينين تجاه المتحدث أو التأثر بالبسمة أو ارتداد فعله للسكوت ورفع الصوت وغيره.

مواطن يجب الانصراف وعدم الاستماع والإصغاء لما يدور بها:

من المعرف أن الإنصات والاستماع الجيد هي مهارة مطلوبة من جميع الناس، ولكن قد يتعرض الإنسان إلى مواضع أو مواطن ينبغي أن يصرف سمعه وتركيزه عنها، ومن هذه المواطن ما يلي:

1. "الابتعاد عن المجلس الذي يُنال فيها من الإسلام وأهله بسوء أو الانتقاص من الدين لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾[النساء:140] فمن جلس معهم وسمع لكلامهم يكون مثلهم في الكفر واستتباع العذاب"[1].

(1) تفسير أبي السعود – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (245/2).

2. تجنب الاســـتماع إلى الغيبة والنميمة وقبيح الكلام، فكما حرم الله ﷻ الغيبة للمتكلم، حرم كذلك الغيبة على المســتمع، فقد قال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥﴾ [القصــص:55] واللغو هنا ما حقه أن يُترك من العبث وســخف القول، فيعرضــوا عنهم ولا نكون مع الجهلة فنجازيكم بباطلكم بالإعراض عنكم[1].

3. اجتناب المجالس التي يتم فيها إفشـــاء اســـرار العباد، فإن الله أمر بالوفاء بالعهود، والأسرار هي جزءٌ من العهود فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قال: "أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ سِرًّا، فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدَهُ، وَلَقَدْ سَأَلَتْنِي أُمُّ سُلَيْمٍ فَمَا أَخْبَرْتُهَا بِهِ"[2].

المطلب الثالث: ضرب الأمثال يُسهل شرح الحال:

تمهيد: كانت العرب تَضـرِبُ الأمثالَ لإيصـال فكرةٍ ما حول الموضـوع الذي من يُرغب أن تتضـح صـورته للناس، بأقربِ طريق، وأقلِّ وقت، وأوضـح صـورة، ومن ثمَّ ترسـيخ الفحوى، وفهم العبرة منه، واستيعابها واستقرارها في الذهن، وبقاؤها راسخةً في الذاكرة مهما طال الزمن، أو تغيَّر الحال.

تعريف المثل لغة: المِثْل، بالكَسْـر والتحريك، وكأَميرٍ: الشِّـبْه، يُقَال: هَذَا مِثْلُه وَمَثَلُه، كَمَا يُقَال: شِبهُه وَشَبَهُه[3]، والْمِيمُ وَالثَّاءُ وَاللَّامُ أَصْـلٌ صَـحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مُنَاظَرَةِ الشَّـيْءِ لِلشَّـيْءِ. وَهَذَا مِثْلُ هَذَا، أَيْ نَظِيرُهُ، وَالْمِثْلُ وَالْمِثَالُ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ[4].

تعريف المثل اصطلاحًا: تشبيه شـيء بشـيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر[5].

ويعرف الباحث الأمثال على أنها تشـــبيه الغائب المجهول بالحاضــــر المعلوم لتقريب المجهول إلى العقول بشيء محسوس أمام العيون.

---

(1) انظر: تفسير المراغي (70/20).
(2) صحيح البخاري – باب حفظ السر (8/ 65) حديث رقم (6289).
(3) تاج العروس (30/ 379).
(4) مقاييس اللغة (5/ 296).
(5) الأمثال في القرآن الكريم – ابن القيم الجوزية (173-174).

وقد ضـرب الله ﷻ العديد من الأمثال في القرآن الكريم ومن هذه الأمثال الكثيرة ما ورد في سورة الزمر حين قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر:27-31].

فدلت الآية على أن الأمثال والمواعظ فيها عبرة لأصحاب العقول فالأمثال لهؤلاء المشركين بالله بأمثال القرون الخالية تخويفا لهم وتحذيرا، فيها تقريب لمعاني الألفاظ إلى العقول ليتعظوا ويزدجروا ويقلعوا عما هم عليه مقيمون من الكفر بربهم، بكلام عربي لا لبس فيه ولا اختلاف، ليفهموا ما فيه من مواعظ، ويعتبروا بما فيه من حكم، فيتقوا ما حذّرهم فيه من بأســه وســطوته، وينيبوا إليه ويفردوه بالعبادة، ويتبرؤوا من الآلهة والأنداد(1).

ولقد ضرب الله ﷻ لهؤلاء المشركين من كل مثل من أمثال القرون الخالية تخويفًا وتحذيرًا، ليتذكروا فينزجروا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله، وجعلنا هذا القرآن عربيًا واضـــح الألفاظ سهل المعاني، لا لَبْس فيه ولا انحراف، لعلهم يتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه(2).

كما أن الرســل ضـــربت للناس الأمثال العقلية التي يميزون بها التباين والاختلاف، فان الرســل وجهت الناس وأرشــدتهم إلى ما به يعرفون به العدل ويتعرفون به على الأقيســة العقلية الصـحيحة التي يستدل بها على المطالب الدينية، فليست العلوم التي جاء بها الأنبياء محصـورة على مجرد الخبر، بل ضـربت الأمثال لإيقاظ فطرت التفكر والوصـول إلى الحق، أو تنبيه الناس التي تعاني من فساد الفطرة نتيجة للآراء والأهواء الفاسدة فأزالت ذلك الفساد وبينت لها الحق(3).

وقد جاءتِ الأمثالُ في القرآن الكريم بهدف هداية الناس، ولزيادة الإيمان لمن هداه الله، وقد قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ

---

(1) انظر: تفسير المراغي (23/163-164).

(2) انظر: التفسير الميسر (1/ 461).

(3) انظر: الرد على المنطقيين – ابن تيمية (ص: 382).

كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ [البقرة:26]، ولفتح الباب أمام الناس ليتفكروا في خلق الله فقد قال ﷻ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر:21].

وخلاصـــة الحكمة في ضـــرب الأمثال للناس هي أن تكون عظة وذكرى لهم ليتقوا ربهم، ويرتدعوا عن غيهم، وقبح طريقتهم ويتضـــح لهم بطلانها، ثم أعقبه ببيان أن الناس جميعًا سيموتون ثم يعرضون على ربهم، وهناك يستبين المحق والمبطل، والضال والمهتدى، فلا داعي إلى الجدل والخلاف بينك وبينهم[1].

الحاجة إلى ضرب الأمثال في القرآن:

لم يقتصر ضرب الأمثال على ما كان يفهمه ويتداوله العربُ من ضروب الأمثال، بل كان ما عند العرب جزءًا من أمثال القرآن الكريم، وليس كل شـــيء، فقد ضُـــربت الأمثالُ في القُرآن الكريم على وجوه عديدة منها:

أولًا: توضيح ما كان غامضًا من الهدايات بضرب الأمثال الحاضرة الواضحة في ذلك الزمان، ولِما للأمثال من فوائدَ، امتنَّ الله تعالى علينا بقوله ﷻ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:43][2].

ثانيًا: تشبيه المعنوي الخفي بالحسِّي، والغائب بالشاهد؛ كتشبيهِ الإيمان بالنور، والكفر بالظلمة، والكلمة الطيبة بالشجرة.

ثالثًا: الأمثال تجمع المعاني الرائعة في عبارات موجزة، مما يُســـهل على المســـتمع فهم الحال التي يُراد منها أن تصل إلى العقول[3].

رابعًا: ويستعمل المثل لبيان الحال، كقوله ﷻ: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة:17].

---

(1) انظر: التفسير المنير للزحيلي (284/23).

(2) انظر: الآيات الكونية دراسة عقدية – عبد المجيد الوعلان (ص: 94).

(3) نفحات من علوم القرآن – محمد معبد (ص: 112).

فوائد ضرب الأمثال في القرآن الكريم:

1. ورود الأمثال في القرآن الكريم يُمكن المعاني في نفوس العباد ويُسهل مهام الدعاة في طريق الدعوة إلى الله ﷻ.
2. ضَرْبُ الأمثالِ في القرآن يُستفادُ منه أمورُ التَّذكير والوعظ، والحَثِّ والزَّجر، والاعتبار والتَّقرير، وتقريب المُراد للعقل، وتصويره في: صورة المحسوس، بحيث يكون نسبتُه للعقل كنسبته المحسوس إلى الحس، وقد تأتي أمثالُ القرآن مشتملةً على بيان تفاوُت الأجر، وعلى المدح والذَّمِّ، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر[1].
3. استئناس النفس بالنظائر والأشباه، ففي الأمثال سرعة قبول النفس لها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق[2].
4. إبراز الأمثال في مشاهد محسوسة يراها الناس أو يلمسونها، يسهل استقرارها في العقول، لأن المعاني المعقولة يصعب ويعسر استقرارها في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة الفهم[3]، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ"[4][5].
5. تعبر الأمثال جانب من جوانب الإعجاز القرآني، لأنها توجز المعاني الرائعة في عبارات يسيرة.

---

(1) بدائع الفوائد ط عالم الفوائد – ابن القيم الجوزية (4/ 1314)

(2) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين – ابن القيم الجوزية (183/1).

(3) انظر: إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم – عبد السلام مجبري (ص: 204).

(4) صحيح مسلم – بَابُ الْأَمْرِ بِتَعَهُّدِ الْقُرْآنِ، وَكَرَاهَةِ قَوْلِ نَسِيتُ آيَةَ كَذَا، وَجَوَازِ قَوْلِ أُنْسِيتُهَا (543/1) حديث رقم (789).

(5) (الإبل المعلقة) أي مع الإبل المعلقة أي المشدود بعقال أي حبل (إن عاهد عليها أمسكها) أي احتفظ بها ولازمها أمسكها أي أستمر إمساكه لها (وإن أطلقها ذهبت) أي انفلتت وخص المثل بالإبل لأنها أشد الحيوان الأهلي نفورا، [شرح محمد فؤاد عبد الباقي] – المرجع السابق.

المطلب الرابع: العناد طريق الهلاك:

تعريف العناد لغة: "عند: (عنيد): وعنود: معارض بالخلاف"[1]، "عَنَد: عاند، كابر، أصرّ على الوصول إلى ما يريد على الرغم من العقبات"[2]

تعريف العناد اصطلاحًا: "[عند] فيه: ولم يجعلني جبارًا "عنيدًا"، هو الجائر عن القصد الباغي الذي يرد الحق مع العلم به"[3].

وهو أيضًا "الاستمرار في بذل الجهد في الوصل إلى الشيء أو إتيانه رغم توقع التوقف، ويلزمه عظم المجهود منه وإليه"(4).

والعناد والمعاندة: "أن يعرف الرّجل الشّيء فيأباه ويميل عنه وكان كفر أبي طالب معاندة لأنّه عرف وأقرّ وأنف أن يقال: تبع ابن أخيه فصار بذلك كافرا، ويقال: عاند معاندة أي خالف وردّ الحقّ وهو يعرفه فهو عنيد وعاند"[5].

ويعرف الباحث العناد على أنه هو: الإصرار على حالة وفكرة يؤمن بها رغم وجود الدلائل والبراهين التي تُثبت خلاف ما يؤمن به، ويبقى على إصراره.

وقد مثَّل القرآن الكريم حالة من هذه الحالات التي يُدلل على عناد القوم الكافرين فساق العديد من الآيات التي تُبين حالهم في سورة الزمر فقال ﷻ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾[الزمر:38].

يُبين الله ﷻ عند سؤال أهل الكفر والعناد عن خالق هذا الكون لما فيه من وضوحِ الدَّليلِ وسنوح السَّبيلِ، وبعد التثبت والتأكد بالدليل العقلي الواضح من أنَّ خالق العالم بأسره هو الله ﷻ وهو باطنٌ في قلوبكم، ولكنكم ما زلتم تلجؤون إلى آلهتكم لدفع الضر عنكم، أو لجلب المنفعة لكم

(1) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب (ص: 220).
(2) تكملة المعاجم العربية (7/ 326).
(3) مجمع بحار الأنوار (3/ 687).
(4) المعجم الاشتقاقي المؤصل (3/ 1538).
(5) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صالح بن عبد الله بن حميد وآخرون (3897/9).

رغم علمكم أنها باطلة، فقل يا رسول الله ﷺ حَسْبِيَ الله في جميعِ أموري من إصابةِ الخير ودفعِ الشَّرِّ وتحمل أذى المشركين وعنادهم[1].

فبعد السؤال من خلال الآية السابقة التي يُعرف جوابها كما تُعرف الشمس وقت الظهيرة جاء الرد على هؤلاء المعاندين المكابرين من الله ﷻ بقوله: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الزمر:39-40].

فهذا الخطاب للنبي ﷺ أن قل يا محمد لمشركي قومك، الذي اتخذوا الأوثان والأصنام آلهة يعبدونها من دون الله، بعد أن تبين لهم الحق بالدلائل والبراهين الكثيرة والعديدة أن اعملوا ما بدا لكم من الأعمال، ولكن النبي ﷺ سيعمل بعمل أسلافه من الأنبياء عليهم السلام الذين سبقوه في الدعوة إلى الله، ثم وجه الخطاب إلى المعاندين، أنكم سَوْفَ تَعْلَمُونَ إذا جاءكم بأس الله جل جلاله، من المحقّ منا من المبطل، والرشيد من الغويّ، ومن يأتيه عذاب يخزيه يذله ويهينه بحيث يبقى مخلدًا في هذا العذاب الدائم الذي لا يفارقه أبدًا[2].

فبعد أن وضح الله ﷻ حال الكفار وما دار بينهم وبين النبي ﷺ ومحاولته لهدايتهم والأخذ بأيديهم إلى النور وإلى طريق الهداية، وهم ما زالوا على عنادهم وإصرارهم على كفرهم فكان لابد أن يُغلق الباب في وجوههم فقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الزمر:41]

فهنا يُخبر الله تعالى أنه أنزل على رسوله ﷺ هذا الكتاب وهو القرآن الذي يحتوي على الحق، في أخباره وأوامره ونواهيه، الذي هو دليل الهداية، وبلاغٌ لمن أراد الوصول إلى الله ﷻ وهدايته وإلى دار كرامته، وأنه قامت به الحجة على العالمين، فَمَنِ اهْتَدَى بنوره واتبع أوامره فإن المنفعة في ذلك يعود لنفسه، أما من أصر على الضلال بعناده وكِبره بعدما تبين له الهدى بالآيات والبراهين فَإِنَّمَا يَضِلُّ على هذه النفس، وهو بكفره وعناده لا يضر الله شيئا، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ

---

(1) انظر: تفسير أبي السعود – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (256/7).

(2) انظر: تفسير الطبري – جامع البيان ت شاكر (296/21-297).

لتحفظ عليهم أعمالهم وتثقل على نفسك بعدم هدايتهم، وإنما أنت مطلوب منك أن تؤدي رسـالتك إليهم كما أمرت به[1].

المطلب الخامس: حسن الاستقبال وكرم الضيافة طمأنينة للنفس:

تمهيد: إن عادة حسن الاستقبال وكرم الضيافة هي عادة عند العرب من قبل الإسلام، وقد حث الإسـلام على هذه العادة الطيبة الكريمة، وتجسـدت هذه العادة بأبهى صـورها عند اسـتقبال أهل المدينة للمهاجرين القادمين من مكة بعدما طردهم أهل الكفر من ديارهم وسـلبوا أموالهم، فدخلوا المدينة لا حول لهم ولا قوة، فما كان من أهل المدينة إلا أن أكرموا ضـيافتهم وأحسـنوا وفادتهم، وقاسموهم الأموال والمساكن، فانتهت مشكلة المهاجرين وكأنها ليست بمشكلة رغم أنها تعد من أعقد المشاكل التي تواجه المجتمعات بأسرها، فكانوا عونًا لهم لمواصلة طريق الدعوة إلى الله ﷻ ونشر هدايته حتى بلغت الآفاق[2].

حسن الاستقبال:

ومن أفضـل هذه الصـور ما ورد في قصـة سـعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما فعن إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَـعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: لَمَّا قَدِمُوا المَدِينَةَ آخَى رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ، وَسَـعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ﷺ، قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَـارِ مَالًا، فَأَقْسِـمُ مَالِي نِصْـفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَـتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ؟ فَدَلُّوهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَمَا انْقَلَبَ إِلَّا وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ[3].

ولقد بين الله ﷻ في سـورة الزمر حسـن اسـتقبال الملائكة للعباد المحسـنين الموحدين واستقبالهم بأبواب مُفتَّحة وابتدائهم لهم بالسلام والترحيب بهم ودعوتهم لدخول جنات النعيم فصور الله تعالى هذا المشـهد بقوله: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ ﴾[الزمر:73]

(1) انظر: تفسير السعدي – تيسير الكريم الرحمن (ص: 725).

(2) انظر: الأساس في السنة وفقهها – السيرة النبوية – سعيد حوى (387/1).

(3) صحيح البخاري – بَابُ إِخَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ المُهَاجِرِينَ، وَالأَنْصَارِ (31/5) حديث رقم (3780).

فمن عناية الله ﷻ لعباده الصالحين ممن اتقى الله وعمل بطاعته أن ساقهم بلطف إسراعًا بهم إلى دار الكرامة، وقيل سيق بهم على مراكب إذ لا يذهبون إلا راكبين، زُمَراً وجماعات على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة، حَتَّى إِذا جاءوها يجدون الأبواب مُفَتَّحة أَبْوابُها للدلالة على حسن الاستقبال حيث لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف، وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم غير منتظرين، فعند وصولهم يُبادرونهم الملائكة بالسلام قائلين لهم سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا يعتريكم بعد مكروه، طِبْتُمْ طهرتم من دنس المعاصي، فادخلوا الجنة خالِدِينَ مقدرين الخلود فيها، جزاءً لطيبهم وأعمالهم الصالحات[1].

وبعد أن رَأَوْا هذا الاستقبال المُمَيز الذي تنشرح له الصدور وترتاح له النفوس، ويزول به تعب ونصب الخوف الهلع الذي أصابهم عند الحساب فكان لا بد لهم من قولهم: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر:74]

فأول ما يبدأ به المؤمنون إذا شاهدو هذا الاستقبال وعاينوا ذلك النعيم المقيم، والعطاء العظيم في الجنة قولهم الحمد لله حمدًا وشكرًا بأن صدقهم ما وعدهم، وظهر صدق رُسل الله الذي بعثهم لعباده، ثم بعد ذلك أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ حيث جعل عباده يتصرفون في الجنة ونعيمها كيفما يشاؤون تصرف الوارث فيما يرث، فنتخذ منها مستقرًا ومسكنًا، فهذا هو النعيم ونعم الأجر أجرنا على عملنا، ونعم الثواب الذي أعطاه الله لعباده[2].

الآداب المتعلقة باستقبال الضيوف:

تُعد الضيافة من آداب الإسلام وشرائعه وأحكامه، بالإضافة إلى أنها من سُنن الرسل السابقين عليهم السلام، وهي أيضًا من شيم السلف الصالح، وما من إنسان إلا وله علاقاته الاجتماعية التي يتأتى بها التزاور فيما بينهم، من خلال استقراء الآيات القرآنية وسنة النبي ﷺ يظهر للباحث بعض الآداب الخاصة المتعلقة بحسن استقبال الضيف.

(1) انظر: تفسير البيضاوي – أنوار التنزيل وأسرار التأويل (50/5).

(2) انظر: تفسير المراغي (24/ 39).

أولًا: استحضار النية الصالحة، لالتماس الأجر في ضيافته لإخوانه وإطعامه لهم، وحسن استقباله لهم، ولا يقصد بضيافته التفاخر والمباهاة؛ بل يقصد الاستنان بسنة النبي ﷺ، وينوي إدخالَ السرور على المؤمنين.

فإن النية هي أساس الأعمال الصالحات فعن عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"[1].

ثانيًا: أن يُحسن استقبال جميع ضيوفه بكل مستوياتهم وطبقاتهم فقيرهم وغنيهم، وألا يميز في تقديم طعامه بين الفقراء والأغنياء وبين أشراف الناس وأصحاب المناصب وغيرهم من الناس وحتى لا يكون طعامه شر طعام فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ، يُدْعَى لَهَا الأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الفُقَرَاءُ، وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ"[2].

ثالثًا: مُلاطفة الزائر واستقباله بعبارات الثناء والترحيب، والتبسم في وجهه، وما صاحب ذلك من آدب من الإقبال عليه بالوجه عند التحدث وعدم السخرية من حديثه وعدم الانشغال عنه فقد صح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ القَيْسِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَرْحَبًا بِالوَفْدِ، الَّذِينَ جَاءُوا غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى"[3].

رابعًا: التأسي بنبي الله إبراهيم عليه السلام بتقديم الضيافة للضيف من قِبل صاحب البيت نفسه، مع اجتناب تكليف الضيف بعمل ولو كان بسيطًا، حيث وصف القرآن هذا الأدب بقوله تعالى:﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات:24-27].

خامسًا: استشعار أن إكرام الضيف من تمام الإيمان فإنه، فإن النبي ﷺ ربط بين إكرام الضيف وحسن المنطق ، وعدم احراج الضيف ولو بكلمة عابرة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ

---

(1) صحيح البخاري – باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ (6/1) الحديث الأول.

(2) صحيح البخاري – بَابُ مَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ (25/7) حديث رقم (5177)، وصحيح مسلم – باب الأمر بإيجاب الداعي إلى دعوة (1055/2) حديث رقم (1432).

(3) صحيح البخاري – باب قول الرجل مرحبًا (41/8) حديث رقم (6176).

رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"(1).

آداب يجب أن يتحلى بها الزائر:

كما أن لحســـن الاســـتقبال آداب، فكان لابد أن يكون للزائر آداب يتحلى بها عند النزول ضيفًا على أحد، مما يُساعد المُضيّف على القيام بواجبه على أكمل وجه وأبهى صورة مما يُسبب انشراح الصدور وطمأنينة للنفس ومن هذه الآداب:

أولًا: أن يســـتأذن قبل الزيارة، فإن أُذن له يكون في الموعد المتُفق عليه دون إبكارٍ أو تأخير، وأن يراعي حرمة البيت ولا يدخل إلى بيت دون أن يُؤذن له، وإن أُمِرَ بالانصـــراف فعليه السمع والطاعة دون أن يكون في قلبه شــيءٌ من أخيه امتثالًا لأمر الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ ﴾ [النور:27-28].

ثانيًا: أن يُلبي الدعوة إذا دُعي ما اســتطاع إلى ذلك ســبيلًا دون أن يتأخر عن صـــاحب الدعوة لما في ذلك من إدخال السرور على قلبه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا، فَلْيُصَلِّ(2)، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا، فَلْيَطْعَمْ"(3).

رابعًا: على الزائر أن يشـكر المُضـيّف على ضـيافته وأن يدعو له بالبركة، فمن لا يشـكر أصـحاب الفضـل لا يشـكر الله ﷻ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يَشْـكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا

---

(1) صـــــحيح البخاري – بَابٌ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ (11/8) حديث رقم (6018)، صـحيح مسـلم – بَابُ الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّـيْفِ، وَلُزُومِ الصَّـمْتِ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْإِيمَانِ (68/1) حديث رقم (47).

(2) (فليصل) اختلفوا في معنى فليصل قال الجمهور معناه فليدع لأهل الطعام بالمغفرة والبركة ونحو ذلك وأصل الصـلاة في اللغة الدعاء ومنه قوله تعالى وصـل عليهم وقيل المراد الصـلاة الشـرعية بالركوع والسـجود أي يشـتغل بالصـلاة ليحصـل له فضـلها وثوابها وللحاضـرين بركتها – [شـرح محمد فؤاد عبد الباقي] – (نفس مرجع الحديث).

(3) صحيح مسلم – بَابُ الْأَمْرِ بِإِجَابَةِ الدَّاعِي إِلَى دَعْوَةٍ (1054/2) حديث رقم (1431).

يَشْـكُرُ النَّاسَ"[1]، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه أكل طعامًا عند سـعد بن عُبَادَة فلما فرغ من طعامه قال: "أَكَلَ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَأَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ"[2].

خامسًا: أن يُخفف عن مُضيّفه فلا يشق عليه بطول المدة في المكوث أو بطلب ما يُرهقه وأو يجعله في حرج، فإن نزل بغرض الإقامة فلا يزيدنَّ على ثلاثة أيام، فقد نهى رســـول الله ﷺ عن الزيادة عن ثلاثة أيام، فقد ورد عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الكَعْبِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ[3]"[4].

سـادسًـا: وَمِنْ آدَابِ الزَّائِرِ أَنْ لَا يَقْتَرِحَ طَعَامًا بِعَيْنِهِ وَإِنْ خُيِّرَ بَيْنَ طَعَامَيْنِ اخْتَارَ الْأَيْسَرَ إلَّا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مُضِيفَهُ يُسَرُّ بِاقْتِرَاحِهِ[5].

المطلب السادس: تقديم الشكر والثناء عند الحصول على العطاء:

تعريف الشكر لغة: شكر: (الشُّكْرُ، بالضَّمّ: عِرْفانُ الإِحْسَانِ ونَشْرُه)[6]، شكر: الشُّكْرُ: عِرْفانُ الإِحسان ونَشْرُه، وَهُوَ الشُّكُورُ أَيضاً، والشُّكْرُ مِنَ اللَّهِ: الْمُجَازَاةُ وَالثَّنَاءُ الْجَمِيلُ، شَكَرَهُ وشَكَرَ لَهُ يَشْكُرُ شُكْراً وشُكُوراً وشُكْراناً؛ قَالَ أَبو نُخَيْلَةَ[7].

وَشُـــكْرُ النِّعْمَةِ مُقَابِل كُفْرِهَا، قَال اللَّهُ ﷻ فِي حِكَايَةِ قَوْل لُقْمَانَ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان:12].

---

(1) الأدب المفرد مخرجا – الإمام البخاري – باب من لا يشكر الناس (ص: 85) حديث رقم (218)، وصححه الألباني.

(2) مسند أحمد مخرجا – مسند أنس بن مالك (397/19) حديث رقم (12406)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (266/1).

(3) (يثوي): يقيم، (يحرجه) يضيق عليه حسا ومعنى، [تعليق مصطفى البغا] – (مرجع الحديث).

(4) صحيح البخاري – بَابُ إِكْرَامِ الضَّيْفِ، وَخِدْمَتِهِ إِيَّاهُ بِنَفْسِهِ (32/8) حديث رقم (6135).

(5) الآداب الشرعية والمنح المرعية – ابن مفلح (208/3).

(6) تاج العروس (224/12).

(7) لسان العرب (4/ 423).

تعريف الشــكر اصــطلاحًا: هو تعبير عن امتلاء النفس ورضــاها بما قُدّم لها من خير، ومدى تأثير هذا الخير فيها، والعامة تستعمل هنا "أثمر فيه المعروف، ثم إن ضده الجحود[1].

وَالشُّــكْرُ: هُوَ ظُهُورُ أَثَرِ النِّعْمَةِ عَلَى اللِّسَــانِ وَالْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ بِأَنْ يَكُونَ اللِّسَــانُ مُقِرًّا بِالْمَعْرُوفِ مُثْنِيًا بِهِ، وَيَكُونَ الْقَلْبُ مُعْتَرِفًا بِالنِّعْمَةِ، وَتَكُونَ الْجَوَارِحُ مُسْــتَعْمَلَةً فِيمَا يَرْضَــاهُ الْمَشْكُورُ [2].

ويعرف الباحث الشكر على أنه: هو منزلة تفوق منزلة الرضا، فإنّه يتضمّن الرّضا وزيادة، وهو تعبير باللســان بألفاظ نابعة من الفؤاد بحنان، وهي بمثابة إقرار بالفضــل، مع محبة، ويكون في حق الله ﷻ بالانقياد لأمره، واجتنابًا لنهيه، وشــكر الله لعباده مغفرته لهم وإنعامه على عباده وجزاؤه بما أقامه من العبادة.

وما دام الشكر من طباع أصحاب النفوس الصافية التي تحفظ الحق لصاحبه وتقدم الشكر لأصــحاب المعروف فقد بين النص القرآني حمد عباد الله ﷻ لربهم فقال في نهاية ســورة الزمر: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر:75].

فجاء الحمد لله رب العالمين شــكرًا له من قبل عباده على عدله وإحســانه لما أثابهم عليه من نعمه وتأييده لهم على من ظلمهم، وقيل أَنَّ الحمد هنا هو من قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ حمدًا منهم لِلَّهِ ﷻ عَلَى عَدْلِهِ وَقَضَائِهِ[3].

والحمد والشــكر لله ﷻ في هذا الموضــع ليس حمد وشكر لمعطي لعطاءه فقط بل حمدوه وشكروه بصــفته الخالق المتفضــل عليهم وهو حمد شكر واجب له، وهي كونه ﷻ ربا للعالمين، فبعد دخول الجنة يُصبح الملائكة والعباد يشتغلون بالتحميد والتسبيح لله ﷻ، فالمؤمنون والملائكة يصــيرون متوافقين على الاســتغراق في تحميد الله وتمجيده وتســبيحه، حمد تلذذ لا عبادة؛ لأن مناط التكليف قد انتهى، فكان ذلك سببًا لمزيد التذاذهم[4].

(1) المعجم الاشتقاقي المؤصل (1163/2-1164).

(2) الموسوعة الفقهية الكويتية (173/26).

(3) انظر: تفسير القرطبي (287/15).

(4) انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (340/2).

ثم بين ﷻ ما يقوله المتقون عند دخولهم الجنة على سبيل الشكر لله ﷻ: فقال: وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ بأن بعثنا من مرقدنا، ومنحنا المزيد من عطائه ونعمه وَأَوْرَثَنَا الجنة التي استقروا فيها، نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ حيث ينزل كل واحد منا من جنته الواسعة حيث يريد، دون أن يزاحمه فيها مزاحم، أو ينازعه منازع، فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ الجنة التي منحها الله ﷻ لعباده المتقين[1].

أنواع الشكر لله ﷻ:

والشكر لله ﷻ على نعمه الكبيرة والكثيرة من أعظم القربات، وقد ذكر العلماء ضروبًا ثلاثة لشكر الله ﷻ أختصرها وأُبينها في التالي[2]:

1. **شكر الله بالقلب:** ويكون بمحبة الله ﷻ وتعظيمه، وامتلاء القلب شوقًا للقائه، بالإضافة إلى محبة رُسله والإيمان بهم جميعًا، والتيقن بصدق رسالاتهم، وترك معاصيه واجتناب نواهيه، والإخلاص في العبادة أشد الإخلاص.
2. **الشكر والثناء باللسان:** ويكون ذلك بكثرة الذكر والاستغفار لله ﷻ، وتكرار النطق بنعم الله والتحدث بها والثناء على الله، والدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
3. **العمل بالجوارح والقلب:** وهذا النوع من أنواع الشكر هو ميزانٌ للسابق فإما أن يُكذبه وإما أن يُصدقه فمن أعمال الجوارح أداء الفرائض والمحافظة عليها والاجتهاد في التقرب إلى الله بالنوافل، مع إخلاص القلب لأعمال الجوارح.

أهمية وفوائد الشكر:

1. **إدامة النعمة على العباد:** فالشكر سبب لإدامة نعمة الله ﷻ على عباده حيث قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم:7]، مما يترتب عليها أيضًا زيادة في البركة والرضى واطمئنان النفس.

---

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (251/12).

(2) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صالح بن عبد الله بن حميد وآخرون (2396/6).

2. **دفع عذاب الله عن عباده:** فشكر الله ﷻ إن كان بقلب صادق من العباد لربهم فإنه يدفع عنهم عذاب الآخرة فقد قال ﷻ: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ١٤٧﴾ [النساء:147].

3. **الشاكرين هم صفوة الخلق:** إن الشكر منزلة رفيعة لا يصل إليها جميع العباد، إنما يصل لها صفوة الخلق ممن أدرك نعم الله عليه وقد بين الله ﷻ في كتابه أن قليلًا من عباده الذين يشكرون فقال ﷻ: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ:13]، وكان رسول الله ﷺ يجتهد في العبادة رغم أنه مغفور الذنب شكرًا لله ﷻ فعن المُغِيرَةَ ﷺ، قال: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حَتَّى تَرِمُ قَدَمَاهُ – أَوْ سَاقَاهُ – فَيُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ ﷺ: "أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا"(1).

4. **الشكر صفة من صفات المؤمنين:** فلا يشكر على العطاء ولا يصبر على البلاء إلا مؤمنٌ بقضاء الله وقدره، فهي صفة متجذرة في أصحاب الإيمان وأصحاب المعالي حيث قال صُهَيْب ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"(2).

---

(1) صحيح البخاري – بَابُ: قِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّيْلَ حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ (50/2) حديث رقم (1130)، وصحيح مسلم – بَابُ إِكْثَارِ الْأَعْمَالِ وَالِاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ (2171/4) حديث رقم (2819).

(2) صحيح مسلم – باب المؤمن كل أمره خير (2295/4) حديث رقم (2999).

المبحث الثالث:

التوجيهات الإدارية من خلال سورة الزُّمَر

المطلب الأول: التدرج في الوصول إلى الهدف:

تمهيد: يلاحظ اهتمام الباحثين بالفكر والحضارة الغربية على أساس أنها منبع العلم وأصل الحضــارة والتطور، ولكن لو نظرنا في المنهج الإســلامي والتوجيهات القرآنية والنبوية، لوجدنا أن معظم التطور والحضــارة التي يتغنى بها أهل الغرب ومن تأثر بهم من أهل الشرق وأهل الإسـلام للأسف لها أساس في نهج القرآن الكريم ودعوة النبي ﷺ، ولكن لضعف اطلاع المسلمين على الحضــارة الإسـلامية القديمة وابتعادهم عن السـنة النبوية، وفتح الآذن على مصـراعيها لما يُمليه عليهم أهل الغرب، صار المسلمون والعرب يلهثون وراء ما يُسمى بالحضارة الغربية، ونظرًا لعدم اهتمام مراكز الأبحاث والحكومات العربية بالطاقات الشبابية وأصحاب الخبرات والقامات العلمية أصـــحاب التجارب والعلوم الجمة، واهتمام الحكومات الغربية بهذه الطاقات والقامات العربية والإسلامية، وتطوير مهاراتهم والاستفادة من خبراتهم، فأصبح للأسف ما ينتج عنهم من اختراعات وابتكارات علمية يُنسب لمن احتضنهم ووفر الدعم والرعاية لهم.

ومن خلال دراســة الباحث لســورة الزمر وجد الباحث بعض المفاهيم الإدارية التي يتغنى المفكرون والباحثون على أنها اســـتنتاجات غربية فقط، وهي عبارة عن لؤلؤة في عقد فريد يُكَّملُ بعضه بعضًا، ومن تلك المفاهيم التدرج.

تعريف التدرج لغة: بتدريج أو بالتدريج، أي درجة فدرجة، تدريجياً، شـــيئاً فشـــيئاً، رويداً رويداً، قليلًا قليلًا[1]، وهو أيضًـــا درج الرجل يَدْرُجُ دُرُوجَاً أي مشـــى ودَرَّجَه إلى كذا واسْـــتَدْرَجَه، بمعنى: أي أدناه منه على التدريج، فتَدَرَّجَ هو[2]

التدرج في الاصـــطلاح: الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى متقدمة، للبلوغ إلى الغاية المنشـودة، ويكون الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى أعلى منها وأرفع في الحس أو في المعنى أو في كليهما[3].

---

(1) تكملة المعاجم العربية (4/ 315).

(2) الدليل إلى المتون العلمية (ص: 36).

(3) انظر: لسان العرب (2/268-270).

وأما التشـــريع: فيعنى به المناهج والقوانين التي ســـنها الله ﷻ لعباده ليعرفوا بها الأحكام المنظمة لحياة الأفراد في علاقتهم مع ربهم وعلاقتهم مع بعضـــــهم البعض، وما يتبع ذلك من مبادئ تنظم قانون الثواب والعقاب، ويشمل لفظ التشريع ما كان أصله ثابتًا بالقرآن والسنة، وما كان أصله إجماعًا أو قياسًا.

ويراد بها نزول الشـرائع في عهد النبيّ ﷺ، متدرّجة متفرّقة، شـيئاً فشـيئاً طوال فترة البعثة النبويّة، فكثير من أحكام القرآن لم تنزل جملة واحدة، بل كان الحكم يأخذ أطواراً عديدة حتّى يصل إلى طوره الأخير: كإيجاب الصلاة وتحريم الربا والخمر.

والتدرج في تطبيق الأحكام بعد اكتمال التشـريع فيعني بيان الأحكام الشـرعيّة للناس اليوم لتتمّ معرفتهم بها، ثمّ وضــــع هذه الأحكام في أنظمة وقوانين للانتقال بالفرد وبالمجتمع والأمّة والدولة من القوانين الوضـعيّة إلى الأنظمة المسـتمدّة من الشـريعة الإسـلاميّة، وقد قامت الأدلّة على ذلك(1).

وقد وردت آيات كثيرة تتحدث عن التدرج في القرآن الكريم، ومنها آيات تتحدث عن التدرج في العبادات والشرائع وغيرها من الأحكام، ومنها ما هو تدرج في خلق الطبيعة وخلق المخلوقات، فإن الكون قائمٌ على أساس التدرج والوصول إلى الهدف شيئًا فشيئًا، وقد ساق الله ﷻ العديد من الأمثلة والبراهين التي تدل على أن الإنسان لا يصل إلى مبتغاه في لحظة واحدة، بل لابد أن يمر بالعديد من المحطات والمراحل حتى يصل الهدف المنشود.

فإن كان الله ﷻ قادرًا على خلق أي شـــيء بأمر وفي أقل من طرفة عين، ولكنه ﷻ كان يخلق الخلق بالتدرج ليتعلم الإنســـان أن التدرج منهج حياة، وفيها تعليم للناس بعدم اســـتعجال النتائج، وضرورة الصبر حتى الوصول إلى المُراد.

وقد ســـاق الله ﷻ في ســـورة الزمر آيات عديدة نختار منها دليل على التدرج في الخلق ومراحله فقال ﷻ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزمر:6]

---

(1) انظر: التدرّج في تطبيق الأحكام الشـــرعيّة، ومظاهره في قطاع غزّة، د. ماهر حامد الحوليّ، 1431 هـ – 2010 م، كليّة الشريعة والقانون الجامعة الإسلامية – غزّة، (ص: 6)

من المعلوم لكل أصحاب العقيدة السليمة وأصحاب الفطرة السليمة والإيمان الراسخ إن الله قادرٌ على أن يبدأ الخلق بصورة الإنسان السوي المستقيم الذي يكون في ريعان شبابه كما حدث في خلق آدم عليه السلام كما ورد في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ، النَّفَرِ مِنَ المَلاَئِكَةِ، جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآنَ"[1]، والمراد من الحديث أن الله عز وجل خلق آدم عليه السلام في أول نشأته على صورته التي كان عليها في الأرض وتوفي عليها وهي طوله ستون ذراعا ولم ينتقل أطوارا كذريته وكانت صورته في الجنة هي صورته في الأرض لم تتغير[2].

ولكن الله عز وجل جعل من سنته في خلقه أن يتطور الجنين في رحم أمه مدة تسعة أشهر على الغالب في الخلق مع المرور في مراحل متعددة وقد ذكرها الله عز وجل بتفصيله الدقيق في مواضع متفرقة في القرآن الكريم، ليعلم الناس الصبر، ومن ثم يمر هذا الإنسان المولد ذكرًا كان أم أنثى في مراحل عمرية مختلفة من ضعف الطفولة وبراءتها إلى قوة الشباب وعنفوانه ومن ثم ضعف الشيخوخة ووهنها.

فإن التدرج في هذه الحالة سنة كونية ليتعلم الناس أن من أراد أن يصل إلى مبتغاه لابد أن يمر بمراحل متعددة وكثيرة، ولا أحد يصل إلى ما يُريد دون التدرج والخوض في غمار الحياة الصعبة والشاقة.

وفي قصة خلق آدم عليه السلام ثلاث دلالات: خلق آدم أولاً من غير أب وأم، ثم خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام، ثم التكاثر في الخلق منهما[3].

التدرج في التشريع وتربية الأمة:

لو تدبر الإنسان في نفسه لوجد أنه في كل شأن من شئونه يبدأ من الأدنى إلى الأعلى بالتدرج، فحين يولد لا يستطيع أن يتحكم بحركات يديه ولا رجليه ثم يبدأ التحكم باليدين، وهكذا

---

(1) صحيح البخاري – باب بدء السلام (8/ 50) حديث رقم (6227)، صحيح مسلم – باب يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ (2183/4) حديث رقم (2841).

(2) شرح محمد عبد الباقي على حديث مسلم (المرجع السابق).

(3) تفسير البيضاوي – أنوار التنزيل وأسرار التأويل (37/5).

إلى أن يبدأ بالقدرة على الجلوس ثم القيام ثم الســـير ثم الجري والقفز، وكذلك في طعامه فيبدأ بالشراب ثم يتدرج إلى أن يصل إلى الطعام بأنواعه، وفي نطقه يولد لا يحسن إلا البكاء ثم التبسم ثم الصوت غير المركب وهكذا حتى يصبح متكلمًا، وهكذا وفي كل شأن من شئونه، والمجتمعات في رقيها تشبه حالة الأفراد في تحولها من حال إلى حال، وقد اقتضت حكمة الله ﷻ مراعاة حال الأمة في قدرتها وطاقتها فجاءت الأحكام والتشريعات متدرجة حسب طاقة الأمة[1].

وينضوي تحت هذا التدرج في الأمور التشريعية أمور عدة هي[2]:

أولها: تيســـير حفظ القرآن على الأمة العربية، فلو نزل القرآن جملة واحدة لعجزوا عن حفظه، فاقتضـــت الحكمة العليا أن ينزله الله إليهم مفرقا ليســـهل عليهم حفظه وفهم معانيه التي ترشدهم إليها الآيات، ويتهيأ لهم استظهاره وتطبيق أوامره ونواهيه.

ثانيها: التمهيد لتخليهم عن عقائدهم الباطلة، وعباداتهم وعاداتهم الفاســـدة، وذلك شـــيئا فشيئا، بسبب نزول القرآن عليهم شيئا فشيئا، فكلما نجح الإسلام معهم في هدم باطل، انتقل بهم إلى هدم آخر وهكذا.

ثالثها: تربيتهم على العقائد الحقة، والعبادات الصـــحيحة، والأخلاق الفاضـــلة، ولهذا بدأ الإسلام بفطامهم عن الشرك، وإحياء قلوبهم بعقائد التوحيد والجزاء.

رابعها: تثبيت قلوب المؤمنين وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين بسبب ما كان يقصه القرآن عليهم من قصص الأنبياء والمرسلين وأتباعهم، وقصص عزيمتهم بالثبات على الحق.

المطلب الثاني: التدرج في العقوبة:

تمهيد: وكما بين الباحث في المطلب الســابق أن التدرج جاء بهدف الوصــول إلى الهدف المنشود شيئًا فشيئًا، مع تمهيد العباد للحصـول على الجزاء، سواءً كان الجزاء بالتعزيز الإيجابي أم بالتعزيز الســلبي، وليس من المنطق أيضًــا أن يُعاقب العبد على فعل فعله قبل تنبيهه بخطئه وإرســال الإشــارات والتي تبين له الطريق الصــحيح من الطريق المُهلك، وقد أرســل الله ﷻ الرُســل ليبينوا للناس طريق الهداية، وهذا الأمر أيضًــا في كل الأعراف الإدارية أيضًــا، يتم وضــع دستور

(1) انظر: دراسات في علوم القرآن – فهد الرومي (ص: 220-221).

(2) انظر: الحديث في علوم القرآن والحديث (ص: 35-36).

واضح محدد، يُحدد الجُرم وجزاءه، وهذا أمر حديث، ولكن الشرائع السماوية جميعها وآخرها القرآن الكريم مُنذ نُزوله خط خطوط عريضـــة وضـــح فيها ما هو الطريق المســتقيم الذي يوصـــل إلى الجائزة، وما هي الطرق الأخرى التي يكون فيها العقاب، مع تحديد العقوبات التي يســـتحقها كل مخالف لهذه التعاليم، ولا يتم العقاب إلا بعد الإقرار بالذنب.

كما أن العقوبة ليســت هي الغاية بحد ذاتها، ولكن تعتبر العقوبات جزء من تحقيق فاعلية تطبيق الأوامر واجتناب النواهي، فمن غيرها لا يمكن لأحد أن يرتدع عن فعل يفعله، فهي سـبيل لحماية مصالح وحقوق المجتمع، وإيجاد حلول مناسبة للحد من الجريمة.

فقد نص القانون العام على أنه لا يجوز توقيع العقوبة التأديبية إلا بقرار مُســـبب بعد التحقيق كتابة أو مشافهة مع الاستماع للأقوال وتحقيق الدفاع[1].

كما نص قانون العقوبات الفلسطينية على أنه لا يُعتد بجهل القانون في دفع العقوبة، حيث نص على "لا يعتبر جهل القانون عذرًا لمن يرتكب أي فعل أو تركه فعلًا يكون جرمًا إلا إذا ورد نص صــريح بأن معرفة القانون من قبل المجرم تعد عنصــرًا من عناصــر الجرم"[2]، وكذا فإن المُقيم في دار الإسلام لا يُعفى بجهله بالحلال والحرام.

وقد نص القانون الفلســطيني على درج العقوبات حيث يتم التدرج في العقوبات من التنبيه إلى لفت النظر ثم الإنذار، وبعد ذلك يُلجأ إلى الخصـــم من الراتب، وتتدرج العقوبات في عشــرة مراحل حتى تصل في نهايتها إلى الفصل من الخدمة وهي أشد عقوبة يصل إليها الموظف[3].

فقد استعرض الباحث فيما سبق نبذة بسيطة عن بعض القوانين والتشريعات التي وضـعت حديثًا، لتنظيم العقوبات والتدرج بها، ولكن التشـريعات الإسـلامية كانت متدرجة في تطبيق بعض الأحكام فيما يتعلق بالحلال والحرام، كما أن القرآن الكريم نبه في كثير من الآيات على العقوبات ووضع دستورًا ونظامًا ناظمًا ليكون بمثابة الخارطة التي يسير عليها العبد الراغب في النجاة.

---

(1) انظر: الضـمانات التأديبية للموظف العام، محمد مشـعل العجري، رسـالة ماجسـتير، إشـراف الدكتور سـليم حتاملة، جامعة الشرق الأوسط – 2011م (ص: 113).

(2) قانون العقوبات الفلسطيني، الفصل الرابع، المادة رقم (8) مادة الجهل بالقانون.

(3) انظر: قانون رقم (4) لعام 1998 – قانون الخدمة المدنية – الفصل الخامس مادة رقم (68).

التدرج في التحذير من العقوبات:

ومن خلال استقراء الآيات في سورة الزمر يجد الباحث أن التدرج في التحذير من العقوبات على النحو التالي:

في بداية الســـورة قال ﷻ: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾[الزمر:1-2]، وفيها إشـارة إلى الدسـتور والنظام الذي يسـير عليه العباد، وهو القرآن الكريم المنزل على نبيه ﷺ وهو مُلزمٌ لمن أراد الهداية، وإشـــارة قبول هذا الدستور المُلزم لجميع العباد هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فهي مظنة شفاعة يوم الحساب(1).

فالإنسان بعد معرفة الدستور الرباني الذي يأخذ بيده إلى النجاة وتجنب العقوبة لا يستطيع تجنب فعل المعاصـي لأن الإنسان ليس معصومًا من الخطأ والزلل، ولكن هناك من يعود سريعًا إلى رشـــده وهناك من يتأخر في العودة إلى ربه ﷻ، ولذلك تبدأ الإجراءات الربانية لتذكير العبد للعودة إلى صـوابه وترك زلاته وهي بمثابة التنبيه له فيُرسل له بعض المصـاعب والمصـائب التي تواجهه في طريقه فيقول ﷻ: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ٨﴾ [الزمر:8]، فبعد أن يُصـاب العبد المسلم أو الكافر بالضـر تجده يتضـرع إلى ربه لينجيه مما هو فيه، فإن رجع إلى رشده وثبت على الهدى فقد نجى وإن رجع وانتكس فيكون مصيره أنه من أهل النار (2).

ثم بعد ذلك يبدأ الشـارع ﷻ برفع مسـتوى التحذير ويُنذر بعد ذلك أن فرصـة التوبة مازالت متاحة لك، فإن التوبة متاحة لك مازالت روحك بين جنباتك ولم تفارقك، وقد ذكر بالموت كثيرًا في سـورة الزمر وفي كثير من الواضـع في القرآن الكريم فقال بدايةً: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠﴾ [الزمر:30]، فإن لم تتعظ فستكون عاقبتك وخيمة، وذكر في موضـعٍ آخر فقال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٤٢﴾[الزمر:42]، ومن المعلوم أن الموت من أبلغ

---

(1) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (210/7).

(2) انظر: تفسير الجلالين (ص: 607)

المواعظ التي يمكن أن تمر على الإنســـان، لذلك حث النبي ﷺ في تذكره باســـتمرار وحث على زيارة القبور ليبقى الإنســـان دائمًا يتذكر مآله فقد قَالَ رَسُـــولُ اللهِ ﷺ: "نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا"[1].

ثم بعد التنبيهات العديدة والتوجيهات الكثيرة والفرص التي لا حصــــر ولا عد لها يأتي يوم الحساب، فمن كان محسنًا فلنفسه ومن أساء فعليها وهنا يُنادى للحساب ويكون في مشهد عصيب شديد على جميع العباد فقال ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر:68]، فبهذه النفخة يفنى جميع من في الأرض والسـماء من الأحياء إلا من شـاء الله ﷻ والموت هو إشـارة للحسـاب الذي لا رجعة بعده لعمل الصـالحات أو تدارك ما فاته ليعمل صـالحًا، ولكن الفرص قدت انتهت وسـيصـدر القرار النهائي الذي لا مفر من تطبيقه[2].

ثم بعد ذلك يأتي تنفيذ القرار ويكون العقاب الشديد الذي يصدر من الجبار ﷻ إلى ملائكته فلا مفر إذًا إلا السـمع والطاعة من قبل جنود ربك ويكون الوصـف كما قاله ﷻ في خاتمة سـورة الزمر: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾[الزمر:71]، ويكون مصـــــحوبًا بالعتاب والتوبيخ أن الله قد أرسـل الرسـل وأنذركم بما يكفي لتعودوا إلى صـوابكم ولكن دون جدوى فكان هذا جزاؤكم الذي تستحقونه.

المطلب الثالث: الترغيب بالثواب:

تعريف الترغيب في اللغة: رَغَّب (بالتشـــــديد): "شـــوَّق إلى، جعله يرغب في، ويرغّب: يتشـــوق، آخذ بالقلب، ورغّب: أطمع وأغرى، ورغّب: حثّ، حرّض، وأرغب فلاناً: شَـــجَّعه، وجرأه على الشيء"[3]، "رغبت في الشيء إذا أردتَه"[4].

---

(1) صحيح مسلم – بَابُ اسْتِئْذَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ (672/2) حديث رقم (977).

(2) انظر: تفسير ابن كثير ط العلمية (104/7).

(3) تكملة المعاجم العربية (5/ 165).

(4) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (1/ 137).

تعريف الترغيب في الاصطلاح: "كل ما شوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، وهو وعد يصـــحبه تحبيب وإغراء بذلة ومتعة آجلة مؤكدة مقابل القيام بعمل صـــالح أو الانتهاء عن عمل طالح ابتغاء مرضاة الله، وذلك من رحمته ﷻ بعباده"[1].

ويعرف الباحث الترغيب على أنه: جائزة منتظرة في المســـتقبل القريب أو البعيد في حال التزام الأوامر واجتناب النواهي، وهو دافع إضـــافي للفطرة الســـليمة لفعل الخيرات واجتناب المنكرات، ولابد أن يكون العطاء موازٍ للمطلوب أو يفوقه حتى يُقبل العبد عليه ويكون في شـــوق إليه.

وقد رغب الله ﷻ عباده بالثواب في كثير من المواضـــع في القرآن الكريم والســـنة النبوية على لســـان ســـيدنا محمد ﷺ وكما وهناك الكثير من الآيات التي تحدثت عن ترغيب العباد من خلال سورة الزمر أذكر منها:

في بعض الآحيان يسوق الله بعض البشارات ويُطلق العنان للخيال لتصور الجزاء والنعيم الذي سيحصل عليه أهل الصلاح والفلاح، ومن ابتعد عن الضلال وأهله، وصان نفسه من الزلل والوقوع في المحظورات والشـــهوات فقال ﷻ:﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠﴾[الزمر:20].

"هنا يُترك للخيال أن يتصور روعة البناء وجمال المنظر إن استطاع ذلك ففي الجنة غُرَفًا فَوْقَهَا غُرَفٌ، لِأَنَّ الْجَنَّةَ دَرَجَاتٌ يَعْلُو بَعْضُـــهَا بَعْضًـــا والغرف المبنية لبناتها من زَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ من الماء واللبن والعسل والأنعام الحسان فهِيَ جَامِعَةٌ لِأَسْـبَابِ الترفيه والنُّزْهَةِ، وهذا وعد إلهي لا يمكن بأي حال من الأحوال إن يُخلف هذا الوعد لأن العزيز الكريم لا يُخلف الميعاد"[2].

وزيادة على ذلك النعيم فإن الله ﷻ يُعطيهم من فضـله زيادة فوق زيادة أن تمنوا وأطلبوا ما تشـــاءون فإن طلباتكم مجابة حاضـــرة لكم حيث قال ﷻ:﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ

---

(1) الترغيب والترهيب في السياق القرآني، د. كفايت الله همداني – مجلة القسم العربي "جامعة بنجاب لاهور – باكستان" العدد الثاني والعشرون، 2015م (ص: 95).

(2) تفسير القرطبي (245/15).

ﭐلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤﴾[الزمر:34]، وهذا الخطاب عَامٌّ فِي كُلِّ مَا تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُهُمْ وَتَتَعَلَّقُ بِهِ إرادتهم في الجنة، وذلك جزاء الموحدين الطائعين العابدين لخالقهم[1].

وبعد كل هذا الترغيب يأتي دور الترغيب بالجائزة الكبرى الذي يرجوه كلُ عبد مسلم عندما تقوم الساعة، فيؤخذ بإيديهم إلى الجنة في مشهد رائع يمثله ﷻ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [الزمر:73].

ويظهر الاهتمام بمبدأ الثواب والعقاب في قول أمير المؤمنين هارون الرشيد لمؤدب ولده الأمين: "ولا تُمْعِن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوّمه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً بالقرب والمُلاينة، فإن أباهُما فبالشدة والغلظة"[2]، لذلك يجب على المربين من آباء وأمهات ومعلمين اختيار المبدأ الملائم في الثواب والعقاب، حتى لا يحدث نفوراً أو تهاوناً من الأولاد، وحتى يسهل تكوينهم وتربيتهم التربية الصحيحة وفق مبادئ الاسلام العظيم.

وأسلوب الثواب والعقاب من المبادئ التربوية الأساسية التي وضع لها الإسلام اعتباراً كبيراً، كما ألَّف لها العلماء حديثًا وقديمًا، وصُنفت على أنها علمٌ من علوم الإدارة والتربية والكثير من المجالات الأخرى.

المطلب الرابع: الترهيب بالعقاب:

تعريف الترهيب في اللغة: (رَهَبَ) الرَّاءُ وَالْهَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى خَوْفٍ، وَالْآخَرُ عَلَى دِقَّةٍ وَخِفَّةٍ، فَالْأَوَّلُ الرَّهْبَةُ: تَقُولُ رَهِبْتُ الشَّيْءَ رُهْبًا وَرَهَبًا وَرَهْبَةً. وَالتَّرَهُّبُ: التَّعَبُّدُ. وَمِنَ الْبَابِ الْإِرْهَابُ، وَهُوَ قَدْعُ الْإِبِلِ مِنَ الْحَوْضِ وَذِيَادُهَا، وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: الرَّهْبُ: النَّاقَةُ الْمَهْزُولَةُ[3].

(1) انظر: البحر المحيط في التفسير – أبو حيان الأندلسي (204/9).

(2) بدائع السلك في طبائع الملك – شمس الدين الغرناطي بن الأزرق (370/2).

(3) انظر: مقاييس اللغة (447/2)، وانظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (4/ 2659).

تعريف الترهيب في الاصطلاح: هو كل ما يُخيف ويُحَذِّر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، وهو وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو اجتراح ذنب فد نهى الله ﷻ عنهما[1].

ويعرف الباحث الترهيب على أنه: زجر ووعيد للعبد في حال ارتكاب ما يُخالف الأوامر وفعل ما نُهي عنه الوعيد يكون مستقبلًا في الزمن القريب أو البعيد، وهو دافع إضافي للفطرة السليمة لاجتناب المنكرات، أو التهاون في فعل الطاعات.

أما استخدام أسلوب العقاب، فأوصى المربون بعدم اللجوء إليه وحده إلا إذا فشلت أساليب الترغيب، فالشكر والثناء والاستحسان وتقديم الهدايا البسيطة وغيرها يدفع الولد إلى المزيد من النجاح، أما العقاب وحده فإنه يدفع إلى الخمول وضعف الأداء وتثبيط الهمة.

وبعد أساليب الترغيب الكثيرة التي رغبنا بها خالقنا ﷻ، والتي نصت عليها الآيات الكثيرة في القرآن الكريم، جاءت بعض آيات الترهيب والتي تُعد أسلوبًا معززًا للأسلوب الأول، وقد ذكر الله ﷻ كثيرًا من آيات الترهيب في القرآن الكريم، وأذكر منها أمثلة مما ورد في سورة الزمر منها ما يلي:

ذكر الله ﷻ حال الذين ظلموا وكذَّبوا الرُسل تكبرًا وتجبرًا في الأرض وكأنهم لا يهتمون بالوعيد فقال لهم ﷻ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[الزمر:32]

فتدل هذه الآية أنه لا يوجد أحد أظلم ممن كذب على الله، فزعم عليه الافتراءات من الشريك والولد أو الصاحبة وغيرها من الافتراءات ثم كذب بالصدق إذ جاءه من الرسول ﷺ لتوحيد الناس على كلمة واحدة وهي كلمة التوحيد، وأمرهم بالقيام بفرائض الشرع، ونهاهم عن ارتكاب المحرمات أو الاقتراب منها، ثم استفهم سبحانه استفهاماً تقريرياً لعباده بقوله ﷻ: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ أي أليس لهؤلاء المفترين المكذبين بالصدق مثوى في جهنم، ألن يجدوا متسعًا فيها، والإجابة بالتأكيد، بلى هناك مثوىً لهم، والمثوى هو المقام وهو مشتق من ثوى

---

(1) الترغيب والترهيب في السياق القرآني، د. كفايت الله همداني – مجلة القسم العربي "جامعة بنجاب لاهور – باكستان" العدد الثاني والعشرون، 2015م (ص: 96).

بالمكان إذا أقام به، فهذا زجر ووعيد وترهيب أن كل ظالم له مكانٌ محفوظ في جهنم والعياذ بالله[1].

ثم بعد ذلك أكد الله ﷻ أنه لا تنفع الشفاعة ولا يُفيد الندم عند الحساب حتى لو افتدى بذلك كل الأرض وما عليها فقال ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الزمر:47]

وهنا تذكير للعباد من الله ﷻ بما فعلوه من شناعة تصرف، وميل النفوس للقبيح، فذكرهم بالوعيد الذي ينتظرهم يوم القيامة، فأخبرهم أن لهم سُوءَ الْعَذَابِ من أشده وأفظعه، جزاءً لهم بما كفروا أشد الكفر وأشنعه، وأنهم على – الفرض والتقدير – لو كان لهم ما في الأرض جميعا، من ذهبها وفضتها ولؤلؤها وحيواناتها وأشجارها وزروعها وجميع أوانيها وأثاثها ومثله معه من الخيرات والنعيم الموجود عليها، ثم بذلوه يوم القيامة ليفتدوا به من العذاب وينجوا منه، ما قُبل منهم ذلك، ولا دفع عنهم من عذاب الله شيئا، ثم ظهر لهم ما لم يكونوا يحسبون الحساب له[2].

ثم بعد هذا الترهيب والتذكير بحال العصاة، يأتي دور الترهيب بالعقاب الأكبر الذي يخشاه كل من عرف أن هناك آخرة وهو السحبُ إلى النار والعياذ بالله فوصل الله ﷻ هذا المشهد بقوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر:71-72].

المطلب الخامس: الحوار طريق الإقناع:

تمهيد: يعدُّ الحوار من أرقَى وسائل التواصُل الشفهية والمباشرة مع الآخرين، سواءً كان بين أثنين أو أكثر من ذلك، وهو فنٌّ من فنون الاتصال الهادف مع الغير، بهدف الوصول إلى حقيقة ما، ولا يُحسِن هذا الفنَّ إلا أهلُ الحكمة والخبرة والثقافة العالية، وهي وسيلة لتغيير قناعات الناس التي هم عليها دون إثارة الفتن والجدل الذي لا فائدة منه وبدون ترك أحقاد في قلوب المتحاورين.

---

(1) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن – أبو الطيب محمد صديق خان (12/114-115).

(2) انظر: تفسير السعدي – تيسير الكريم الرحمن (ص: 726-727).

ولابد من الوصـول إلى تفاهم أو إيقاف الحوار في حال الوصـول إلى خلاف بين الأطراف حتى لا يصبح الأمر لمجرد فرد العضلات، ويُصبح الهم كيف يغلب طرف الآخر، دون الوصول إلى جوهر القضية التي يتم التحاور على أساسها.

تعريف الحوار لغة: [الحِوار]: يقال: كلمت فلاناً فما ردّ إليّ حِواراً: أي جواباً. وقد يُفتح أوله لغةً فيه. وأصـل الحِوار: مصـدر من حاوره[1]، حور: تحاور ب: اسـتعمل الكلمة في تحاوره مع غيره أي في تجاوبه وتراجعه في الكلام مع غيره[2].

تعريف الحوار اصطلاحًا: هي ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه، فهو المراجعة في الكلام ومنه التحاور، وهذا يعني أن الحوار هو مراجعة الكلام ولكن بطريقة مؤدبة وبألفاظ حسنة فيها نوع من الود والحب[3].

ويعرف الباحث الحوار على أنه: نوع من أنواع المحادثات التي تهدف إلى تبادل المعلومات ووجهات النظر المختلفة بين شـخصـين فأكثر بهدف بناء مفهوم معين حول موضـوع ما وزيادة الوعي به، ويهدف إلى تثقيف الأشخاص المشاركين وتدريبهم على تقبّل آراء الآخرين.

وقد ورد في سورة الزمر توجيهات للنبي ﷺ بحوار المشركين بعدة طرق، وبكيفيات مختلفة، حتى يصل معهم إلى طريق الهداية التي تنجيهم من طريق الضلال إلى طريق الهداية.

وهذه مجموعة من الآيات التي تتناول توجيهًا ربانيًا لنبيه ﷺ فيها صـيغة الأمر في خمسـة آيات متتاليات أن قُل يا محمد للمشـــركين والمؤمنين ما ينفعهم وما يأخذ بيدهم إلى الجنة حيث قـال ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ ﴾ [الزمر:10-14]، ففي هذه الآيات أُمر لرسولُ الله ﷺ بتذكير المُؤمنين وحملِهم على التَّقوى والطَّاعة إثرَ تخصـيص التذكرِ بأولي الألباب إيذاناً بأنَّهم هم كما سيصرِّح به أي قُل لهم قولي هذا بعينه وفيه تشريفٌ لهم بإضافتهم إلي ضمير الجلالـةِ ومزيـدُ اعتنـاءٍ بشـــأن المـأمور بـه، كمـا أن طريقـة الحوار كـانـت بـالأمر بـالقول،

(1) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (1623/3).

(2) تكملة المعاجم العربية (3/ 363).

(3) مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر عواض الألمعي، الطبعة الثالثة 1404هـ (30).

فيقول النبي ﷺ ما أُمر به مع تأكيده على أنه أيضًا متبعًا ما يؤمر به ويقوم هو أيضًا باتباع هذه الأوامر واجتناب النواهي قبل تبليغها للناس، ففيها مبالغة في حثهم على الإتيان بما كُلِّفوا به[1].

ومن أُسلوب الحوار الراقي أن تعرض ما عندك بدون إجبار الآخر على قبول رأيك، حتى وإن كُنت على الحق، ولكن على الطرف الآخر تحمل تبعات إنكاره وإعراضه لدلائل وبراهين الطرف الأول، فقد مُثل ذلك في قوله ﷻ: ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥﴾ [الزمر:15].

والتخيير هنا للمشركين أن اعبدوا ما شئتم من دون الله ﷻ من الأوثان والأصنام وغير ذلك من مخلوقاته، فإن ذلك لا يضر الله ﷻ ولا رسوله ﷺ شيئًا، والتخيير هنا جاء من باب التهديد والوعيد لمن عبد غير الله، وأشرك معه غيره، فقل أيها الرسول إن الخاسرين حقًّا هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وذلك بإعراضهم عن الهداية التي عُرضت عليهم بأسلوبٍ راقٍ وبدلائل وبراهين لا يُمكن ردها، فذلك هو الخسران البيّن الواضح[2].

وقد تنوعت أساليب الحوار في القرآن الكريم فتارة يكون عن طريق طرح الدلائل والبراهين ولغة الحوار، وفي بعض الأحيان الأخرى يتم الحوار بنظام طرح الأسئلة التي يُعلم إجابتها من الطرف الآخر تمام العلم والمعرفة، ولكن لأجل الكبر والعناد، يرفض الشقي اتباع الحق، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الله ﷻ بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٣٨﴾ [الزمر:38]

ففي هذه الآية احتجاج على المشركين بحجة حاسمة، مفادها أن القرآن الكريم انتزع منهم الإقرار بأن خالق هذا الكون هو رب واحد وهو الله ﷻ، وحينئذ لم يبق لهم إلا الاعتراف أن أصنامهم لا قدرة لها على شيء وأنها لا تضر ولا تنفع، فلو سألت أيها النبي أو أي إنسان المشركين عن خالق السماوات والأرض، لأقروا على الفور وبصراحة بأنه هو الله الخالق، مع أنهم يعبدون الأصنام[3].

---

(1) انظر: تفسير أبي السعود – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (246/7).

(2) انظر: التفسير الميسر (460/1).

(3) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (2240/3).

الهدف من الحوار:

ويهدف الحوار أيضًا إلى توسيع مدارك التفكير والتعرف على الثقافات والأفكار الأخرى التي تُساعد في تنمية ومهارة التفكير للأشخاص المتحاورين، وحتى للمستمعين لهذا الحوار لما يُستفاد من النقاش، كما يُساعدهم على الوصول إلى مُبتغاهم بطريقة راقية، يحترم فيها كل طرفٍ الآخر، لأنه يعد منهج من مناهج الدعوة والإصلاح في المجتمعات.

الحوار منهج نبوي لجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام السابقين الذين بعثهم الله عز وجل لإقناع المعارضين لهم بأفكارهم ومعتقداتهم، وقد ساق القرآن الكريم الكثير من الحوارات الصريحة بين الأنبياء وأقوامهم منهم على سبيل المثال لا الحصر، حوار موسى عليه السلام مع فرعون، وإبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه، ونوح عليه السلام وقومه، ولوط عليه السلام وأهل قريته، والكثير من قصص التي تبتدأ بالحوار وتنتهي إما بهداية الأقوام، أو العناد والابتعاد عن الحق كِبرًا وعنادًا رغم وضوح الدليل، وقوة الحجة والبراهين.

خصائص الحوار في القصة القرآنية[1]:

أولا: الإقناع العقلي، وهذه هي خصوصية الحوار، فالحوار وسيلة للإقناع، وربما يعتبر من أهم وسائل الإقناع، ولهذا اتجه الحوار إلى مخاطبة العقول وطرح التساؤلات العقلية التي يمكن أن يثيرها العقل، وبخاصة في القضايا التي تتصل بالعقيدة والإيمان.

ثانيا: استخدام اللغة لإحداث التأثير النفسي، ومفردات القرآن متميزة في قوة تأثيرها، وفي دقة تعبيرها، وفي إحداث التأثير المطلوب منها، ولو استبدلت لفظة قرآنية بأخرى لضعف التأثير واختل المعنى، وترهلت العبارة.

آداب ومبادئ الحوار[2]:

أولًا: الإخلاص لله والرغبة في طلب الحق حيث قال تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر:14].

---

(1) انظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم – محمد فاروق النبهان (ص: 278–279).

(2) انظر: مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (94/146–148)، وانظر ايضًا: مقال للكاتب علي بن راشد المحري المهندي على الرابط: https://cutt.us/gDEVN.

ثانيًا: العلم، فلا حوار بلا علم، والمحاور الجاهل يفسد أكثر مما يصلح، وقد ذم الله ﷻ المجادل بغير علم فقال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣﴾ [الحج:3].

ثالثًا: التزام القول الحسن وتجنب منهج التحدي والإفحام، مع التواضع واللين والرفق وحسن الاستماع، فالمحاور العاقل لا يتّبع أسلوب الطعن والتجريح والهُزء والسخرية في كلامه، ولا يحق للمحاور إحراج الطرف الآخر حتى لو كانت حجته ظاهرة؛ فإن كسب القلوب مقدّم على كسب المواقف، ومن غاية الأدب واللباقة التحدث بعبارات تناسب مستوى استيعاب الطرف الآخر.

رابعًا: سرعة البديهة والقدرة على الرد وعلى التعامل مع المواقف بحنكة، واستخدام الكلمات المناسبة للرد على الأسئلة أو الآراء المطروحة.

المطلب السادس: لا فائدة من الاعتذار بعد إصدار القرار:

تمهيد: يُعد الاعتذار من الشيم المميزة، فكل إنسان بدر منه لفظٌ أو سلوكٌ يُسيء لغيره، لا بد له من تقديم الأعذار عما بدر منه، ولابد للإنسان الذي وجهت له الإساءة ثم قُدم له الاعتذار قبول الاعتذار، ولكن في بعض الأحيان يأتي هذا الاعتذار في وقت متأخر أو في حالة يَصعب فيها قبول الاعتذار، وفي هذه الحالة يكون الاعتذار قولًا بلا معنى، ولا طائل منه.

طريقة القانون الوضعي في تنفيذ العقوبات:

فقد نصت كثيرٌ من الأعراف والقوانين الخاصة بالتعاملات بين البشر، سواءً كانت هذه التعاملات مادية أو اجتماعية وقضائية أو غيرها من أنواع القضايا، على العديد من الأصول، منها أن تنفيذ العقوبات لا بد له من نظام حازم، وخصوصًا ما يتعلق بالإجراءات العقابية.

ويقصد بالتنفيذ العقابي اقتضاء حق الدولة في العقاب عن طريق تطبيق الحكم الصادر بالإدانة في مواجهة المحكوم عليه، وعليه فإن التنفيذ العقابي يتصف بالقوة الجبرية ويتم بعيداً عن ارادة المحكوم عليه فإن ذلك هو نتيجة منطقية لمبدأ لا عقوبة دون حكم بالإدانة وبعد اتباع الاجراءات المنصوص عليها قانوناً وهو ما نص عليه القانون الاساسي المعدل في المادة (15) والمادة (393) من قانون الاجراءات الجزائية الفلسطيني رقم (3) لسنة (2001م) والتي تقضي بأنه "لا يجوز توقيع العقوبات المقررة بالقانون لأية جريمة إلا بمقتضى حكم صادر من محكمة

مختصـــة"، والحكم الصــادر بالإدانة لا يخاطب المحكوم عليه وانما يخاطب الاجهزة المنوطة بها اقتضاء حق الدولة في العقاب[1].

ولا بد أن يكون هناك قانون ناظم وواضـــح ومعلوم للجميع لمعرفة وتطبيق الأحكام، وتكون صادرة عن جهات معلومة، ولها سلطة تنفيذية، حيث أن الأنظمة واللوائح الصادرة عن السلطات الإدارية العليا تكون ملزمة للســلطات الإدارية العليا والدنيا التي أصـــدرتها، وبالتالي فإن القرارات الإدارية لا تكون صـــحيحة إلا بقدر التزامها بالقيود والضـــوابط التي تقررت في القواعد القانونية الأعلى منها[2].

منهج الإسلام في قبول الاعتذار:

ومن المعلوم وكما بينتُ في مطالب ســـابقة أن باب التوبة وقبول الاعتذار يكون في الدنيا فقط، وقبل أن تصـــــل الروح إلى الحلقوم، وقد وردت آيات كثيرة توضـــــح أن أبواب التوبة كثيرة ومفتوحة، مقبولة إذا صـــــدق العبد في رجعته وأوبته إلى خالقه حال حياته، فقال ﷻ: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر:53].

فهذه الآية فيها إشــارة واضــحة وخطاب للنبي ﷺ أن قُل للمؤمنين وغيرهم من العباد الذين أسرفوا على أنفسهم وتجاوزوا حدود الله، فارتكبوا محارمه وتركوا أوامره، وتأخروا في اللحاق بركب الإسـلام وأهله، لا تيأسوا من رحمة الله ومغفرته، فهو يغفر الذنوب جميعا لمن تاب إليه ولجأ إلى جنابه، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، فهذا وقت قبول الأعذار والصـــــفح والتجاوز عن السيئات[3].

وبعد هذا الترغيب وحث العباد وفتح لهم أبواب التوبة على مصـــــرعيها، ولكن هناك من العباد ما زال مصــــرًا على عدم التوبة إما تقصـــيرًا منه أو كبرًا وعنادًا لأن الحق لا يوافق هواه، فكان لابد أن يكون هناك نهاية لهذه الفرص الكثيرة والمتكررة، وإصـــــدار القرار النهائي في هذه

(1) انظر: التنفيذ العقابي في ضوء السياسة العقابية المعاصرة – د. أحمد براك، منشور على موقعه الشخصي على شبكة الإنترنت http://www.ahmadbarak.ps/Category/StudyDetails/1035

(2) انظر: إبطال القرارات الإدارية الضـــــارة بالأفراد والموظفين – د. عدنان عمرو – جامعة القدس – من إصدارات الهيئة الفلسطينية المستقلة لحقوق المواطن (ص: 141-142).

(3) انظر: تفسير المراغي (22/24)

القضـــية متمثلة في قوله ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الزمر:47].

فبين الله ﷻ أن العذاب المعد لهؤلاء المشركين شـيء رهيب، ولو أن لهم جميع ما أُعد في الأرض من خيرات وأضعافه، لقدموه فداء لأنفسهم، أملا في النجاة من سوء العذاب الذي ينتظرهم يوم القيامة، وللحصـــول على اســتثناءٍ لدفع هذا العقاب، ولكن الآية فيها رد واضـــح وقطعيٌ أن طلبهم مرفوض، وأن ما ذُكر في الآية هو تعجيزٌ لهم، لأنه لا يوجد شـــــخصٌ في العالم يملك الأرض وما حوت عليها من خيرات، وإن وجِد (وهذا من الأمور المستحيلة) فإنه لن يُقبل منه[1].

المطلب السابع: الاعتراف بالذنب وذكر المذنب لجزائه بلسانه:

تمهيد: يُعتبر هذا الأســـلوب من أهم الأســـاليب بتوقيع العقوبة على المُخطئ، حيث يلزم بدايةً إقرار من المُذنب واعترافه بما أخطأ به، حيث أنه لا يمكن له من تقبل العقوبة إلا إذا اقتنع أنه أخطأ وتجاوز الخطوط التي وضـعت له، والقوانين التي شُـرِّعت عليه، لأنه لو لم يُقر بالخطأ ولم يقتنع أنه أخطأ لشعر أنه يقع تحت الظلم، وأن ما يتعرض له إنما هو افتراءً عليه.

لذا فإنه يلزمه بدايةً المعرفة التامة بالصواب من الخطأ، ثم المعرفة بثواب المُصيب وعقاب المخطئ، ومن بعد ذلك الإقرار التام بالخطأ الذي ارتكبه جراء فعلته التي فعلها، فلا يبقى أمامه إلا أن يذكر ما نص عليه الشارع من عقوبات يستحقها ليكون جزاءً له، وبهذا يكون حُكم القاضي هو بمثابة تصديق لما قاله هذا الشخص المُعاقب.

فهذا الأسـلوب فيه تحمل نتائج الأشـخاص لأفعالهم، فيجب أن يكون العقاب نتيجة للفعل، وبعد المناقشـــة في الأفعال والتأكد من إيصـــال الرســالة إليهم، فعندما يتحمل الأشــخاص عواقب أفعالهم يزيد هذا من إصـــــرارهم على عدم تكرار الخطأ في حال كان الاســــتدراك في فترة الندم والعودة وتفادي العقوبة، وهي في الحياة الدنيا، فالإقرار بالذنب قبل بوادر العقاب من أعظم ما يقتضـــي العفو عند الخالق والخلق، أما في حال الإقرار بعد فوات الأوان وبعد إقفال باب التوبة، فإنها تكون زيادة في الحسرة والندامة، على الجميع تحمل نتائج ما يفعلونه.

---

(1) انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (233/12).

وقد مثَّل القرآن الكريم مشـــهدًا من هذه المشـــاهد لإقرار واعتراف المجرمين على ماقترفته أيديهم، وتصـديقًا لما صـدر بحقهم من عقوبة فقال ﷻ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾ [الزمر:71]

فقد بينت الآية حال الكفار حين وصـولهم إلى أبواب جهنم ويجدون الخزنة قد فتحوا أبوابها السـبعة، لقدومهم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٣ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ٤٤﴾ [الحجر:43-44]، ثم تزجرهم الملائكة وخزنة جهنم، قائلين لهم كيف تعصون ربكم، وتفعلون ما فعلتم وقد أُنزل عليكم الكتب وأرسل لكم الرسل، يحذرونكم أهوال هذا اليوم، ويخوفونكم لقاء ربكم، فيجيب اهل النار مُقرين بذنوبهم ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ قد جاءتنا رسـل ربنا بالحق، وحذَّرونا من هذا اليوم، وأقاموا علينا الحجج والبراهين وأنذرونا بما ســــنلقاه، ولكنهم اعترفوا بعدم اتباع دعوة الرســـل وتكذيبهم ومخالفتهم، ثم قالوا ولَمَّا تكبرنا وكفرنا حقت علينا كلمة الله ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣﴾ [الســـجدة:13]، من كل من كفر بالله وجحد بما جاءت به رُسله[1].

فبعد هذا الإقرار الصــريح والاعتراف من المجرمين الذين كذبوا بالرســل، أجيبوا بإصـــدار حكم الجزاء من الله فقيل لهم ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ [الزمر:72]، أي تقول لهم الملائكة الحفظة على النار ادخلوا في أبواب جهنم التي فتحت لكم، مقدّرا لكم فيها من قبل الله، ماكثين فيها ما شـاء الله لكم فيها، لا خروج لكم منها إلا من شـاء الله له الخروج، فبئس المســكن مســكن جهنم، بســبب تكبركم في الدنيا عن اتباع الحق، فهو الذي صيركم إلى ما أنتم فيه، وإنما أبهم القائل وأطلق، ولم ينسب إلى قائل معين، ليدل على أن الكون شاهد عليهم بأنهم يستحقون ما هم فيه، بما حكم العدل الخبير عليهم به[2].

(1) انظر: واحة التفسير، أحمد الطويل (11/548-549).

(2) انظر: التفسير المنير للزحيلي (24/ 62).

وفي القانون الفلسطيني يُقبل الاعتراف والإقرار بارتكاب المخالفات بشرط أن يصدر طواعية واختيارًا، ودون ضغط أو إكراه مادي أو معنوي، أو وعد، أو وعيد، وبشرط أن يتفق الاعتراف مع ظروف الواقعة، وأن يكون الاعتراف صريحا قاطعا بارتكاب الجريمة[1].

المطلب الثامن: تنظيم الوقت وشدة الانضباط به أمر إلهي:

تمهيد: للوقت أهمية وفوائد جمّة بالنسبة للإنسان كونه معمرًا في الأرض سائرًا بالإصلاح، وقد حث الإسلام على اغتنام الوقت وتنظيمه وعدم إهماله، ووفق هذه التوجيهات الإسلامية سار المسلمون يرفعون رايات المجد والازدهار والرُقي الحضاري، لأنهم فهموا عظيم اغتنام الوقت وإدارته وحسن تنظيمه.

كما اهتم الإسلام بإدارة الوقت أيما اهتمام، لأنه في نظر الشارع هو الحياة، فمن يُضيع وقته يُضيع حياته، ومن يكسب وقته يحصد إنجازاته، فانظر إلى قول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ"[2].

وقد حث النبي ﷺ إلى حسن إدارة الوقت وتنظيمه، فإن التقدم والحضارة ورفعت الأمم تكمن في إدارة وقتها في كل أمر من أمور حياتها كبيرها وصغيرها، فقد كان ﷺ مُنظمًا حتى في نومه الشريف، وفي صلاته وفي مشربه وفي مطعمه، انظر ما جاء في الحديث أَنَّ عَمْرَو بْنَ أَوْسٍ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: "أَحَبُّ الصَّلاَةِ إِلَى اللَّهِ صَلاَةُ دَاوُدَ عليه السلام، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ عليه السلام، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا"[3].

نبّه القرآن الكريم في كثير من آياته وفي كثير من الصيغ المختلفة لأهمية الوقت وذكر الوقت بصيغ مختلفة منها الدهر والحين والآن والأجل والأمد والسرمد والعصر وغيرها من الألفاظ

---

(1) مادة رقم (214) من قانون الإجراءات الجزائية الفلسطينية رقم (3) لسنة 2001م.

(2) سنن الترمذي ت شاكر – بَابٌ فِي الْقِيَامَةِ (612/4) حديث رقم (2417)، وحسنه الإمام الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1220/2).

(3) صحيح البخاري – باب من نام عند السحر (2/ 50) حديث رقم (1131).

التي تدل على مصطلح الوقت والتي لها علاقة بالكون والبعض الآخر يرتبط بعلاقة الإنسان بربه من حيث الفرائض التعبدية.

ويمكن ملاحظة أهمية الوقت في القرآن الكريم من خلال الوقت وتعاقب الأهلة فقد ورد في سورة الزمر ما يدل على أن الكون يسير بانتظام دقيق لا مجال فيه للخطأ أو التأخير، وفيه دقة متناهية، وهي من أُسس انتظام الكون وسيره، فقد قال ﷻ:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٥﴾ [الزمر:5]

فهذه الآية فيها دلالة واضحة أن هذا الكون يسير بانتظام دقيق عجيب لا يمكن ضبطه إلا من خلال ربٍّ عظيم، حيث أن الله ﷻ خلق الليل والنهار، وكل جزء منهم له وقت معلوم لا يتأخر ولا يتقدم، ولا يطغى واحد منهم على الآخر، فإن لكل واحدٍ منهم وقتًا محددًا، يتغير بتغيير فصول السنة فعندما ينقص النهار يزيد في طول الليل وما ينقص في الليل يدخل في النهار وهكذا[1]، وجعل لنا حسابات نحسب فيها الأيام والشهور والأعوام، ويعتمد فيها العالم بأسره على الحسابات الفلكية على التقويم الشمسي والتقويم القمري، وأيضًا كُلٌّ من هذه التقويمات، لها حسابات غاية في الدقة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يحدث أي خلل فيها، فمنذ آلاف السنين والبشر يعتمدون على حساباتهم وعد أيامهم وسنواتهم، وتنظيم أمور حياتهم على هذه الحسابات الفلكية.

وستبقى هذه الحالة من الدقة المتناهية في تعاقب الليل على النهار وتعاقب النهار على الليل إلى أجلٍ قدره الله ﷻ وهو يوم القيامة، أي حتى انتهاء هذا الكون وفناءه، فهذه من سنن العزيز الغالب القادر في كونه، وهو غفار لمن فكر واعتبر وتدبر فآمن واهتدى[2].

فقد أرشد القرآن الكريم والسنة النبوية عن كثير من الشرائع المرتبطة بوقت معينٍ دقيق، يستطيع من خلالها المسلمُ التعوُّدَ على إدارة وقته من خلالها، ومن هذه الشرائع:

الصلاة: وأخبَرنا رسولنا الكريم ﷺ عن أوقات الصلاة، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "وَقْتُ الظُّهْرِ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ وَكَانَ ظِلُّ الرَّجُلِ كَطُولِهِ، مَا لَمْ يَحْضُرِ الْعَصْرُ،

(1) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي – إحياء التراث (80/4).

(2) انظر: تفسير النسفي – مدارك التنزيل وحقائق التأويل (170/3).

وَوَقْتُ الْعَصْرِ مَا لَمْ تَصْفَرَّ الشَّمْسُ، وَوَقْتُ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ مَا لَمْ يَغِبِ الشَّفَقُ، وَوَقْتُ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ الْأَوْسَطِ، وَوَقْتُ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ مَا لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَأَمْسِكْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ"[1].

الصـــيام: قال ﷻ عن الصـــيام: وقال عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾ [البقرة:185].

وقال ﷻ في وقت الأكل والشرب برمضان: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة:187]، ومعناها حتَّى يتبين لكم طلوع الفجر الصـادق ببياض الفجر وانفصـاله عن سـواد الليل، ثم أكملوا الصـيام بالإمسـاك عن المفطرات من طلوع الفجر حتَّى تغيب الشمس[2].

الحج: قال ﷻ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ﴾ [البقرة:197].

التسـبيح والاسـتغفار: أخبرنا الله ﷻ عن أفضـل أوقات التسـبيح والاسـتغفار، فقال ﷻ: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق:39].

الوقت نعمة عظيمة تسـتحق الشـكر، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ"[3].

ومعنى قوله ﷺ كثيرٌ من الناس أي أن الذي يُوفَّق لذلك قليل، لأن معنى مغبون يأتي من الغبن وهو النقص، فقد يكون الإنســان صــحيحًا ولا يكون متفرغًا لشــغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيًا ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون[4].

ومما سبق يتضح أن الدين الإسلامي قد اهتمَّ بمسألة الوقت اهتمامًا بالغًا، فعلى المسلم أن يَحرِصَ عليه بعبادة الله، وفِعل الخير، وطلب العلم، والاجتهاد في حياته الدينية والدنيوية؛ ليحصل على ما يريد.

---

(1) صحيح مسلم – باب أوقات الصلوات الخمس (427/1) حديث رقم (612/173).

(2) المختصر في تفسير القرآن الكريم (29/1).

(3) صحيح البخاري – باب لا عيش إلا عيش الآخرة (8/ 88) حديث رقم (6412).

(4) انظر: تعليق مصطفى البغا على الحديث، (المرجع السابق).

الفصل الثالث

الأساليب التي جاءت بها التوجيهات التربوية في سورة الزُّمَر

الفصل الثالث

الأساليب التي جاءت بها التوجيهات التربوية في سورة الزُّمَر

المبحث الأول:

الأساليب التربوية الواردة في سورة الزُّمَر

المطلب الأول: أسلوب النصح والإرشاد:

تعريف النصح في اللغة: النُّصْحُ: تَحَرِّي فِعْلٍ أو قَوْلٍ فيه صلاحُ صاحبِهِ، وهو من قولهم: نَصَحْتُ له الوُدَّ[1]، والنصيحة: "كلمة لها عدة معانٍ منها الخلوصُ والبَقاءُ"[2]، وهي أيضًا "الإِخْلاَصُ وَالصِّدْقُ وَالْمَشُورَةُ وَالْعَمَل"[3].

تعريف النصح اصطلاحًا: النَّصِيحَةُ هِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى مَا فِيهِ الصَّلاَحُ، وَالنَّهْيُ عَمَّا فِيهِ الْفَسَادُ، وترتبطها علاقة مع الوعظ باعتبار أَنَّ فِي كُلٍّ مِنْهُمَا الدُّعَاءَ إِلَى مَا فِيهِ الصَّلاَحُ وَالتَّذْكِيرَ بِالْخَيْرِ[4].

ويُعرف الباحث النصح على أنه: توجيه الرأي في مسألة ما لتوضيحها للمساعدة في حل مشكلة أو التوجيه لاتخاذ قرار يكون فيه منفعة عامة أو خاصة، ولابد أن يكون النصح في غالب الأمر سرًا لتلافي وقوع الحرج على المنصوح، وصونًا للنفس من دخول الرياء إلى قلب الناصح.

تعريف الإرشاد في اللغة: الرَّشَدُ والرُّشْدُ: خلاف الغيّ، يستعمل استعمال الهداية، وهو أيضًا: الصَّلاَحُ وَإِصَابَةُ الصَّوَابِ وَالاِسْتِقَامَةُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ مَعَ تَصَلُّبٍ فِيهِ، وَهُوَ خِلاَفُ الْغَيِّ وَالضَّلاَل[5].

تعريف الإرشاد اصطلاحًا: "وَيُطْلَقُ لَفْظُ الإِرْشَادِ عَلَى التَّبْيِينِ، وَلاَ يَلْزَمُ أَنْ يُلاَزِمَ التَّبَيُّنُ الإِصْلاَحَ، فِي حِينِ أَنَّ الإِصْلاَحَ يَتَضَمَّنُ حُصُول الصَّلاَحِ"[6].

---

(1) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص: 808).
(2) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (63/5).
(3) الموسوعة الفقهية الكويتية (26/ 279).
(4) انظر: المرجع السابق (19/ 176)، (44/ 80).
(5) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص: 354)، وانظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (22/ 212).
(6) الموسوعة الفقهية الكويتية (5/ 62).

ويُعرف الباحث الإرشاد على أنه: هو محاولة للإصلاح، مع توضيح المفاهيم الصحيحة للمجتمع، وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، ولا يُشترط تطبيقه واقعًا من قبل المُرْشَد، ولكنه مطلوبٌ من المُرْشِد حتى تستقيم شئون العباد.

أولًا: استعمال القرآن لأسلوب النصح والإرشاد:

وقد استخدم القرآن الكريم لغة الإرشاد والنصح في كثيرٍ من الآيات ومنها ما كان صريحًا واضحًا، ومنها ما كان ضمنيًا، وهو يعتبر من الأساليب التربوية في القرآن الكريم، وقد ورد هذا الأسلوب في سورة الزمر أُوضح البعض منها وهي متمثلة في الآيات الآتية:

أولاها: قد يأتي النصح بأسلوب التخيير، ولكن إذا لم يتَّبع المنصوح الحق الذي نصحه به الناصح، فإن النصح يكون به نوعٌ من التعنيف المُبطن في كثير من الأحيان أو التعنيف الصريح في بعض الأحيان، وفي هذه الآية نصح مع تعنيف مبطن للمعرضين فقال ﷻ: ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥﴾ [الزمر:15].

أي انتبهوا إلى ما تعبدون أيها العباد، واعبدوا يا معشر الكفار ما شِئْتُمْ ان تعبدوه مِنْ دُونِ الله ﷻ، فقد أرشدتكم إلى الطريق القويم واحذروا بعد ذلك من عواقب اختياركم من شدة الغضب عليكم، ثم جاء الرد على الكافرين بعد أن ردوا دعوة النبي ﷺ ونعتوه بالخسران، أن الذين خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بالضلال واختيار الكفر وأضاعوا الدين فقد اتلفوا النفس إتلاف البضاعة، يَوْمَ الْقِيامَةِ حين يدخلون النار بدل الجنة ويوقنون حينها بالخلود في مثواهم الأبدي يكون حين ذلك نتيجة النصيحة التي رفضوها، أَلا ذلِكَ الخسران هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ[1].

ثانيها: ثم بعد ذلك بين الله ﷻ عباده الصالحين الذين يستمعون لنصح الناصحين ويسلكون مسلك المهتدين واصفًا حالهم بقوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر:18]، فالخطاب في هذه الآية عامٌّ في جميع الأقوال، سواءً كان قرآنًا أو هدينًا نبويًا أو نصحًا من أهل الصلاح وأهل العلم، ومقصدهُ الثناءُ على هؤلاءِ في نفوذِ بصائرهم، وقوام نَظَرِهِم، حتى إنهم إذا سمعوا قول الناصحين فمَيَّزوه واتبعوا أحْسَنه وأفضله[2]، فهؤلاء هم الذين هداهم الله للدين الحق، فوصفهم الله ﷻ بأنهم هم أصحابُ

(1) انظر: روح البيان – أبو الفداء إسماعيل الخلوتي (87/8).

(2) انظر: تفسير الثعالبي – الجواهر الحسان في تفسير القرآن (5/ 85).

العقول السليمة عن معارضة الوهمِ ومنازعةِ الهَوَى المستحقُّون للهدايةِ لا غيرهم وفيه دلالةٌ على أنَّ الهدايةَ تحصلُ بفعل الله ﷻ وقبول النَّفسِ لها، وإخضاع الأسماع والقلوب والعقول لأهل الصلاح والإصلاح في الأرض(1).

ثالثها: وفي بعض الأحيان يكون النصح مصحوبًا بالإشفاق على المنصوح، خوفًا عليه، ورغبة من الناصح في تخليص المنصوح من الهلاك والعذاب، وقد ورد ذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزمر:54-55].

فالخطاب في الآية بضرورة الإقبال على الله ﷻ، فمن المعلوم أن الإنسان مركب على النقص، معرّض للأخطاء، فالخطأ ملازم لكل إنسان، لكن لا يجب ولا يصح استمرار الخطأ، وإنما العلاج سهل ويسير، والتخلص من آثار الزلات والانتكاسات أمر ليس بالعسير ولا بالشاق، ألا وهو العودة إلى الله ﷻ، وتجديد الحياة، وتصحيح المسيرة بالتوبة الخالصة بين الإنسان وربه، وإخلاصه العمل له ﷻ، والالتزام بأصول الحق والسداد والاستقامة، ولا يتحقق ذلك إلا بوجود المخلصين المحبين لدين الله ﷻ الذين يعملون ليلًا ونهارًا ويفنون أوقاتهم لهداية الخلق ولنصحهم وحثهم على فعل الخيرات والتوبة إليه ﷻ(2).

ثانيًا: هدي النبي ﷺ في النصح والإرشاد:

من الأساليب التربوية للنبي ﷺ في التعامل مع الناس أسلوب النصح والإرشاد والذي يحتاج من المربي إلى شيء من الحرص، لكيلا تتحول توجيهاته وإرشاداته إلى فضائحَ وهتكٍ للستر، فكان غالبًا ما ينصح سرًا لأن مَن نَصَحَ أخاه سِرّاً فقد زانه، ومن نصحه جهراً فقد فضحه وشانه، ولا يتوجه إلى النصح في العلن إلا عندما يحتاج الأمر إلى تصحيح سلوك مجتمعي، وكان ينتهج النصيحة عندما تكون علنًا بالإيماء والإشارة التي تكشف عن النصيحة المطلوبة محفوفةً بالستر، وهو أسلوب حكيم للنبي ﷺ فكان لا يُصرّحُ بالأسماء والكُنى ولكنه يُلَمّحُ تلميحًا فيسترُهم، ويحصلُ

(1) انظر: تفسير أبي السعود – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (7/ 248).

(2) التفسير الوسيط للزحيلي (3/ 2247).

مقصودُه ﷺ من النصح، فَعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيْءُ لَمْ يَقُلْ: مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُولُ؟ وَلَكِنْ يَقُولُ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا؟"(1).

الدين النصيحة: ولأن الدين الإسلامي قائمٌ على المناصحة بين العباد، فقد حثنا رسول الله ﷺ على التناصح بين جميع أطياف المجتمع المسلم، فَعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: "لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ"(2).

ومعنى الحديث عماد الدين وقوامه النصيحة كقوله الحج عرفة أي عماده ومعظمه عرفة، أما النصيحة لله تعالى فمعناها منصرف إلى الإيمان به ونفي الشريك عنه وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصح نفسه فالله ﷻ غنى عن نصح الناصح وأما النصيحة لكتابه ﷻ فالإيمان بأنه كلام الله ﷻ وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابه وأما النصيحة لرسول الله ﷺ فتصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به والمراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمور فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم(3).

النصيحة حق من حقوق المسلمين على بعضهم البعض: فقد بين النبي ﷺ أن هناك جملة من الحقوق المترتبة على المسلمين ومن بين هذه الحقوق هو حق التناصح فيما بينهم فقد ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ" قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: "إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ(4)، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ"(5).

---

(1) سنن أبي داود – باب في حسن العشرة (250/4) حديث رقم (4788)، وصححه الإمام الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (857/2) حديث رقم (4692).

(2) صحيح مسلم – باب بيان أن الدين النصيحة (74/1) حديث رقم (95).

(3) انظر المرجع السابق، شرح محمد فؤاد عبد الباقي للحديث.

(4) (فسمته) تشميت العاطس أن يقول له يرحمك الله ويقال بالسين المهملة والمعجمة لغتان مشهورتان، قال الأزهري التشميت ذكر الله تعالى على كل شيء ومنه قوله للعاطس يرحمك الله، ويقال سمت العاطس وشمته إذا دعوت له بالهدى وقصد السمت المستقيم، والأصل فيه السين المهملة فقلبت شينا معجمة، وقال صاحب المحكم تسميت العاطس معناه هداك الله إلى السمت، (انظر: شرح الحديث لمحمد فؤاد عبد الباقي – نفس مرجع الحديث).

(5) صحيح مسلم – بَابُ مِنْ حَقِّ الْجُلُوسِ عَلَى الطَّرِيقِ رَدُّ السَّلَامِ (4/ 1705)، حديث رقم (2162).

فلابد أن يكون منهج الدعاة إلى الله عند التفكير في النصـــيحة وخاصـــة في أمور الدين والعبادات هي لغة الخطاب المستنبطة من الكتاب والسنة النبوية الشريفة والاستدلال بهما عن الحاجة، فهناك من يذكر عبارات وكلمات هي صحيحة ولكنها لا تصل للمخاطبين لأنها تعتمد على الاسترسال في الحديث الذي يبتعد كل البعد عن المحرك الداخلي لقلب الإنسان المتعلق بالميل إلى دين وخالق.

المطلب الثاني: أسلوب القدوة:

تعريف القدوة في اللغة: "(قَدَوَ) الْقَافُ وَالدَّالُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْـــلٌ صَـــحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى اقْتِبَاسٍ بِالشَّـــيْءِ وَاهْتِدَاءٍ، وَمُقَادَرَةٍ فِي الشَّـــيْءِ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ مُسَـــاوِيًا لِغَيْرِهِ، وَفُلَانٌ قُدْوَةٌ: يُقْتَدَى بِهِ"[1].

ويطلق على القدوة أيضًـــا لفظ الأُسْـــوَة والإِسْـــوَةُ كالقدوة والقدوة، وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسنا وإن قبيحا، وإن سارّا وإن ضارّا، ولهذا قال ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[الأحزاب:21]، فوصفها بالحسنة[2].

والأسوة أو القدوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة، فالأُسوة الحسنة الأسوة بالرسول ﷺ، ومن استن بسنته واقتفى أثره، وأما الأسوة بغيره إذا خالفه فهي أسوة سيئة، كقول المشركين حين دعتهم الرســـل للتـأســـي بهم: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزخرف:22].

تعريف القدوة اصـــطلاحًا: "وَهِيَ اتِّبَاعُ الْغَيْرِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا حَسَـــنَةٍ أَوْ قَبِيحَةٍ"[3].

ويعرف الباحث القدوة على أنها: هي الشـــخص أو الســـلوك الذي يُقتدى على أن يكون الشخص يُطابق قوله عمله ويُصدّقه، وتكون القدوة بالنسبة لأتباعها مثالاً سامياً وراقياً، فيسعون إلى تقليد الشخص وتطبيق السلوك، مع الاقتناع الكامل النابع من داخل الشخص المُقتدي.

---

(1) مقاييس اللغة (66/5).

(2) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص: 76)

(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (85/8).

ويُعد أســـلوب القدوة من الأســـاليب التربوية والدعوية التي وردت في القرآن الكريم بكثرة، حيث ســـاق الله ﷻ الكثير من أخلاق وتعاملات وعبادات الأنبياء والرُســـل والأقوام الصـــالحين الســـــابقين للاقتداء بهم وحث على ذلك بقوله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام:90]، ولما تتمتع التربية والدعوة بالقدوة فإن الله ﷻ بعث الرســـل إلى أُممهم لتبليغ دعوته قولاً وعملاً، ليرى الخلق الدعوة تتجســد في واحدٍ منهم، يأكل كما يأكلون، ويشـرب كما يشـربون؛ فيتأثروا به، ويقتدوا به.

وقد اعتبر الإســـلام اتباع ســـنة النبي ﷺ من غير إفراط ولا تفريط، وبدون تكلف وزيادة من الأمور التعبدية التي يُثاب عليها في الإســـلام، وقد غضـــب النبي ﷺ ممن يُحاول التشـــديد على نفســـه فاعتبر وكأنهم لم يعملوا العمل أصـــلًا كما ورد في الحديث الذي يروي قصـــة النفر الثلاثة الذين شددوا على أنفسهم في العبادة.

فقد سُمع أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَـاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: "أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَـاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُـومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَـلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَـاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[1]، ففي هذه الحديث توجيه نبوي على اتباع السنة والاقتداء بها دون غيرها، ومن غير تشـــديد على النفس طلبًا للرفعة والزيادة والمغفرة من الله، فإن ذلك مخالف لطريقة النبي ﷺ السهلة والسمحة في العبادة التي لا تشدد فيها ولا تفريط.

ولأن النبي ﷺ هو قدوة المســـلمين الأولى، وكان قدوة لأهل قريش قبل البعثة وأيام الجاهلية في صـــــدقه وأمانته، فكان لابد أن يبقى كذلك بعد البعثة، وكان الله ﷻ يُكثر الخطاب في القرآن الكريم للنبي ﷺ بأن يكون هو أول من يعبد الله على حق، وأن يكون مثالًا للجميع بعد أن زكاه الله وطهره وأيده، فقال الله ﷻ في ســـــورة الزمر مخاطبًا نبيه ﷺ بقوله ﷻ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ

---

(1) صـحيح البخاري – باب الترغيب في النكاح (2/7) حديث رقم (5063)، صـحيح مسـلم – بَابُ اسْـتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُـهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَهُ، وَاشْـتِغَالِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤَنِ بِالصَّـوْمِ (2/ 1020) حديث رقم (1401/5).

مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤﴾ [الزمر:11-14].

وهذا الخطاب تقريري بأسلوب الأمر أن قُلْ يا محمد أن الأمر بعبادة الله موجهٌ لي ولأمتي من بعدي وأمرت لأن أكون مخلصًا في العبادة لله وحده لا شريك له، والأمر أيضًا أن يكون النبي ﷺ أول من يُسلم من أمته، ثم بعد ذلك يكون يُظهر النبي ﷺ خشيته من عصيان ربه رغم أنه معصوم من الخطأ والزلل، ولكنها رسالة لكل أتباعه أن يقتدوا به، وألا يركنوا إلى كثير طاعة أو كثير عمل، لأن من يعصى ربه سيُصيبه عذاب عظيم يوم القيامة لا يقوى عليه، مع ضرورة الإخلاص في العبادة لله ﷻ وحده من غير شريك في العبادة(1).

ومن خلال الآيات السابقات وبعد كل هذه التوجيهات للنبي ﷺ وهو المعصوم والمنزه عن النقص والعيب، لابد لكل مسلم أن ينتهج نهج النبي ﷺ في عبادته وفي حركاته وسكناته، وأن يكون قدوة لغيره من أبنائه وطلابه ومن حوله وينظرون إليه نظرة المُعلم، وأن يفعل ما يقوم وأن يُطبق ما ينصح به غيره.

وبعد هذه الآيات السابقات التي من شأنها أن تُبرز القدوة في أخلاق النبي ﷺ جاءت الآية التي تليها تُخيِّرُ العباد إن كانوا سيتبعون قُدوَتهم فقال ﷻ: ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥﴾ [الزمر:15].

فبعد أن تبرأ النبي ﷺ في الآيات السابقات من طاعة غير الله ﷻ وأعلن العبادة له ﷻ وبين طريقه الواضحة، خيَّر الكفار بين عبادة الله ﷻ وعبادة الأوثان والأصنام التي يعبدونها من غير نفع أو ضُر، فإن اخترتم الثانية فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم ذلك إذا لقيتم ربكم، وقوله ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ قل يا محمد ﷺ لهم إن الهالكين الذين غَبَنوا أنفسهم، وهلكت بعذاب الله مع أنفسهم أهليهم، فلم يكن لهم إذ دخلوا النار وتخلدوا فيها ولهم فيها أهل، وقد كان لهم في الدنيا أهلون(2).

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير ط العلمية (79/7).

(2) انظر: تفسير الطبري – جامع البيان ت شاكر (271/21).

ولا بد من الأُسوة أو القدوة أن يكون قدوةً صالحة فيما يدعو إليه فلا يناقض قولُهُ فِعلَهُ، ولا فعله قوله، فقد وصف الله ﷻ هذه الصفة في قوله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الزمر:33].

فقد بين الله ﷻ أن محمد ﷺ والأنبياء عليهم السلام من قبله، وجبريل عليه السلام، جاءوا بالصدق في رسالاتهم التي هي كلمة التوحيد ونشر دين الله ﷻ، وتحملوا الأمانة حتى جاءوا بها يوم القيامة، وكانوا هم أول من صدق بها وجاهدوا من أجلها، وثبتوا على دعوتهم رغم كل المصاعب التي واجهوها من أقوامهم فكان حقًا على الله أن يصفهم بأنهم هم أهل التقى وأهل الامانة[1].

أهمية القدوة الحسنة:

لا شك أن الداعية إلى الله ﷻ بحاجة شديدة جداً إلى تطبيق ما يقول ويدعو إليه حتى يقتدي به الناس، ويكمن ذلك في الأمور الآتية:

أولًا: إن المثال الحي والقدوة الصالحة يثير في نفس البصير العاقل قدراً كبيراً من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة، فيميل إلى الخير.

ثانيًا: إن القدوة الحسنة المتحلّية بالفضائل تُعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل والأعمال الصالحة من الأمور الممكنة التي هي في متناول القدرات الإنسانية، وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال[2].

ثالثًا: إن الرؤية بالعين المجردة هي أبلغ من آلاف الكلمات المنمقة وهي أدعى للفهم وذلك لاختلاف مستويات العقول والأفهام، ومما يدل على ذلك حديث الأمام البخاري الذي وضعه تحت باب مخصوص في صحيحه عنونه "الاقتداء بأفعال النبي ﷺ"، ثم ساق الحديث الذي يرويه عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ" فَنَبَذَهُ، وَقَالَ: "إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا"، فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ[3].

(1) انظر: تفسير العز بن عبد السلام (99/3).

(2) الأخلاق الإسلامية – عبد الرحمن حبنكة الميداني (ص: 215).

(3) صحيح البخاري – بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِأَفْعَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (96/9) حديث رقم (7298).

وهذا درس عملي من النبي ﷺ بخلع خاتمه، فخلعوا خواتيمهم، كما تكررت الأحداث التي اتبع فيها المسلمون أفعال النبي ﷺ في كثير من القضايا ومنها أنه خلع نعليه في الصلاة، فخلعوا نعالهم، وأنه أمرهم عام الحديبية بالتحلل فوقفوا، فشــكا ذلك إلى أم ســلمة رضي الله عنها فقالت له: اخرج إليهم واذبح واحلق، ففعل ذلك، فذبحوا وحلقوا اتباعًا لفعله، فعلم أن الفعل أكد عندهم من القول[1].

رابعًا: إن الناس كما ينظرون إلى الداعية في أعماله وتصــرفاته ينظرون إلى أســرته وأهل بيته، وإلى مدى تطبيقهم لِمَا يقول، وهذا يفيد ويبيّن أن الداعية كما يجب عليه أن يكون قدوة في نفسه يجب عليه أن يُقوِّم أهل بيته وأسرته، ويلزمهم بما يأمر به الناس، ويدعوهم إليه.

المطلب الثالث: الأسلوب القصصي:

تعريف القصص في اللغة: قصص مشتقة من الْقَصُّ: "وهو تتبّع الأثر، يقال: قَصَصْتُ أثره، والْقَصَــصُ: الأثر "[2]، يُقَالُ: قَصَــصْــت الرُّؤيا عَلَى فُلان إِذَا أَخْبَرْتَه بِهَا، أَقُصُّــها قَصّــاً، والقَصُّ: البَيان، والقَصَصُ بِالْفَتْحِ: الِاسْمُ، وَبِالْكَسْرِ: "جَمْعُ قِصَّــة. والقاصُّ: الَّذِي يَأْتِي بالقِصَّــة عَلَى وجْهِها، كَأَنَّهُ يَتَتَبَّع مَعانِيَها وأَلْفاظَها"[3]، ومن هذا: "قَصَصْتُ الشـيء: تَتَبَّعْتُ أثره شـيئًا بعد شيء والتسوية هنا الانضباط على ذلك"[4].

تعريف القصص اصطلاحًا:

قصص القرآن: هي الأخبار عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة وقد اشــتمل القرآن على كثير من وقائع الماضــي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.

وهي الحادثة المرتبطة بالأسـباب والنتائج يهفو إليها السـمع، فإذا تخللتها مواطن العبرة في أخبار الماضـين كان حب الاسـتطلاع لمعرفتها من أقوى العوامل على رسـوخ عبرتها في النفس،

(1) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (346/10).
(2) المفردات في غريب القرآن (ص: 671).
(3) النهاية في غريب الحديث والأثر (4/ 70).
(4) المعجم الاشتقاقي المؤصل (4/ 1789).

وقد أصبح أدب القصة اليوم فنًّا خاصًّا من فنون اللغة وآدابها، والقصص الصادق يمثل هذا الدور في الأسلوب العربي أقوى تمثيل، ويصوره في أبلغ صورة: قصص القرآن الكريم[1].

الحث على تأمل واعتبار قصص القرآن:

إن آيات القصص جديرة بحق أن نقف عند معانيها، وما ترمي إليه من دروس وعظات، ينبغي ألا تذهب هدراً على ذوي الألباب، إذ ليس شيء أنفع للمرء من تدبر القرآن، وإطالة النظر في عواقب المثلات، فيعيش المرء مع القرآن حتى كأنه في الآخرة، ويغيب عن الدنيا حتى كأنه خارج عنها[2].

ومن المعلوم أن قصص القرآن أُنزلت للفائدة لا للتسلية كما هو الحال في كُتب الأديان السابقة وما حوته ففي كثير من فقرات الكتاب المقدس يفتقد إلى المعلومة المفيدة التي تستثمر الحدث التاريخي لهدف ديني، بل فيه ما تجده في كتب الإثارة والمتعة الرخيصة واللهو البعيد عن العبرة والفائدة، وهو دليل على تحريفه وأنه من كتابة بعض البشر[3].

وقد ورد في نهاية سورة الزمر حال العباد على فريقين منهم الشقي ومنهم السعيد، فقد ساقت الآيات حالهم على شكل قصة وحوار بين العباد وبين الملائكة فقال ﷻ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٥﴾ [الزمر:71-75].

فقد ساقت الآيات قصص العذاب بالآخرة، وكان الهدف من بداية هذه القصة بالترهيب بالعقاب لضرورة وجود نظام جزائي حتى يكون رادعًا ودافعًا لاحترام النظام، وضرورة أن تسود

---

(1) انظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: 316).

(2) دروس للشيخ سعود الشريم (41/ 3، بترقيم الشاملة آليا).

(3) انظر: هل العهد القديم كلمة الله – منقذ بن محمود السقار (ص: 133).

كلمة النظام وتعلو هيبته، وذلك لعدم استجابة الناس لنداء الحق وصوت الضمير الواعي والعقل المتفتح المُميز، فيكون الجزاء الرادع مرهبا ومؤدبا للعصاة، وحاملا الناس على الالتزام، وهذا هو المنهج المتّبع في كل تشريع إلهي أو وضعي بشري، لذا اشتمل القرآن الكريم على قصص الأمم السابقة الذين رفضوا دعوة الإيمان بالله تعالى، وآذوا الرسل والأنبياء، واتبعوا الأهواء والشهوات، وكان في إيراد هذه القصص عبرة واضحة وعظة بليغة، ودعوة إلى الاعتبار والاتّعاظ في بيان قصص الأمم الظالمة السابقة وما حلّ بها مفيد في الدنيا، ومفيد أيضا في تربية الإنسان واهتدائه للخوف من أمر الآخرة[1].

فكما أن قصص العذاب فيها ترهيب ورادع لكل المقصرين، فإن قصص الجنة والنعيم فيها ترغيب لكل عبد مُطيع لربه ﷻ ودافع له لعمل المزيد من الخيرات والطاعات.

أنواع القصص القرآني: للقصص القرآني أنواع ثلاثة وهي[2]:

النوع الأول: قصص الأنبياء عليهم السلام، وفيها دعوة الأنبياء لأقوامهم وما رافقها من معجزات أيد الله ﷻ دعوتهم بها، وبين موقف المعاندين من قومهم، والمراحل الدعوية التي مروا بها وما واكبها من تطورات، وتبيان لنهاية مطاف كل من العباد المؤمنين والمكذبين.

النوع الثاني: قصص قرآني، وهذا النوع يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص وأقوام لم تثبت نبوتهم كقصة طالوت وجالوت، وقصة ابني آدم، وقصة أهل الكهف، وقصة ذي القرنين، وغير ذلك من القصص لما حدث في أمم سابقة.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالأحداث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ، كغزوة بدر وأحد وقصة الهجرة والإسراء ونحو ذلك مما حدث في زمن المصطفى ﷺ، بالإضافة إلى القصص التي ستحدث لاحقًا من علامات يوم القيامة، وما سيحدث بعد قيام الساعة وأحداثها ومجرياتها، ومن ثم مآل كل فريق من فرق العباد، كما هو الحال في خاتمة سورة الزمر.

---

(1) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (2/1072-1074).

(2) انظر: نفحات من علوم القرآن (ص: 106-107).

فوائد قصص القرآن: وللقصص القرآني فوائد كثيرة أذكر منها ما يلي[1]:

1. بيان أساس الدعوة إلى الله ﷻ، وبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي فقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء:25].
2. تثبيت قلب النبي ﷺ وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنُصـــرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠﴾ [هود:120].
3. إظهار صدق النبي محمد ﷺ في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال، وإظهار ما أخفوه من كُتبهم المحرفة كما في قوله ﷻ: ﴿۞كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣﴾ [آل عمران:93]، بالإضافة إلى صدق الأنبياء والرسل عليهم السلام الذين سبقوه في دعوته من قبله.
4. تعتبر القصة ضرب من ضروب الأدب، يصغي إليه السمع، وترسخ عبره في النفس، ولا يتجلى له حقائقه إلا أصـــحاب العقول الســـليمة التي تتوق أن تصـــل إلى الهداية وتسير في طريقها: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف:111].

الفوائد من تكرار القصص القرآني:

قد يلحظ المتتبع لآيات القرآن الكريم تكرارًا لبعض القصص والعبر في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، ومن المعلوم أن الله ﷻ لم يُنزل شـــيئًا من القرآن إلا لفائدة، فلابد أن هناك فوائد كثيرة من هذا التكرار، وقد يكون العلماء قد وفقوا للوقوف على بعضٍ منها، وقد يكون هناك الكثير من الأمور التي ما زالت في علم الغيب.

(1) انظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: 317–318)، وانظر أيضًا: تفسير المراغي (12/14–15).

وأذكر هنا بعضًا من الفوائد التي ساقها علمائنا واستنبطوها من خلال استقرائهم لآيات الله ﷻ ومنها[1]:

1. بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، ومع ذلك تجد السامع لا يمل من تكرارها، لأنه إذا كرر القصة زاد فيها شيئًا، بل تتجدد في نفسه معان جديدة لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.
2. اعتبار التكرار من الإعجاز البياني للقرآن الكريم، فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة من صورها أبلغ في التحدي، فإن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة فيه من الفصاحة ما فيه.
3. اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال.

(1) انظر: الموسوعة القرآنية (3/146-148).

المبحث الثاني:
الأساليب البلاغية واللغوية الواردة في سورة الزُّمَر

المطلب الأول: أسلوب الاستفهام:

تعريف الاستفهام في اللغة: (فَهَمَ) "الْفَاءُ وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ عِلْمُ الشَّيْءِ، كَذَا يَقُولُونَ أَهْلُ اللُّغَةِ"[1]، [فهم]: باب "الفهم في العلم"[2]، وتأتي بمعنى أدرك، ومعنى استفهام: بيان، تبين، وإيضاح، ليعلم ما قال وما فعل، واستفهامي: "في مصطلح العربية نسبة إلى الاستفهام وهو من أنواع الطلب الذي هو من أقسام الأشياء"[3].

[فَهِمَ]: "فهمت الشيء فهما، وتفهم الكلامَ إذا فَهِمَهُ شيئاً بعد شيء"[4]، والفَهْم والفَهَم: "علمُ معنى الشيء، يقال: رجل فهم، ولا يجوز أن يوصف به الله تعالى فيقال: يفهم، كما يقال: يعلم، لأن الفهم حصول العلم ببعض المعلومات بعد إذ لم يكن، والله تعالى عالمٌ لم يزل"[5].

تعريف كلمة الاستفهام في الاصطلاح:

والأصل في الاستفهام أن يكون من سائل يطلب الفهم ويستفسر عما يجهل، أما حين يكون المستفهم على علم بما يستفهم عنه، فإن الاستفهام يخرج بذلك عن أصل معناه في الوضع اللغوي، إلى المجاز البلاغي[6].

الاستخبارُ طلب خُبْر ما ليس عن المستخبر، وهو الاستفهام، وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق، وذلك أن أولى الحالين الاستخبار لأنك تستخبر فتجابُ بشيء، فربّما فهمته وربّما لم تفهمه، فإذا سألت ثانيةً فأنت مستفهم تقول: أفهمْني ما قلته لي[7].

---

(1) مقاييس اللغة (4/ 457).
(2) مجمع بحار الأنوار (4/ 185).
(3) تكملة المعاجم العربية (8/ 130).
(4) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (5/ 2005).
(5) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (8/ 5269).
(6) التفسير البياني للقرآن الكريم – د. عائشة عبد الرحمن (183/2).
(7) انظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (ص: 134-135).

أهمية أسلوب الاستفهام:

يُعد أسلوب الاستفهام من الأساليب المهمة في اللغة العربية وفي استعمالات العرب والقرآن الكريم، وتكمن أهمية هذا الأسلوب في التالي:

1. عملية تواصل بين البشر، حيث تعتبر وظيفته الأساسية هي إيصال المعلومة وتوضيح المفاهيم وإقامة الحجة على المخالفين.
2. تجسيد دور التخاطب، فإنه يقوم على مرسل ومرسل إليه والمسألة.

أنواع الاستفهام الواردة في سورة الزمر:

ومن خلال التعريفات السابقة للاستفهام يتضح لنا أن الاستفهام على نوعين، وهما الحقيقي الذي وهو ما جاء على الأصل وهو طلب الفهم، والاستفهام غير الحقيقي وهو الاستفهام الذي خرج عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى يحددها المقام، وتدل عليها القرائن.

وقد ورد أسلوب الاستفهام بشكل متكرر وفي مواضع كثيرة في سورة الزمر وبصيغ متعددة، جميعها خرجت من معناها الحقيقي إلى معانٍ أخرى، ومن هذه المعاني:

أولًا: الاستفهام الإنكاري: فاستخدام الاستفهام في الإنكار استخدامٌ خارج عن حقيقة الاستفهام، وعن الأصل في استخدامه من طلب الفهم، وقد ورد ذلك في قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾[الزمر:64]، فقد عد العلماء على أن الهمزة هنا للاستفهام الإنكاريّ[1]، وهذا التعقيب هو وإن كان تلقينا من الله ﷻ لنبيه ﷺ إلا أنه دعوة العقل، تلتقى مع أمر الله، فالعقل بمنطقه، لا يجد أمام هذا العرض لقدرة الله، وبين يدى تلك الدلائل الدالة على وحدانيته، لا يجد إلا الإذعان لله، والولاء له، وإخلاص العبادة له وحده، فهل يُعقل أن يُعبد غير الله ﷻ بعد كل البراهين والدلائل التي سيقت قبل ذلك[2].

ومن أساليب الاستفهام الانكاري الواردة في سورة الزمر قوله ﷻ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:36]، فالمقصود بهذا الاستفهام هو استفهام إنكار للمبالغة في نفي الإثبات، والمقصود بالعبد في الآية هو رسول الله ﷺ ويحتمل الجنس، وفسر بالأنبياء عليهم السلام[3].

---

(1) الجدول في إعراب القرآن (24/ 205).

(2) التفسير القرآني للقرآن – عبد الكريم يونس الخطيب (12/ 1188).

(3) تفسير البيضاوي – أنوار التنزيل وأسرار التأويل (5/ 43).

ثانيًا: الاســـتفهام التقريري: ويفهم منه معنى التقرير للتأنيب أو التعبير أو الإلجاء إلى مع حمل المُخاطب على الإقرار والاعتراف[1]، وقد وردت آيتان تحتوي على جملة من جمل اســـتفهامية خرجت من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي التقريري وهما: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾[الزمر:37-38]، والجمل هي:

جملة: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾، وجملة: ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾، وجملة: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وجملة: ﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾، وجملة: ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾.

والجمل السابقة جميعها تحتوى على الاستفهام، وَالِاسْتِفْهَامُ فيها استفهام تَقْرِيرِيٌّ لِأَنَّ الْعِلْمَ بِعِزَّةِ اللَّهِ وقدرته مُتَقَرِّرٌ فِي النُّفُوسِ لِاعْتِرَافِ الْكُلِّ بِإِلَهِيَّتِهِ وَالْإِلَهِيَّةُ تَقْتَضِـــي الْعِزَّةَ والقدرة على الخلق، وَلِأَنَّ الْعِلْمَ بِأَنَّهُ مُنْتَقِمٌ مُتَقَرِّرٌ مِنْ مُشَـــاهَدَةِ آثَارِ أَخْذِهِ لِبَعْضِ الْأُمَمِ مِثْلَ عَادٍ وَثَمُودَ، فَإِذَا كَانُوا يُقِرُّونَ لِلَّهِ بِالْوَصْـــفَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ فَمَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ كَافٍ عَبْدَهُ بِعِزَّتِهِ فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى إِصَابَةِ عَبْدِهِ بِسُوءٍ، وَبِانْتِقَامِهِ مِنَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِعَبْدِهِ الْأَذَى[2].

ثالثًا: الاســـتفهام لأجل النفي: وهذه أيضًـــا من أنواع الاســـتفهام لا لأجل طلب الفهم وإنما لنفي معتقد أو فكرة في عقول المُنكرين والصـــادين عن ســـبيل الله ﷻ فما كان إلا أن أتى هذا الأسلوب القرآني بالاستفهام لأجل النفي، وأسوق هنا بعض الآيات التي تتحدث عن هذا النوع من الاستفهام.

وقد ورد هذا النوع من الاســـتفهام في قوله ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر:9].

والآية تتساءل عن الأفضلية في العبادة فإذا لم يكن الأفضل هو الخاضع لله وحده والمُكثر من العبادة والطاعة والذكر لله ﷻ ليلًا ونهارًا، في وقت الشـــدة والرخاء لا فرق بينهما، يحســـب حساب الآخرة وأهوالها، ويرجو من ربّه أن يشمله برحمته، بالإضـافة إلى أنه أمر رباني لنبيه ﷺ

---

(1) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها – تمام حسان عمر (ص: 228).

(2) التحرير والتنوير (24/ 15).

بإقرار النفي وعدم المقارنة واستحالة الاستواء بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون أو أن يكون الفريقان في مقام واحد، وتقرير بأن أرباب العقول الراجحة السليمة هم فقط الذين يتذكرون ويدركون حقائق الأمور[1].

وجاءت الآية بصيغة عامة في كل من كان ديدنه الطاعة، وجاءت بصيغة الاستفهام الإنكاري النافي للاستواء عند الله وعند عقلاء الأمة لأن الفَطِنَ من ينتفع بعقله ويتدبر آيات ربه والجهال لا قلوب لهم حيّة تعي ذلك فلا يتذكرون ولا يذكرون[2].

ثم ساق الله ﷻ موضعًا آخر في سورة الزمر فيها استفهام نفيٍ حيث قال ﷻ: ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩﴾[الزمر:19].

ففي هذه الآية يُقصد فيها حرمان الْمُشْرِكِينَ مِنْ حُسْنِ الْعَاقِبَةِ بِالنَّعِيمِ الْخَالِدِ لِحِرْمَانِهِمْ مِنَ الطَّاعَةِ، وهذا الأسلوب يُعتبر أسلوب اسْتِفْهَام إِنْكَارِيّ مُفِيدٌ التَّنْبِيهَ عَلَى انْتِفَاءِ الطَّمَاعِيَةِ فِي هِدَايَةِ الْفَرِيقِ الَّذِي حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ، وَهُمُ الَّذِينَ قُصِدَ إِقْصَاؤُهُمْ عَنِ الْبُشْرَى، وَالْهِدَايَةِ وَالِانْتِفَاعِ بِعُقُولِهِمْ، وهو أيضًا تَقْرِيرِيٌّ كِنَايَةً عَنْ عَدَمِ التَّسَاوِي بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِ، وَكَلِمَةُ الْعَذابِ هِيَ كَلَامُ اللَّهِ الْمُقْتَضِي أَنَّ الْكَافِرَ فِي الْعَذَابِ، أَيْ تَقْدِيرُ اللَّهِ ذَلِكَ لِلْكَافِرِ فِي وَعِيدِهِ الْمُتَكَرِّرِ فِي الْقُرْآنِ[3].

---

(1) انظر: التفسير الحديث – دروزة محمد عزت (304/4).

(2) انظر: بيان المعاني – عبد القادر العاني (527/3).

(3) انظر: التحرير والتنوير (368/23–371).

المطلب الثاني: أسلوب الأمر والنهي:

تعريف الأمر في اللغة: "(أَمَرَ) الْهَمْزَةُ وَالْمِيمُ وَالرَّاءُ أُصُولٌ خَمْسَةٌ: الْأَمْرُ مِنَ الْأُمُورِ، وَالْأَمْرُ ضِدُّ النَّهْيِ، وَالْأَمَرَ النَّمَاءُ وَالْبَرَكَةُ بِفَتْحِ الْمِيمِ، وَالْمَعْلَمُ، وَالْعَجَبُ"[1]، "وأولو "الأمر": الولاة عند الجمهور، وقيل العلماء، وقيل: كلاهما"[2].

وقد يكون الأمر بصيغة الأمر في ظاهره وفي حقيقة باطنه زجر كما هو واضح من سنن العرب في أقوالهم، كقولهم إذا لم تَستَحِ فافعل ما شِئتَ[3].

تعريف النهي في اللغة: (نَهَيَ) "النُّونُ وَالْهَاءُ وَالْيَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى غَايَةٍ وَبُلُوغٍ، وَمِنْهُ أَنْهَيْتُ إِلَيْهِ الْخَبَرَ: بَلَّغْتُهُ إِيَّاهُ، وَنِهَايَةُ كُلِّ شَيْءٍ: غَايَتُهُ، وَمِنْهُ نَهَيْتُهُ عَنْهُ، وَذَلِكَ لِأَمْرٍ يَفْعَلُهُ، وَالنُّهْيَةُ: الْعَقْلُ، لِأَنَّهُ يَنْهَى عَنْ قَبِيحِ الْفِعْلِ وَالْجَمْعُ نُهًى"[4]، والنهْيُ: "خلاف الأمر، ونَهَيْتُهُ عن كذا فانْتَهى عنه وتَناهى، أي كَفَّ، وتَناهَوْا عن المنكر، أي نهى بعضهم بعضا"[5].

أهمية أسلوب الأمر:

يُعد أسلوب الأمر في القرآن من الأساليب البلاغية المهمة التي كانت وما تزال محط اهتمام الكثيرين من النحاة والبلاغيين، وقد يأتي أسلوب الأمر بالغرض الحقيقي له الذي يدل على طلب حصول فعل من المخاطب على وجه التأكيد والإلزام وهذا الطلب ليس واقعا وقت الطلب، وقد يكون بغير الغرض الحقيقي له، وبينت بعض أساليب الأمر التي وردت بغير الوجه الحقيقي له الواردة في سورة الزمر.

أمثلة على صيغة الأمر:

أولًا: الأمر بصيغته الحقيقية: وقد رود الأمر بصيغته الحقيقية في جملة من الآيات الواردة في سورة الزمر أذكر منها قوله ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ

(1) مقاييس اللغة (137/1).

(2) مجمع بحار الأنوار (310/5).

(3) انظر: فقه اللغة وسر العربية – عبد المالك الثعالبي (ص: 224)

(4) مقاييس اللغة (5/ 359).

(5) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (2517/6).

ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:10] فهذه الآية تحدثت بصيغة الأمر في قوله: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾[1].

فقد أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يعظ المؤمنين ويحملهم على الطاعة والتقوى باجتناب معاصيه واتباع أوامره، ثم علل وجوب الامتثال بقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ﴾ أي لمن أحسن في هذه الدار، وعمل صالح الأعمال، وزكّى نفسه فيها حسنة من صحة وعافية ونجاح في الأعمال التي يزاولها كفاء ما يتحلى به من تمسك بآداب الدين واتباع فضائله، وحسنة في الآخرة فيتمتع بجنات النعيم ورضوان الله عنه[2].

كما ورد أسلوب الأمر أيضًا في قوله ﷻ: ﴿ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ [الزمر:16-17].

فقد وردت جملتان بصيغة الأمر بصيغتها الحقيقية في قوله: ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ وفيها نداء من الله ﷻ لعباده مما يدل على رحمته بهم، وفضله عليهم، والتوجيه منه للعباد أن يا عبادي عليكم التزام طاعتي، وتجنب معصيتي، لكي تنالوا رضائي وجنتي، وتبتعدوا عن سخطي وناري، والقول في: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ﴾ والمعنى أن يا محمد ﷺ بشر العباد على مناقبهم وصفاتهم الحميدة، ولابد أن تكون البُشرى لأولئك العباد الذين اجتنبوا عبادة الطاغوت، وكرهوا عبادة غير الله ﷻ أيا كان هذا المعبود، وأقبلوا على الخضوع والخشوع له وحده[3].

بالإضافة إلى العديد من أساليب الأمر الواردة في سورة الزمر بمعناها الحقيقي التي فيها الطلب من الله ﷻ إما لنبيه ﷺ أو لعباده بشكل عام.

ثانيًا: الأمر لأهداف مخالفة للصيغة الحقيقية: وقد تأتي صيغ الأمر في بعض الأحيان مُخالفة لحقيقة الأمر بالطلب والتأكيد، إنما يأتي لتبيين بعض الأغراض الأخرى ومنها:

---

(1) انظر: إعراب القرآن وبيانه – محي الدين درويش (399/8).

(2) تفسير المراغي (23/ 153).

(3) انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (12/207–208).

1. **صيغة الأمر للتهديد والوعيد:** حيث قال الله ﷻ في سورة الزمر ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ٨﴾ [الزمر:8]، حيث قال الله ﷻ في هذه الآية ﴿قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًا﴾ أي تمتعاً قليلاً أو زماناً قليلاً فمتاع الدنيا قليل، ولفظه لفظ الأمر ومعناه التهديد والوعيد وإقناط للكافرين من التمتع في الآخرة، ولذلك علله بقوله: ﴿إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ أي أن الكافر ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام، وهو تعليل لقلة التمتع، وفيه من التهديد أمر عظيم[1].
2. **صيغة الأمر للإهانة:** وقد ورد هذا الأسلوب في قوله ﷻ: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٢٤﴾ [الزمر:24]، حيث وردت صيغة الأمر هنا في قوله ﷻ: ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ فالقول هنا موجه من الملائكة وهم خزنة جهنم للكافرين الذين حق عليهم دخولها، والأصل في التذوق يكون في العادة للأمور المقبولة ولكن وردت هنا للتقريع بسبب كفرهم وعصيانهم لأمر ربهم، وصيغة الماضي للدلالة على التحقُّق، ووضع المظهر في مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم، والإشعار بعلة الأمر في قوله: ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ أي: وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا، من الظلم بالكفر والمعاصي، فحق عليكم العذاب والمهانة مما كسبت أيديكم[2].

وجاءت صيغة الأمر للإهانة في موضع آخر على لسان الملائكة أيضًا حيث وصف الله ﷻ هذا المشهد بقوله: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ [الزمر:72] فهنا وصف لحال الكفار عندما يقابلهم خزنة جهنم بالتوبيخ والعتاب والتأنيب فلا تكريم ولا تعظيم، ولا سؤال ولا استقبال، بل خزى وهوان، ومن كل جنس من العذاب ألوان[3].

(1) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (12/86-87).

(2) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (5/72).

(3) انظر: لطائف الإشارات – تفسير القشيري (3/292).

أساليب النهي في سورة الزمر:

وقد أوردت سابقًا أساليب الأمر الواردة في سورة الزمر بنوعٍ من الاختصار، ولا بد الآن من التعريج على أسلوب النهي الوارد أيضًا في سورة الزمر.

وقد ورد النهي في سـورة الزمر في قولـه ﷻ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر:53]، فقد ورد أسـلوب النهي في جملة: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ فلفظة (لا) هنا للنهي، فالآية فيها بشـارات لجميع العباد أن الله واسع المغفرة لا يرد أحدًا خائبًا إذا رجع وندم وتاب إليه توبةً نصوحًا، فعلى الإنسان أن يُبادر ولا ينتظر[1].

المطلب الثالث: أسلوب التوكيد:

تعريف التوكيد في اللغة: (أَكَدَ) الْهَمْزَةُ وَالْكَافُ وَالدَّالُ لَيْسَتْ أَصْلًا، لِأَنَّ الْهَمْزَةَ مُبْدَلَةٌ مِنْ وَاوٍ، يُقَالُ: وَكَّدْتُ الْعَقْدَ، وَقَدْ ذُكِرَ فِي بَابِهِ، (وَكَدَ) الْوَاوُ وَالْكَافُ وَالدَّالُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى شَـدٍّ وَإِحْكَامٍ، وَأَوْكِدْ عَقْدَكَ، أَيْ شُدَّهُ، وَيَقُولُونَ: وَكَدَ وَكْدَهُ، إِذَا أَمَّهُ وَعُنِيَ بِهِ[2]، وهو التَّأْكيدُ والتوكيد[3]، أكدت ووكّدْتُ وبالوا وأفصح[4].

تعريف التوكيد في اصطلاح أهل اللغة: هو أسلوبٌ لغويٌّ تُستعملُ فيه ألفاظٌ مخصوصةٌ من أَجلِ تثبيتِ معنىً معينٍ في نفس السـامع أو القارئ، وإزالةِ ما يسـاورهُ من شـكوكٍ حَوَلهُ، والتَّوكيد أو التَّأكيد تابعٌ يقرّرُ أمر المتبوع في النِّسبة والشُّمول، كقولنا: انهزمَ انهزمَ العدوُّ، حضرَ الرَّئيسُ نفسُهُ للاحتفال[5].

---

(1) انظر: الجدول في إعراب القرآن (24/ 197).

(2) مقاييس اللغة (1/ 125)، (138/6).

(3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (2/ 442).

(4) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (2/ 553).

(5) نحو اللغة العربية، د. محمد أسعد النادري، الطبعة الثانية، الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1418هـ – 1997م، (ص:823).

التَّوكيد تابعٌ يقرِّرُ أمر متبوعه في الشُّــمول أو النِّســبة، ويجعله ثابتاً بعيداً عن الاحتمال بحيث لا يُظنُّ به غيره، فالتوكيد يقرر نسبة شيء إلى المتبوع أو نسبة المتبوع إلى شيء وينفي ما قد يحتمله الكلام من المجاز في تلك النسبة إليه أو في عمومها الشامل جميع أفراده[1].

أنواع التوكيد[2]:

أولًا: التوكيد اللفظي: ويكون بتكرير اللفظ وإعادته بعينه أو بمُرادفه، سواء أكان اسمًا نحو (جاء محمدٌ محمدٌ) أم كان فعلًا نحو (جاءَ جاءَ محمدٌ) أم كان حرفًا نحو (نعم نعم جاء محمدٌ) ونحو (جاء حضر أبو بكر).

ثانيًا: التوكيد المعنوي: وهو التابع الذي يرفع احتمال السهو أن والتجوز في المتبوع، فإنك لو قلت (جاء الأمير) احتمل أنك سهوت أو توسعت في الكلام، وأن غرضك مَجِيءُ رسول الأمير، فإذا قلت (جاءَ الأميرُ نفسُهُ) ارتفع الاحتمال وتقرر عند السامع أنك لم تُرِدْ إلا مجيءَ الأمير نفسه.

أمثلة على التوكيد المعنوي:

وقد ورد في سورة الزمر العديد من أسلوب التوكيد المعنوي، وقد تكرر وروده بشكل كبير أذكر بعضًا منها على سبيل المثال:

فيقول الله ﷻ: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ٨﴾ [الزمر:8]، فقد ورد أسلوب التوكيد في هذه الآية من خلال لام الابتداء في كلمة ﴿لِّيُضِلَّ﴾ فهيَ لامٌ مفتوحةٌ تأتي في بدايةِ الجملةِ لتوكيد مضمونها للتأكيد على المصير المحتوم لهم وهو الخلود في النار من خلال التأكيد بجملة ﴿إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾، أي من ملازميها والمعذَّبين فيها على الدَّوامِ "وهو

---

(1) قواعد اللغة العربية، د. مبارك المبارك، دار الكتاب العالمي، الطبعة الثالثة 1413هـ – 1992م، (ص: 265).

(2) التحفة السنية بشرح المقدمة الآجروميَّة، محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة وزارة الأوقاف والشئون الدينية دولة قطر 1428هـ – 2007م، (ص: 131).

تعليلٌ لقلَّة التَّمتعِ وفيه من الإقناط من النَّجاةِ ما لا يخفى كأنَّه قيل إذ قد أبيتَ قبولَ ما أُمرت به من الإيمان والطَّاعةِ فمن حقَّك أنْ تُؤمرَ بتركه لتذوقَ عقوبتَه"[1].

كما ورد التوكيد باستخدام حرف اللام أيضًا في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢١﴾﴾[الزمر:21]، حيث جاءت اللام الابتدائية للتوكيد في قوله: ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ "والجملة لا محلّ لها وهي استئناف بيانيّ"[2].

كما ورد أسلوب التوكيد المعنوي في قوله ﷻ: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر:53]، للتأكيد على أن الله ﷻ واسع المغفرة لكل من فرط في العبادة وأسرف بالمعاصي، فقد قال أهل العلم أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ هي أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ لِاشْتِمَالِهَا عَلَى أَعْظَمِ بِشَارَةٍ، وهي إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ فَالْأَلِفُ وَاللَّامُ قَدْ صَيَّرَتِ الْجَمْعَ الَّذِي دَخَلَتْ عَلَيْهِ لِلْجِنْسِ الَّذِي يَسْتَلْزِمُ اسْتِغْرَاقَ أَفْرَادِهِ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ كُلَّ ذَنْبٍ كَائِنًا مَا كَانَ، إِلَّا مَا أَخْرَجَهُ النَّصُّ الْقُرْآنِيُّ وَهُوَ الشِّرْكُ، ثم لم يكتف بما أخبر عباده مِنْ مَغْفِرَةِ كُلِّ ذَنْبٍ، بَلْ أَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: جَمِيعاً فَيَا لَهَا مِنْ بِشَارَةٍ تَرْتَاحُ لَهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُحْسِنِينَ ظَنَّهُمْ بِرَبِّهِمُ الصَّادِقِينَ فِي رَجَائِهِ، وَمَا أَحْسَنَ مَا عَلَّلَ ﷻ بِهِ هَذَا الْكَلَامَ قَائِلًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، أَيْ: كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، يستر الذنوب العظام ويكشف فظائع الكروب[3].

المطلب الرابع: أسلوب النفي:

تعريف النفي في اللغة: (نَفَى) "النُّونُ وَالْفَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أُصَيْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَعْرِيَةِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ وَإِبْعَادِهِ مِنْهُ. وَنَفَيْتُ الشَّيْءَ أَنْفِيهِ نَفْيًا، وَانْتَفَى هُوَ انْتِفَاءً"[4].

---

(1) تفسير أبي السعود – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (245/7).

(2) الجدول في إعراب القرآن (168/23-169).

(3) انظر: فتح القدير للشوكاني (538/4).

(4) مقاييس اللغة (5/ 456).

تعريف النفي في اصطلاح أهل اللغة[1]:

النَّفْيُ هُوَ شَطْرُ الْكَلَامِ كُلِّهِ لِأَنَّ الْكَلَامَ إِمَّا إِثْبَاتٌ أَوْ نَفْيٌ وَفِيهِ قَوَاعِدُ:

الْأُولَى: الْفَرْقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَحْدِ فقيل: إِنْ كَانَ النَّافِي صَادِقًا فِيمَا قَالَهُ سُمِّيَ كَلَامُهُ نَفْيًا وَإِنْ كَانَ يَعْلَمُ كَذِبَ مَا نَفَاهُ كَانَ جَحْدًا.

فَمِنَ النَّفْيِ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب:40]، ومن الجحد نفي فرعون وقومه آيات مُوسَى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:13-14]، أَيْ: وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

الثَّانِيَةُ: الْمَنْفِيُّ مَا وَلِيَ حَرْفَ النَّفْيِ فَإِذَا قُلْتَ: مَا ضَرَبْتُ زَيْدًا كُنْتَ نَافِيًا لِلْفِعْلِ الَّذِي هُوَ ضَرْبُكَ إِيَّاهُ وَإِذَا قُلْتَ: مَا أَنَا ضَرَبْتُهُ كُنْتَ نَافِيًا لِفَاعِلِيَّتِكَ لِلضَّرْبِ.

أدوات وحروف النفي:

حروف النفي وأدواته ستة: يشترك اثنان في نفي الحال، وهما: "ما، وإن" واثنان في نفي المستقبل وهما: "لا، ولن"، واثنان في نفي الماضي وهما: "لم ولما"، هذا التقسيم الذي اختاره شارح المفصل للزمخشري[2]، وكما معلوم أن تقسيم هذه الحروف إلى أبوابها هو يعتبر ما تفرد به الزمخشري في تقسيمه في المفصل[3] لحروف المعاني[4].

---

(1) انظر: البرهان في علوم القرآن – الزركشي (375/2-377).

(2) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ، جار الله، أبو القاسم، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) عام (467هـ - 1075م) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها عام (538هـ - 1144م)، من أشهر مؤلفاته تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وأسس البلاغة، والمفصل. [انظر: وفيات الأعيان (81/2) وإرشاد الأريب (147/7)].

(3) وهو كتاب المفصل في صنعة الإعراب، لأبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ).

(4) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم – جامعة المدينة (ص: 152).

أقسام النفي: وينقسم النفي إلى قسمين رئيسين وهما[1]:

أولًا: النفي الصـــريح الظاهر: وهو النفي الذي يتســـم بإحدى أدوات النفي التي تم ذكرها سابقًا في أدوات وحروف النفي مضافًا إليها ما يلي:

1. ليس: فعل ناقص جامد مبني على الفتح، يفيد معنى النفي، يختص بالدخول على الجملة الاسمية، فتنفي اتصاف اسمها بخبرها من حيث المعنى، أما من حيث العمل فترفع الأول اسماً لها، وتنصب الثاني خبراً لها، ويكون هذا العمل دون قيد أو شرط.
2. غير: اسم يفيد نفي الاسم الواقع بعده ويعرب حسب موقعه من الجملة، وهو مضاف وما بعده مضاف إليه مجرور دائماً.
3. لام الجحود: هي لام مكســورة تفيد توكيد النفي للفعل الناقص الســابق لها بشــرط أن تكون مسبوقة بكون منفي.

ثانيًا: النفي الضمني غير الظاهر: هو ضرب من ضروب النفي، يكون بغير أدوات النفي ويحدث بأحد الأساليب الآتية:

1. أسلوب الاستفهام: هو أسلوب لا يراد به طلب الفهم وإنما يراد النفي، وقد سبق الكلام عليه في موضوع الاستفهام المجازي، واليك الأمثلة: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران:135]، والمعنى: لا يغفر.
2. أسلوب الشرط المتضمن معنى النفي، ويكون بالأدوات: (لو – لولا – لمّا) وهي أدوات شـرط غير جازمة، مثال: لو زارني محمد لأكرمته، لم تحصـل الزيارة لذلك لم يحصـل الإكرام.

---

(1) انظر: أساليب النفي في القرآن الكريم دراسة نحوية بلاغية – سورة غافر نموذجًا، عبد الرازق موفاري، مذكرة لنيل شـــهادة الليســـانس في اللغة والآداب، جامعة العقيد أكلي محند والحاج – البويرة، الجمهورية الجزائرية (ص: 10)، وانظر أيضًـــا: النفي في النحو العربي منحى وظيفي وتعليمي – القرآن الكريم عينـة، توفيق جعمات، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة – الجزائر (ص: 25).

أمثلة على أسلوب النفي:

وقد ورد العديد من أســـاليب النفي وبأنواعه المختلفة في القرآن الكريم، كما ورد العديد من هذا الأسلوب في سورة الزمر أيضًا أذكر بعضًا منها على سبيل المثال:

ومن ضمن أساليب النفي في القرآن الكريم قوله ﷻ: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [الزمر:7]، ففي قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ أَيْ لَا يُحِبُّهُ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَـهُ لَكُمْ أَيْ يُحِبُّهُ مِنْكُمْ وَيَزِدْكُمْ مِنْ فَضْـلِهِ، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أَيْ لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَـيْئًا بَلْ كُلٌّ مُطَالَبٌ بِأَمْرِ نَفْسِـهِ ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [الزمر:7] أي فلا تخفى عليه خافية(1).

وقوله ﷻ: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الـزمـر:8]، وقوله ﷻ: نَسِـيَ ما كانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ: ما مصـدرية، والمعنى نســي دعاءه إليه في حال الضــرر ورجع إلى كفره، ويحتمل أن تكون ما نافية، ويكون قوله: نَسِـيَ كلاما تاما، ثم نفى أن يكون دعاء هذا الكافر خالصا لله ومقصودا به من قبل النعمة، أي في حال الضرر، ويحتمل أن تكون ما نافية ويكون قوله: مِنْ قَبْلُ يريد به: من قبل الضـــرر، فكأنه يقول: ولم يكن هذا الكافر يدعو في سائر زمنه قبل الضرر، بل ألجأه ضرره إلى الدعاء(2).

وَقِيلَ: تَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: نَسِيَ، أَيْ نَسِيَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الضُّرِّ، وَمَا نَافِيَةٌ، نَفَى أَنْ يَكُونَ دُعَاءَ هَذَا الْكَافِرِ خَالِصًـا لِلَّهِ مَقْصُـورًا مِنْ قِبَلِ الضَّـرَرِ، مِنْ قَبْلُ: أَيْ مِنْ قَبْلِ تَخْوِيلِ النِّعْمَةِ، وَهُوَ زَمَانُ الضَّرَرِ(3).

والقول في قولـه ﷻ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:9]، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير ط العلمية (77/7).

(2) تفسير ابن عطية – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (522/4).

(3) البحر المحيط في التفسير (9/ 188).

الله تعالى متصــفا بصــفات الجلال والجمال فيحذر عذابه ويرجو رحمته فيعمل في طاعته ويتقي معاصيه وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ذلك والاستفهام للإنكار وهو نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيهما باعتبار القوة العملية على وجه الأبلغ لمزيد الفضـــل، وقيل تقرير للأول على ســـبيل التشــبيه أي كما لا يســتوي العالمون والجاهلون لا يســتوي القانتون والعاصــون. إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ بأمثال هذه البيانات [1].

وقولـه ﷻ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الزمر:36-37]، والمقصـــود مِنْ نَفْيِ الْهَادِي مِنْ قَوْلِهِ: فَما لَهُ مِنْ هادٍ نَفِيُ حُصُــولِ الِاهْتِدَاءِ، فَكُنِّيَ عَنْ عَدَمِ حُصُــولِ الْهُدَى بِانْتِفَاءِ الْهَادِي لِأَنَّ عَدَمَ الِاهْتِدَاءِ يَجْعَلُ هَادِيَهُمْ كَالْمَنْفِيِّ [2].

وأســلوب النفي بواســطة جوابٍ عن تســاءل كما ورد في قوله ﷻ: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر:59]، بَلى حَرْفٌ لِإِبْطَـالِ مَنْفِيٍّ أَوْ فِيـهِ رَائِحَةُ النَّفْيِ، لِقَصْدِ إِثْبَاتِ مَا نُفِيَ قَبْلَهُ، فَتَعَيَّنَ أَنْ تَكُونَ هُنَا جَوَابًا لِقَوْلِ النَّفْسِ ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزمر:57]، لِمَا تَقْتَضِيهِ لَوْ الَّتِي اسْتُعْمِلَتْ لِلتَّمَنِّي مِنِ انْتِفَاءِ مَا تَمَنَّاهُ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ هَدَاهُ لِيَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، أَيْ لَمْ يَهْدِنِي اللَّهُ فَلَمْ أَتَّقِ، وَجُمْلَةُ قَدْ جاءَتْكَ آياتِي تَفْصِيلٌ لِلْإِبْطَالِ وَبَيَانٌ لَهُ، وَهُوَ مِثْلُ الْجَوَابِ بِالتَّسْلِيمِ بَعْدَ الْمَنْعِ، أَيْ هَدَاكَ اللَّهُ [3].

ولو نظرنـا إلى قولـه ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الزمر:52]، نجد أن الهمزة للاســـتفهام الإنكاري والواو عاطفة على محذوف تقديره أقالوها ولم يعلموا ولم حرف نفي وقلب وجزم ويعلموا فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلموا وان واسمها وجملة يبسط الرزق خبرها ولمن متعلقان بيبسط وجملة يشاء صلة ويقدر عطف على يبسط [4].

(1) انظر: تفسير البيضاوي – أنوار التنزيل وأسرار التأويل (38/5)، وانظر: التفسير المظهري (8/ 200).

(2) انظر: التحرير والتنوير (24/ 14).

(3) انظر المرجع السابق (24/ 48).

(4) إعراب القرآن وبيانه (8/ 432).

وكــذلــك فــي قــولــه ﷺ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ﴾[الزمر:71]، "وقال عطف على فتحت ولهم متعلقان بقال وخزنتها فاعل قال والهمزة للاســتفهام التقريري الإنكاري ولم حرف نفي وقلب وجزم ويأت فعل مضـــارع مجزوم بلم والكاف مفعول به ورسـل فاعل ومنكم صـفة لرسـل وجملة يتلون صـفة ثانية أو حال وعليكم متعلقان بيتلون وآيات ربكم مفعول يتلون"[1].

المطلب الخامس: أسلوب النداء:

تعريف النداء في اللغة: النِّدَاءُ "هُوَ: فيه ثلاث لغات أشـهرها كسـر النون مع المد، ثم مع القصـر، ثم ضـمها مع المد. واشـتقاقه من ندى الصـوت وهو بعده، يقال: فلان أندى صـوتًا من فلان إذا كان أبعد صـــوتًا منه"[2]، وهو "طَلَبُ إِقْبَالِ المُنَادَى بِحَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ النِّدَاءِ"[3]، وهو "نائب منابَ أدعو لفظاً أو تقديراً، والمطلوب بالإقبال يســمى منادى"[4]، وهو أيضًــا "الدّعاء والطّلب، تقول: ناديت زيدا، كما تقول: دعوت زيدا"[5].

وهُوَ أيضًــا "رفع الصَّــوْت بِمَا لَهُ معنى والعربِي يَقُول لصَــاحبه نَاد معي ليَكُون ذَلِك أندى لصوتنا أَي أبعد لَهُ"[6].

تعريف النداء في اصــطلاح أهل اللغة: "النداء علامة من علامات الاتصــال بين الناس، وهو دليل قوي على اجتماعية اللغة، ومن ثم فهو كثير الاستعمال، ولا يكاد يخلو كلام إنسان كل يوم من النداء، فأنت في حاجة كل وقت أن تنادي شـخصـا ما أو شـيئا ما، فهو أسـلوب خاص اختلف في شأنها اللغويون، فهي جملة باعتبارها تفيد معنىً كاملًا"[7].

---

(1) إعراب القرآن وبيانه (8/ 448).
(2) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (3/ 197).
(3) الأنشوطة في النحو (ص: 25).
(4) التعريفات الفقهية (ص: 226).
(5) البديع في علم العربية (1/ 388).
(6) الفروق اللغوية للعسكري (ص: 38).
(7) التطبيق النحوي (ص: 276).

في لغة العرب هو أسلوب من أساليب الكلام وأحد معانيه، وطريق من طرق الخطاب بين المخاطِب والمخاطَب للتواصل والتقارب والتفاهم، وهو: ما يتألّف من حرف واسم، والغرض منه تنبيه المدعوّ، ليقبل عليك ويجيبك[1].

الغرض من أسلوب النداء: الغرض الرئيس من أسلوب النداء التنبيه والاهتمام بمضمون الخطاب، لأن النداء يسترعي إسماع المنادَيْن.

أدوات النداء: "وأدواته ثمان: (يا)، و(الهمزة)، و(أي)، و(آي)، و(آ)، و(أيا)، و(هيا)، و(وا)، وهي في الاستعمال قسمان، الأول الهمزة وأي للقريب، الثاني باقي الأدوات للبعيد"[2].

ولأهمية أسلوب النداء اعتمده القرآن في توصيل رسالته للعالمين، وتوضيح مقاصده التي ضمنها أحكامه وتشريعاته، ونظرًا لتعلقه بمضمون الخطاب لما فيه استرعاء لأسماع المنادين، فقد استُخدم في افتتاحية العديد من السور القرآنية دلالة على الأهمية، فافتتحت خمس سور بنداء الأمة والسور هي (النساء، والمائدة، والحج، والحجرات، والممتحنة)، وافتتحت خمس أُخرى بنداءٍ للنبي ﷺ وهي (الأحزاب، والطلاق، والتحريم، والمزمل، والمدثر)، ومن المعلوم أن بداية الخطاب فيه لفت الانتباه وبيان لأهمية الخطاب.

"كما ويُعد افْتِتَاح أي خطاب دَعْوَتِهِ بِنِدَاءِ قَوْمِهِ لِاسْتِرْعَاءِ أَسْمَاعِهِمْ، وفي ذلك إِشَارَةٌ إِلَى أَهَمِّيَّةِ مَا سَيُلْقِي إِلَيْهِمْ"[3].

أمثلة على أسلوب النداء في سورة الزمر:

وقد ورد أسلوب النداء في العديد من المواضع في سورة الزمر أذكر منها ما يلي:

فقد ورد في قوله ﷻ: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾[الزمر:9]، والنداء في قوله: ﴿ أَمَّنۡ ﴾ في حرف الألف وتَقْدِيرُهُ: يَا مَنْ هُوَ قَانِتٌ، وَالْعَرَبُ تُنَادِي بِالْأَلِفِ كَمَا تُنَادِي بِالْيَاءِ، فَتَقُولُ: أَبَنِي فَلَانٍ وَيَا بَنِي فُلَانٍ، فَيَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ: ويا مَنْ هُوَ قَانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ إِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ[4].

---

(1) انظر: اللمحة في شرح الملحة (2/ 597).

(2) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 81).

(3) التحرير والتنوير (12/ 94).

(4) انظر: تفسير البغوي – إحياء التراث (4/ 81).

والخطـاب في قولـه ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر:10]، "نـداء بحرف النـداء (يـا) وهو موجهٌ للنبي ﷺ أن قُل يا محمد للعباد الذين آمنو وصـدَّقوا رسـوله أن اتقوا ربكم بطاعته واجتناب معاصـيه، فإن فعلتم ما أمركم به ربكم على لسـان نبيه ﷺ فإن الله ﷻ يُمتعكم بالصـحة والعافية في الدنيا، وفي الجنة والنعيم في الآخرة"[1].

وقد ورد أيضًـــا النداء في قوله ﷻ: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الزمر:16]، بحرف النداء (يا) وكان النداء وفي ختام هذه الآية بأســـلوب النداء من الله ﷻ لعباده جميعًا صالحهم وطالحهم، فخاطبهم بقوله: ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ وجاء هذا الخطاب بعد أن حذرهم في بداية الآية بالعذاب الشـديد واصــفًا حال الكافرين المنكرين لعباد الله بأن النار ستغشاهم كالسحابة وسقف البيت ونحوه، ويكون العذاب من فوقهم ومن تحتهم[2].

وقد ورد أســـلوب النداء في قوله ﷻ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الزمر:46] بحرف نـداء محـذوف، حيـث عـد ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ بعض أهل اللغة منادى، والميم المشددة عوض عن (يا) النداء المحذوفة[3].

وجـاء أســـلوب نـداء آخر في قولـه ﷻ: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزمر:64]، حيث جاء الأسلوب في هذه الآية بقوله: ﴿أَيُّهَا﴾ وجاءت "بأسلوب النداء النكرة"[4]، والخطاب هنا للجاهلين الذين يدعون وينظرون لعبادة غير الله ﷻ بعد أن شـــاهدوا الآيات الدالة على تفرده ﷻ بالألوهية، وهذا يدُل على جهل الكافرين الذين توجهوا بهذه الدعوة للنبي ﷺ بإشراك الله ﷻ بعبادة آلهتهم مع الله ﷻ[5].

---

(1) تفسير الطبري – جامع البيان ت شاكر (21/ 269).

(2) انظر: تفسير ابن عطية – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 525).

(3) انظر: إعراب القرآن وبيانه (8/ 427)، وانظر: الجدول في إعراب القرآن (24/ 192).

(4) الجدول في إعراب القرآن (24/ 205).

(5) انظر: تفسير المراغي (24/30-31).

الخاتمة

الحمد لله على تمام فضـله ومنته علينا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصـالحات، ونصـلى ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اقتفى آثره إلى يوم الدين، وبعد:

قد أنهى الباحث هذه الدراسة حسب الأهداف التي وضعت في بداية البحث التي تم ذكرها في مقدمة هذه الرسالة.

وقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، وهذه أهمها:

أولًا: أهم النتائج:

1. تعد الأسـاليب التربوية المتنوعة من أسـاليب الإعجاز القرآني، كما تعتبر أسـلوب فريد من أساليب التعليم في المجتمع.
2. سـورة الزمر مكية باتفاق العلماء والمفسـرين إلا بعض الآيات فيها، فمنهم من عدها ثلاثة آيات فقط، ومنهم من عدها سبعة آيات.
3. صـفات الله الفعلية والذاتية ثابتة في القرآن الكريم والسـنة النبوية ولا تحتاج إلى تأويل أو تفسير أو تشبيه أو تعطيل كما يفعل بعض الغُلاة.
4. رغم كل التعقيدات والأمور الدقيقة في خلق الإنسـان، وعجزه عن صـنع شـيء مثله، إلا أن هذا المخلوق (وهو الإنسان) لا يُعتبر هو الأعظم ولكن هناك ما هو أعظم منه وأكثر تعقيدًا ولكن ضُرب مثلًا للإنسان من نفسه ليتفكر فيها.
5. الحياة على وجه هذه المعمورة قائمة على مبدأ المشاركة بين زوجين، ذكر وأنثى، وهذه سنة الله في خلقه.
6. يُعتبر البيت السليم القائم على المشاركة الشرعية بين الزوجين حجر الأساس لتنمية مهارات المشاركة المجتمعية بين الأفراد وتوزيع الأعمال دون أن يكون هناك تغول من شخص على آخر، مع حصول التآلف والتعاون والتناصر.
7. من الأسـباب المُعينة على الثبات التربية الإسـلامية الفردية والجماعية القائمة على الطرق العلمية المنبثقة عن الكتاب والسـنة وفهم السـلف الصـالح، وبغير هذه التربية لا يسـتطيع المؤمن الثبات أمام وجود المغريات والشهوات والشبهات.
8. طلب الرفعة لا يكون إلا بتعلم العلم وحضـور مجالس الذكر والعلم التي يقوم عليها علماء ثقات، فإن هذه المجالس لا تزال بالقلوب حتى ترق.

9. للتوبة شــروط حال وشــروط زمان، أما شــروط الحال فيه الإخلاص والندم والإقلاع والعزم على عدم العودة، والتحلل من حقوق العباد، وشروط الزمان فهو ضرورة التوبة قبل الغرغرة هو وقت خروج الروح من الجسد، وقبل طلوع الشمس من مغربها.
10. يُعد الحوار من أرقى وسائل التواصل، وهو فنٌّ من فنون الاتصـال يهدف إلى الوصـول إلى حقيقة ما، بالإضافة إلى تغيير بعض القناعات لدى الآخرين.
11. يُســتفاد من خاتمة ســورة الزمر أن الناس كما كانت جماعات في الدنيا فإنها تحشــر يوم القيامة جماعات أيضًا.

ثانيًا: أهم التوصيات:

1. نوصــي كلية أصـول الدين بالاسـتمرار في إتمام هذه السـلسـلة المباركة، كما نوصــي طلبة العلم بالبحث والتنقيب عن التوجيهات التربوية وأساليبها الموجودة في القرآن الكريم.
2. التركيز على اســتنباط المهارات الإدارية والتشــريعات الربانية الموجودة في القرآن الكريم، ومقارنتها بالقوانين الوضــعية والأنظمة الإدارية المســتحدثة لنثبت للغرب أن القرآن الكريم والســـنة النبوية رغم قدمها إلا أنها تتفوق وتتميز عن هذه الأنظمة والقوانين الحديثة، وأن تكون أسلوب من أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة.
3. الإقبال على القرآن الكريم والســـنة النبوية والتركيز على تدبر الآيات والأحاديث، فالقرآن والسنة النبوية من أهم أسباب الثبات.
4. الاجتهاد في دعوة العباد لعبادة الله ﷻ وتبليغ رســالته، ولتعلم أن النتائج بيد الله وحده في هداية الناس، وقد وقع أجرك على الله.
5. الابتعاد عن صــحبة السـوء الذين من طبعهم الكبر، ومصــاحبة المتواضــعين، فهو أدعى للقلب والنفس من التوبة والإنابة، وعدم التسويف فيها قبل إغلاق باب التوبة.

هذا ما يســـره الله لنا في إيراده في البحث، وأعانني على كتابته وســـرده، فما كان من صــواب فبتوفيق ومنة من الله وحده، وما كان من خطأ وزلل فبتقصــير مني، والله المســتعان على كل شئوننا، وهو الموفق والهادي إلى سبيله المستقيم، وصلى اللهم على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع.

1. القرآن الكريم.
2. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1401هـ.
3. الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)، المحقق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1397هـ.
4. الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم – جامعة المدينة، مناهج جامعة المدينة العالمية لمرحلة البكالوريوس.
5. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم – دمشق، الطبعة الخامسة 1420هـ – 1999م.
6. الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية، أحمد بن يوسف بن محمد الأهدل، مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة: الثالثة، 1431 هـ – 2010 م.
7. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1409 – 1989
8. الأساس في السنة وفقهها – السيرة النبوية، سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة: الطبعة الثالثة، 1416 هـ – 1995 م.
9. الأسماء والصفات للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1413 هـ – 1993 م.
10. الأمثال في القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة – مصر – طنطا، الطبعة: الأولى هـ – 1986م.
11. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب t، الطبعة الأولى 1384هـ.
12. الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: 763هـ)، الناشر: عالم الكتب.
13. الآيات الكونية دراسة عقدية، رسالة: مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض
14. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ.

15. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: 1419 هـ.
16. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1408هـ – 1988 م.
17. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، دار الفكر 1407 هـ – 1986 م.
18. البديع في علم العربية، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606 هـ)، تحقيق ودراسة: د. فتحي أحمد علي الدين، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1420 هـ.
19. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، 1376 هـ – 1957 م.
20. البيان في مذهب الإمام الشافعي، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: 558هـ)، المحقق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج – جدة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2000م.
21. التَّلخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، عني بتَحقيقِه: الدكتور عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة: الثانية، 1996 م.
22. التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة مزيدة ومنقحة، 1414 هـ – 1994 م.
23. التحفة السنية بشرح المقدمة الآجروميَّة، محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة وزارة الأوقاف والشئون الدينية دولة قطر 1428هـ – 2007م.
24. التدرّج في تطبيق الأحكام الشرعيّة، ومظاهره في قطاع غزّة، د. ماهر حامد الحوليّ، 1431 هـ – 2010 م، كليّة الشريعة والقانون الجامعة الإسلامية – غزّة.
25. الترغيب والترهيب في السياق القرآني، د. كفايت الله همداني – مجلة القسم العربي "جامعة بنجاب لاهور – باكستان" العدد الثاني والعشرون، 2015م.
26. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – 1416 هـ.
27. التطبيق النحوي، الدكتور عبده الراجحي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى 1420هـ 1999م.

28. التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان 1407هـ - 1986م)، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.
29. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م.
30. التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: 1419هـ)، دار المعارف – القاهرة، الطبعة: السابعة.
31. التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: 1383 هـ.
32. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة.
33. التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصلين العظيمين - الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة - على فهم الصحابة والتابعين، تفسير منهجي فقهي شامل معاصر، أ.د. مأمون حموش، الناشر: (المؤلف)، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م.
34. التفسير المظهري، محمد ثناء الله المظهري، المحقق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية – الباكستان، الطبعة: 1412 هـ.
35. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية 1418 هـ.
36. التفسير الميسر، تأليف نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، 1430هـ - 2009 م.
37. التفسير الوسيط للزحيلي، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.
38. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.
39. التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (المتوفى: 650 هـ) تحقيق: عبد العليم الطحاوي وآخرون، مطبعة دار الكتب، القاهرة.
40. التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، د. فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، الطبعة الأولى 1437هـ - 2016م.
41. التوحيد للناشئة والمبتدئين، عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
42. التوحيد وأثره في حياة المسلم - حمد بن إبراهيم الحريقي، دار الوطن، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م.
43. الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت 1998 م.

44. الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964 م.

45. الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: 1376هـ)، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ.

46. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418 هـ.

47. الحديث في علوم القرآن والحديث، حسن محمد أيوب (المتوفى: 1429هـ)، دار السلام – الإسكندرية، الطبعة: الثانية 1425هـ – 2004م.

48. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

49. الدليل إلى المتون العلمية، عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م.

50. الرد على المنطقيين، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

51. السنن الكبرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2001 م.

52. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة: الطبعة الأولى 1418هـ-1997م.

53. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ – 1987 م.

54. الضمانات التأديبية للموظف العام، محمد مشعل العجري، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور سليم حتاملة، جامعة الشرق الأوسط – 2011م.

55. الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى 401 هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1999م.

56. الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ (الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها)، أ. د. وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، دار الفكر – سوريَّة – دمشق، الطبعة: الرَّابعة المنقَّحة المعدَّلة بالنِّسبة لما سبقها (وهي الطبعة الثانية عشرة لما تقدمها من طبعات مصورة).

57. الفروق اللغوية للعسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
58. الفوائد لابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1393 هـ - 1973 م.
59. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.
60. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم 1424هـ.
61. الكتاب: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ.
62. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.
63. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، عالم الكتب، الطبعة: الخامسة 1427هـ-2006م.
64. اللمحة في شرح الملحة، محمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (المتوفى: 720هـ)، المحقق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1424هـ/2004م.
65. المجتبى من السنن، السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، 1406 – 1986.
66. المختصر في تفسير القرآن الكريم، تصنيف: جماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة: الثالثة، 1436 هـ.
67. المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن – حلب، الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005 م.
68. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ – 1990م.
69. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.

70. المضامين التربوية المستنبطة من سورة الزمر، رسالة ماجستير، تشرنو إبراهيم باه، إشراف د. أحمد ضليمي ود. محمد العقيل، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، 1426هـ – 1427هـ.
71. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب – القاهرة الطبعة: الأولى، 2010 م.
72. المعجم الكبير للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.
73. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – 1412هـ.
74. الموسوعة العقدية – الدرر السنية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، تم تحميله في ربيع الأول 1433 هـ.
75. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة: (من 1404 – 1427 هـ).
76. الموسوعة القرآنية خصائص السور، جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1420 هـ.
77. الموسوعة في صحيح السيرة النبوية العهد المكي، أبو إبراهيم، محمد إلياس عبد الرحمن الفالوذة، مطابع الصفا – مكة، الطبعة: الأولى، 1423 هـ.
78. النفي في النحو العربي منحى وظيفي وتعليمي – القرآن الكريم عينة، توفيق جعمات، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة – الجزائر.
79. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م.
80. إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم، عبد السلام مقبل مجبرى، دار الإيمان – القاهرة.
81. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، 1323 هـ.
82. إصدارات الهيئة الفلسطينية المستقلة لحقوق المواطن.
83. إعداد: عبد المجيد بن محمد الوعلان، إشراف: الدكتور عبد الكريم بن محمد الحميدي، العام الجامعي: 1432 هـ / 1433 هـ.
84. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: 1403هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، الطبعة: الرابعة، 1415 هـ.
85. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ – 1991م.

86. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى: 762هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد – أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، 1422هـ – 2001م.

87. أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424هـ – 2003م.

88. أساليب النفي في القرآن الكريم دراسة نحوية بلاغية – سورة غافر نموذجًا، عبد الرازق موفاري، مذكرة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والآداب، جامعة العقيد أكلي محند والحاج – البويرة، الجمهورية الجزائرية.

89. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان 1415هـ – 1995م.

90. أوائل المؤلفين في السيرة النبوية، عبد الشافي محمد عبد اللطيف، مجلة الدراسات الاسلامية – جمهورية مصر العربية – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1425هـ – 2005م

91. أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: 1402هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان 1383هـ – فبراير 1964م.

92. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، 1424هـ/2003م.

93. بَدَائِعُ الفوَائِدِ، أَبو عَبْدِ اللَّهِ محمد بنِ أبي بكر بْنِ أَيُّوب ابْن قَيِّم الجَوْزِيَّةِ (691 – 751)، المحقق: علي بن محمّد العمران (إشراف: بَكر بن عَبدِ اللَّهِ أَبُو زَيْد)، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1425هـ.

94. بدائع السلك في طبائع الملك، محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق (المتوفى: 896هـ)، المحقق: د. علي سامي النشار، الناشر: وزارة الإعلام – العراق، الطبعة: الأولى.

95. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، تم نشر المجلدات على فترات بين العام 1973م وحتى العام 1996م.

96. بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: 1398هـ)، مطبعة الترقي – دمشق، الطبعة: الأولى، 1382هـ – 1965م.

97. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

98. تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق: سمير المجذوب، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1403هـ – 1983م.

99. تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، دار العصيمي للنشر والتوزيع.

100. تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422هـ.
101. تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – 1419هـ.
102. تفسير البيضاوي – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418هـ.
103. تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: 283هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1423هـ.
104. تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1422هـ – 2002م.
105. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى.
106. تفسير الرازي – مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420هـ.
107. تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ – 2000م.
108. تفسير السمرقندي – بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ).
109. تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ/ 1996م.
110. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365هـ – 1946م.
111. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ – 1998م.

112. تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
113. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2001م.
114. تكملة المعاجم العربية، المؤلف: رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: 1300هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي – جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من 1979 - 2000م.
115. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (المتوفى: 68هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، دار الكتب العلمية – لبنان.
116. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
117. جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، الطبعة: الأولى.
118. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م.
119. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، 1422هـ - 2001م.
120. حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: 1206هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى 1417هـ -1997م.
121. دراسات في علوم القرآن، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة: الثانية عشرة 1424هـ - 2003م.
122. دروس للشيخ سعود الشريم، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net
123. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.
124. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.
125. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ.

126. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.
127. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
128. سنن سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: 227هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية – الهند، الطبعة: الأولى، 1403هـ –1982م.
129. شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: العاشرة، 1417هـ – 1997م.
130. شرح العقيدة الطحاوية، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، [الكتاب مرقم آليا، وهو أشرطة مفرغة ضمن الدورة العلمية التي أقيمت بجامع شيخ الإسلام ابن تيمية].
131. شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، 1421هـ.
132. شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، 1423هـ – 2003م.
133. شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.
134. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، 1423هـ – 2003م.
135. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: 573هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، 1420هـ – 1999م.
136. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1414هـ – 1993م.
137. صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله r وسننه وأيامه المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، 1422هـ.
138. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.
139. صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله r، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

140. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
141. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت 1412هـ – 1992م.
142. فتح القدير للشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – 1414 هـ.
143. فقه السنة، سيد سابق (المتوفى: 1420هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، 1397هـ – 1977م.
144. فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: 429هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: إحياء التراث العربي، الطبعة: الطبعة الأولى 1422هـ – 2002م.
145. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – 1412هـ.
146. قانون الإجراءات الجزائية الفلسطينية.
147. قانون الخدمة المدنية الفلسطيني.
148. قانون العقوبات الفلسطيني.
149. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، 1414هـ – 1991م.
150. قواعد اللغة العربية، د. مبارك المبارك، دار الكتاب العالمي، الطبعة الثالثة 1413هـ – 1992م.
151. كُتب علم التشريح (Clinical Anatomy by Regions, Richard S. Snell. 10th International edition, Lippincott Williams & Wilkins)، وكتب أمراض النساء والولادة (Hacker & Moore's Essentials of Obstetrics and Gynecology, Neville Hacker, Joseph Gambone, 6th Edition, Elsevier).
152. كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد»، عمر العرباوي الحملاوي (المتوفى: 1405هـ)، مطبعة الوراقة العصرية 1404هـ – 1984م.
153. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.
154. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414هـ.
155. لطائف الإشارات – تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.

156. مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى 1408هـ - 1987م.
157. ماذا تعرف عن الله، أبو ذر القلموني، عبد المنعم بن حسين بن حسن بن حنفي بن حسن بن الشاهد، مكتبة الصفا، الطبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م.
158. مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى 1415هـ – 1995م.
159. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (المتوفى: 1420هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة 1421هـ- 2000م.
160. مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
161. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة 1414هـ، 1994م.
162. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (المتوفى: 986هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، 1387 هـ - 1967م.
163. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - 1418هـ.
164. مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الحادية عشرة، 1431هـ - 2010م.
165. مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، مكتبة الرشد، الطبعة: الثانية 1424هـ.
166. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م.
167. مذكرة على العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، مدار الوطن للنشر – الرياض 1426 هـ.
168. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: 1316هـ)، المحقق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1417هـ.
169. مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع – بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1426هـ.

170. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م

171. مسند الروياني، أبو بكر محمد بن هارون الرُّوياني (المتوفى: 307هـ)، المحقق: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416هـ.

172. معالم التنزيل في تفسير القرآن – تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى 1420 هـ.

173. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988 م.

174. معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1993م.

175. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

176. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر 1399هـ - 1979م.

177. مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر عواض الألمعي، الطبعة الثالثة 1404هـ.

178. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: 1367هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

179. منة المنعم في شرح صحيح مسلم، فضيلة الشيخ/ صفي الرحمن المباركفوري حفظه الله، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 1999م.

180. منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، إعداد: أحمد بن علي الزاملي عسيري، إشراف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1431هـ.

181. موسوعة الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية، الطبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م.

182. نُورُ الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.

183. نحو اللغة العربية، د. محمد أسعد النادري، الطبعة الثانية، الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1418هـ - 1997م.

184. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم r، عدد من المختصين بإشراف الشيخ: صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة

185. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

186. نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد محمد معبد (المتوفى: 1430هـ)، دار السلام – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1426 هـ - 2005 م.

187. نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م.

188. هل العهد القديم كلمة الله، منقذ بن محمود السقار، دار الإسلام للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1428هـ - 2007م.

189. واحة التفسير، أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الطويل، الطبعة الأولى 1438هـ – 2016م.

190. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت 1971م.

الفهارس العامة

أولًا: فهرس الآيات القرآنية

	سورة الأنعام		
23.	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾	90	141
24.	﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ﴾	102	36
25.	﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۖ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾	143	55
26.	﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ﴾	158	91
	سورة الأعراف		
27.	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾	180	53
28.	﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)﴾	204	97
	سورة الأنفال		
29.	﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾	60	85
	سورة هود		
30.	﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾	52	91
31.	﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ﴾	120	82
	سورة يوسف		
32.	﴿۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣)﴾	53	76
33.	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ﴾	111	147
	سورة الرعد		
34.	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)﴾	28	82
	سورة إبراهيم		
35.	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)﴾	7	112
	سورة الحجر		
36.	﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤)﴾	44-43	131
	سورة النحل		
37.	﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾	90	17
38.	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ﴾	97	87
39.	﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾	102	82
40.	﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾	125	98
	سورة الإسراء		
41.	﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧)﴾	38-37	95

سورة الكهف			
.42	﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾	6	85
.43	﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾	17	85
سورة الأنبياء			
.44	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾	25	147
سورة الحج			
.45	﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣﴾	3	128
.46	﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾	11	81
سورة المؤمنون			
.47	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩﴾	100-99	62
سورة النور			
.48	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾	28-27	109
.49	﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	55	86
سورة الفرقان			
.50	﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾	68	19
.51	﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾	70	20
سورة النمل			
.52	﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾	14-13	159
سورة القصص			
.53	﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾	39-38	95
.54	﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥﴾	55	100
.55	﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾	56	85
سورة العنكبوت			
.56	﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾	43	102
.57	﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥﴾	65	82
سورة الروم			
.58	﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ﴾	21	70
سورة لقمان			
.59	﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١﴾	11	38

الرقم	الآية	رقم الآية	الصفحة
	سورة السجدة		
.60	﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾	13	131
	سورة الأحزاب		
.61	﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾	40	159
	سورة سبأ		
.62	﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13)﴾	13	113
	سورة ص		
.63	﴿ص ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1)﴾	1	28
.64	﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71)﴾	78-71	93
.65	﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83)﴾	83-82	27
.66	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (87)﴾	87	27
	سورة الزمر		
.67	﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1)﴾	1	16
.68	﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (2)﴾	2	24
.69	﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ﴾	3	24
.70	﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾	4-3	31
.71	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ﴾	5	34
.72	﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ﴾	6	68
.73	﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ﴾	7	38
.74	﴿۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾	8	80
.75	﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ﴾	9	81
.76	﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ﴾	14-10	125
.77	﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (11) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (12)﴾	15-11	73
.78	﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾	15	126
.79	﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (16)﴾	17-16	154
.80	﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ (17)﴾	17	18
.81	﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18)﴾	18-17	84
.82	﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (19)﴾	19	152

16	20	﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۚ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠﴾	83.
58	21	﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ﴾	84.
22	23	﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾	85.
155	24	﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٢٤﴾	86.
101	31–27	﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧﴾	87.
123	32	﴿۞ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾	88.
143	33	﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾	89.
121	34	﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤﴾	90.
150	36	﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾	91.
151	38–37	﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ ٣٧﴾	92.
105	40–39	﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣٩﴾	93.
105	41	﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ﴾	94.
60	42	﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾	95.
34	46	﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾	96.
88	47	﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾	97.
162	52	﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥٢﴾	98.
17	53	﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾	99.
88	54	﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤﴾	100.
22	55	﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ﴾	101.
88	56	﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦﴾	102.
94	57	﴿أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٥٧﴾	103.
89	58	﴿أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨﴾	104.
89	59	﴿بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٩﴾	105.
89	60	﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠﴾	106.
35	62	﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾	107.
150	64	﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤﴾	108.
77	66–65	﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾	109.

110.	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾	68	63
111.	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾	71–72	15
112.	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾	73	15
113.	﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾	74	107
114.	﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾	75	27
	سورة غافر		
115.	﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾	2	28
116.	﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾	3	28
117.	﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾	7	90
118.	﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾	14	28
119.	﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ﴾	21	28
120.	﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	60	28
121.	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾	82	28
	سورة الشورى		
122.	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾	11	40
	سورة الزخرف		
123.	﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾	22	140
124.	﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾	67	96
	سورة الدخان		
125.	﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾	56	64
	سورة الجاثية		
126.	﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾	22	37
	سورة محمد		
127.	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾	9	79
128.	﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾	38	86
	سورة ق		
129.	﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾	39	134
	سورة الذاريات		

130.	﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ٢٤﴾	27–24	108
131.	﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾	56	37
سورة المجادلة			
132.	﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١١﴾	11	96
سورة الحشر			
133.	﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ٧﴾	7	86
134.	﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾	21	102
سورة الجمعة			
135.	﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٦﴾	6	61
136.	﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٧﴾	7	61
سورة التغابن			
137.	﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ﴾	9	86
سورة التحريم			
138.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾	8	87
سورة الملك			
139.	﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٤﴾	14–13	38
سورة البينة			
140.	﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ٥﴾	5	86

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثًا: فهرس الأعلام المترجم لهم: